
رواية
معزوفة الشيطان
أحمد شوقي مبارك
دارك
ساحر الكتب

معزوفة الشيطان





info@darak-eg.com



27251915 24832669-010 02



51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.

معزوفة الشيطان

أحمد شوقي مبارك

تصميم الغلاف: أسامة علام

رقم الإيداع: 2018/13398

الترقيم الدولي: 978-977-6634-10-7

الطبعة الأولى: 2018

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:



www.sekoon.com

أحمد شوقي مبارك

معزوفة الشيطان

رواية



عذرًا أبونا، فلم تكن أنت المميز الوحيد!

ريتشارد أمير

(0)

تتسارع دقات قلبه كلما قرأ المزيد في تلك المسودة.. ذلك الكتاب الذي حاول شهورًا طويلة ألا يقرأه مجددًا، كان يتنقل بين السطور في ذعرٍ كأنه يقرأ تلك الحقائق للمرة الأولى رغم أنها لم تكن كذلك، طُرق الباب عدة مرات ولكنه لم يسمعه.. صوت الموسيقى في أذنيه كان مرتفعًا كفايةً ليحجب أي صوت قادم ناحيته، كم تمنى ألا يرحل بتلك الطريقة، كم تمنى ألا يرحل وهو يسمع معزوفة الشيطان(*) في أذنيه.. شعر بالحسرة للحظات وهو يرى الأوراق التي يطالعها قد شارفت على الانتهاء، يُدرك أن السطر الأخير يقترب.. فتدمع عيناه دون إرادته رغم محاولته لمنع ذلك، تزداد دقات قلبه سرعةً فيشهق ممسكًا بصدره شاعرًا برغبة عارمة في الضحك!

ياالله.. خفف من سكرات الموت

ياالله.. أنا لست مثلهم جميعًا

ياالله.. ارحمني أرجوك!

يغمض عينيه وهو يعلم يقينًا أنه يغلقهما للمرة الأخيرة.. تُطرَق الأبواب مرةً أخرى ولكنه استشعرها هذه المرة مع هدوء الألحان الموسيقية بعض الشيء، فتح عينيه فوجد المكان قد تبدَّل كله، تلاشت غرفته وصار وحيدًا وسط أرضٍ جليدية لا تنتهي أبدًا.

أين أنا بحق الجحيم؟!

أين النار؟!.. الجنة؟!.. أين الحساب؟!

صار يتحرك وسط حصيرة بيضاء لا تنتهي، ولكن سرعان ما تحوَّلَ الأمر لمشهد مرعب أكثر حينما وجد أن الأرض الجليدية صارت تذوب من تحته، توقف لحظةً يفكر في الأمر؛ فوجد أن تشققات الأرض تزداد، لم يفكر كثيرًا قبل أن يتخذ قرار الفرار نحو اللا شيء،



كان يجري بدون هدفٍ، كان يجري مذعورًا من السقوط بين تصدُّعات الثلوج وحينما فقدَ الأمل توقف وأخذ شهيقًا طويلاً وكتمه داخل صدره استعدادًا للسقوط داخل المياه، ولكنه حينما فتح عينيه وجد نفسه أنه ما زال في الغرفة ذاتها، كانت ابنته مذعورةً أمامه تضربه برفقٍ:

بابا!، بابا مالك!

بابا!، إنت كويس؟!

حاول جمع شتات نفسه للرد، ولكن لسانه كان يشبه الجبل في ثقله، حاول مرةً تلو الأخرى للرد، ولكنه كان يفشل دائمًا، شهق بخوفٍ حينما شاهد ذلك الملثم القادم خلفها حاملاً سيفًا في يده، حاول رفع يده لتحذير ابنته ولكنه فشلَ، حاول الحديث ولكنه أيضًا فشل، تسارعت دقات قلبه غير المنتظمة حتى شارفت عضلته مغادرةً صدره، كانت حدقتاه تتحركان بين ابنته، وبين الملثم الوهمي الذي يصوره له عقله.. حتى خرجت صرخة من بين شفتيه الجافتين، وكانت هي

الأخيرة ليتوقف قلبه عن النبض ويخرج الزبد من فمه معلنًا عن وفاته..

وفاة الصحفي رمضان عبد الواحد.. الصحفي الشهير!

المقدمة والنهاية

مقدمة ريتشارد في كتابه الإلكتروني المنشور قبل ساعات

صدقَ المرحوم عيسى المصري حينما أخبرنا في لقائه الأول والأخير أمامَ جمهوره المتواضع بأنه بداية أي عمل روائي هي الأصعب دائمًا، خاصةً لو كانت الرواية بلا بدايةٍ ولا نهايةٍ، أنت فقط تدور داخل حلقةٍ مفرغةٍ لا تنتهى أبدًا، يعتمد الروائي فيها على جذب انتباه القارئ يحاول جاهدًا خداعه، يمنحه حل العقدة في ثنايا العبارات ولكون القارئ كمشاهد عروض السحر في السيرك يعشق أن يعيش دور المنخدع.. فيتجاهل التفاصيل الصارخة أمامه مدّعيًا أنه لم يكن يراها، لا أذكر أنَّ هناك لغزًا ل «آجاثا كريستي» لم أتوقع نهايته،

الأمر فقط يتطلب إلا أن تنظر عن كثب.. أن تبتعد قليلاً.. فالرؤية من بعيدٍ أشمل وأوضح ولَكِنَّ الكثيرين لا يعلمون ذلك!

ولكنني أمام تلك العقدة مكثت أسابيع عاجزًا عن حلها، كان القتلى في كل مكان، الأسباب مبهمة وغير واضحة، وخيط رفيع جدًا يربط الأحداث ولكن نهايته دائمًا كانت تحمل لي السراب..

كانت جرائمَ بلا قاتلٍ!

لو كنت ابتعدت قليلاً في بداية الأحداث لكان من المحتمَل إنقاذ الكثير من الأرواح الزاهقة بلا ذنب.. ولكنني كنت أُصِرُّ على الاقتراب أكثر فأكثر متعجبًا تشوش الصورة أمامي دائمًا!

كنت غبيًّا!

ولكن كل شيءٍ تغيَّر الآن، أنا حلَلْتُ اللغز كله.. أو أظنني فعلت ذلك!

ولكن ما الفائدة الآن؟!، فأنا ما زلت حائرًا من أين يجب أن أبدًا؟!

هل أبدأ من عند «مازن الحسيني»؟!

الشاب الثري الذي يمتلك مجموعة شركات من أكبر الشركات الخاصة بصناعات الأدوية وتوزيعها، صاحب المنتجعات السياحية العملاقة والأبراج الشاهقة هنا وهناك، مالك المحطة الفضائية صوت الثورة التي تعتبر المحرك الأساسي لآراء الشارع المصري، أم نتوغل أكثر في حياة مازن الشهواني متتبع الراقصات والفنانات المغمورات في كل مكان وزيجاته السرية والعلنية المتعددة كل بضعة أشهُر.

أذكر أحد الصحفيين قال عنه قبل اختفائه!

لو كانوا مرضى السرطان عاهرات لكان تبرع لهم مازن الحسيني

أم نترك كلَّ هذا..



وأحدثكم عن مازن الحسيني المحاط بعشرات من علامات الاستفهام حول تورطه في عدة جرائم قتل!

دعنا من مازن..

دعنا نبدأ حكايتنا من عند «نجيب المحلاوي» عضو البرلمان صاحب أشهر واقعة جنسية جمعته مع الراقصة الشهيرة؛ حيث شاهدها الملايين عبر الإنترنت وكان رده الوحيد أنه مُفبرَكٌ!

نجيب صاحب الستين عامًا والإجابات غير الواضحة وغير المرتبطة بالسؤال دائمًا، نجيب ألأفعى كما يلقبه بعض رجال الأعمال.. هالة ناعمة هادئة ولكنه ممتلئ بالسم ولدغته طريق ممهد لظلمات القبر.

هناك من يراه غبيًا ولكن القليل يعلم حقيقته.. إنه فقط مدَّعٍ جيدٌ لدور الغباء. وكونه مادة للسخرية أفضل كثيرًا من أن يكون مادة للمساءلات القانونية، فالشعب صار يرى اتهام شخصية مثله بأي شيءٍ حماقةً.. كان ذكيًا!



كان أفعى!

نجيب، هاوي شراء السيارات القديمة وتجديدها ليعاد بيعها كتحف كلاسيكية للملوك العرب بملايين الدولارات.

له من الأبناء ثلاثة: كريمة صاحبة الثلاثين ربيعًا زوجة الكاتب الشاب «آسر عبد الرحمن» الفائز بجائزة البوكر الدولية لهذا العام عن روايته الأخيرة، والمتصدر الأكبر لمبيعات الكتب في مصر والوطن العربي خلال الخمس سنوات السابقة.. و «أسعد» ذو الخمس وثلاثين عامًا المتَّهم الدائم في جرائم التعاطي والبريء دائمًا منها بفضل نفوذ الأفعى وبفضل أمواله الطائلة.

أم نتجاوز هذين الشريين وصراعاتهم المالية لبعض الوقت ونركِّز قليلاً على ذلك الفتى الذي لقي مصرعه في صورةٍ مريبةٍ وتقرير الطب الشرعي الذي لا يرى وراء الحدث سوى هبوطٍ حادٍّ بالدورة الدموية!



كان الفتى في آخر لحظات حياته يستمع لتسجيلٍ صوتيٍّ يحمل اسمَ: «معزوفة الشيطان»..

دعنا من ذاك وامنحني الفرصة لأخبرك ب «آدم رمضان عبد الواحد»، بالتأكيد سمعت عنه فهو أيضًا متهم دائمًا في الجرائم الإلكترونية التي انتشرت مؤخرًا في بلادنا، يعتقد البعض أن آدم يدير مؤسسة سرية لتعليم الشباب الهاكر واختراق البنوك، ولكنني أشهد أنه ليس كذلك، عذرًا. آدم هو صديقي الوحيد، وأنا أعلم تفاصيل حياته أكثر من رمضان عبد الواحد نفسه..

أما رمضان عبد الواحد الأستاذ الجامعي والصحفي والإعلامي الشهير صاحب البرنامج الشهير (صيحة في وجه الفساد) الذي يُعرَض يوميًا على محطة صوت الثورة الفضائية التي يمتلكها مازن الحسيني..

أم نتجاهل كل ذلك ونقترب أكثر من المختار، ريتشارد أميرا!

يكفيك أن تعلم الآن عن ريتشارد أنه العليم بكُلِّ شيءٍ!

أنه العليم بكل تفصيلة تتعلق بتلك العقدة والقتلة والمقتولين..

أنا ريتشارد أمير..

أعلم أنك مستاء أو حائر أو متسائلٌ ما علاقة كلِّ تلك الأمور ببعضها..

في البداية كنت مثلك لم افهم الأمر ومكثت ايام وايام في البحث عن قطع الاحجية الضائعة، كنت مخطئ لأنني ظننت أن من يقترب أكثر من اللازم يرى الصورة بشكل اوضح ولكن العكس هو من كان الصحيح.. أظنني ذكرت تلك المقولة من قبل، عذرًا فأنا متوتر قليلاً.. يجب أن أنهي ذاك الكتاب في أقل من أربع وعشرين ساعة ونشره على الإنترنت قبل أن يتم اغتيالي!!

****

الرحيل

(1)

حكاية قرية طاحب

في الثالث عشر من آيار ذلك العام البائس استيقظ «لطفي» التعيس دومًا شاعرًا بالبرد الشديد في مضجعه الذي اعتاد الدفء والسكينة فيه، لم يهتم.. طالما كان لطفي لا يهتم بكل شيءٍ، لم يكن يدرك الحزين أن الاهتمام في الحب واجبٌ.. بل فرضٌ - إن سمح لنا التعبير بذلك-، حتى إنه للوهلة الأولى لم يكن يشعر أن سامية ليست بجانبه، لم يشعر بغيابها إلا عندما احتاج صدرها لينال منه قدرًا ملائمًا من الدفء والراحة والسكينة، طالما كان يتعامل معها بمبدأ استعبادي بحت كما أخبره والده الأحمق: إن النساء خُلِقنَ ليَكُنَّ لنا خادمات.

فرِضانا عنهم من رضا اللّه!

صدَّق والده.. حتى تركته ورحلت!



رغم أن الشتاء قد انتهى وحتى الخريف قد شارف على الانتهاء أيضًا إلا أن صوت الرعد كان يعج في المكان بصورةٍ صاخبةٍ، دفعت الرياح النوافذ بقوة شديدة وحاصرَهُ هواؤها البارد فانتفض جسده في فراشه وتخبطت أسنانه من الصقيع فحاول تدفئة نفسه قليلاً أسفل لحافه شارد الذهن غير مصدق أنه لن يراها مجددًا.

نهض من فراشه غيرَ قادرٍ على استيعاب ما حدث، طالما هددته زوجته بالرحيل وأنها ستختفي عن الجميع ولكنه كان يعلم أنها أجبن من أن تقوم بمثل ذلك التصرف الأحمق، يعلم أنها لا يمكنها الاعتماد على نفسها دقيقة واحدة، شك لوهلة أنها خرجت لزيارة والدتها أو ذهبت للتسوق..

طرد الفكرة الحمقاء بعد أقل من ثوانٍ..

أي سوق بعد منتصف الليل بساعتين..

أي سوق وصيحات السماء في كل مكان..



أي سوق والغيوم ترجم القرية في كل جوانبها..

الجميع في القرية نيامٌ وأحداث القتلى الأخيرة ما زال يتردد في الأرجاء، الكل يهاب الخروج ليلاً فما زال قاتل قرية طاحب النائية مجهولاً لم ينْسَ لطفي ولا أيٌّ من سكان القرية مشهدَ الرجل المصلوب عند الساقية المهجورة ولا الغرقى.

نفَضَ لطفي عن عاتقه خليط الأفكار المتناقض وسحب هاتفه وشرع في الاتصال بها، فصدمته رنة قادمة من إحدى الغرف الأخرى.. تحرَّك ناحيتها سريعًا فوجد الهاتف ملقىً على أحد الكراسي وبجانبه ورقة مكتوب فيها..

(لا تبحث عني، أرجوك)

ارتعش ضوء الغرفة واهتزت جدران البيت إثر صيحة جديدة قادمة من السما..

كان حاسوبها موجودًا أيضًا في الغرفة نفسها، شاشته مفتوحة ومعروض فيها صفحة موقع التواصل

الاجتماعي فعلم لحظتها أن سامية قد نسيت غلقَ حسابها الشخصي قبل الرحيل؛ فاقترب من الحاسوب سعيًا وراء أي معلومة عن وجهتها، ولكنه أدرك أن ذلك الحساب لا يحمل اسمها.. كان يحمل اسمًا مستعارًا لها (صوت اليمام)..

كان يدرك أن لا أحد يعلم ذلك الاسم سواه، هو الوحيد الذي اعتاد أن يناديها به قبل أي لقاء حميميٍّ يجمعهما فجذب ذلك اهتمامه وتمنى لو كان ما يَجوُل في خاطرة دربٌ من الخيال، انقبضَ قلبُه أكثر والفكرة المنبوذة تتملك صدره وتأسر عقله. فتح سجل الرسائل فوجدَ عشرات الحسابات الشخصية لشباب عدة، تسارعت دقات قلبه أكثر واختار اسمًا عشوائيًّا؛ فوجد صورة زوجته عارية والشاب من الجهة الأخرى يتغزل في مفاتنها، انتصبت بصيلات شعيرات يديه وصار يعتصر شفتيه حتى سالت الدماء من تشققاتها.. فلم يتحمل المشهد فأغلق الحاسوب صارخًا ومتوعدًا لها..

(2)

مذكرات: عيسى المصري

- أنا راحل.

- عيسى، لا تتركني أرجوك.

كلمات دوَّنتها في دفتر مذكراتي رغم أنها لم تحدث قَط..

وكم من مشاهد كاذبة دوَّنتها في دفاتر مذكراتي، وكم من عروش وهمية نقشتها بالحبر زورًا على أسطر ذكرياتي، روحي الآثمة، أتفهَّم تطلعاتك لصنع ماضٍ عصاميٍّ يتلائم مع مقدار حاضرِك العظيم، ولكنك خدعتني فلا ماضيك عصامي ولا حاضرك يدعو للتباهي، روحي الآثمة، كفي كذبًا وزُورًا وخِدَعًا، روحي الآثمة حان وقت الاعتراف..

ولكن مهلاً، أليس من السفالة أن ينعتك أحدهم بالعمى بعدما اقتلعتَ عينيك لأجله!.. توقف شيطان عقلي فلا



فائدةَ من المقاومَةِ الآن، أقسمت على نفسي بمواجهتها.. وسأفعل ذلك!!

ولكن غدًا.. ربما..

بعد أسبوع..

كنت حريصًا دائمًا على عدم تدوين تلك الأحداث ضمن مذكراتي، ولكن ما فائدة وجود المذكرات إذًا كنت عاجزًا عن كتابة ما أريد!، ذات يوم أخبرتني زميلة تعرفت إليها خلال شبكة الإنترنت ألا أخجل أبدًا من أفعال الماضي فالكل فعل مثلي أو أبشع!، يومها لم أتمكن أن أخبرها أنه ليس هناك من هو أبشع منِّي يا صديقتي..

أنا سيءٌ..

ولكن ما يشعرني بالخجل أنني لست نادمًا!

اليوم هو يوم أول حفل توقيع لي!، اليوم هي المرة الأولى التي سأتقابَلُ فيها مع القراء وجهًا لوجه،



سنتناقش، وسنلتحم بالكلمات، سيظهر المحبِطُون من كل جانب حولي، سيحاصرني الغاضبون والناقدون الحاسدون!، وسينهال عليَّ الاتهامات والسباب..

أعلم أنني سأرى اليوم سيدةً في عقدها الثالث تحمل طفلاً سمجًا بين ذراعيها، قادمةً نحوي ومعها زوجها الفاشل ذو الكرش المترهل منه، لتُخبرني بكوني أفشل كاتب عربي، وأنني مفسدٌ للذوق العام وهادم لسلوكيات الشباب والمراهقين..

سأطلب منها أن تخبرني أسماء أبطال روايتي..

ستحمَرُّ وجنتاها خجلاً، لأني كشفت حقيقتها أمام الجميع..

ستسبُّني مرةً أخرى أمام الجميع وترحل وسط ضحكات الحشود..

حتمًا سيحدث ذلك..

أنا متأكد..

أنا كاذب!

أنا خائف ألا يأتي أحد..

أشعر دائمًا أن لا أحد يحسدني على مكانتي، دومًا أحسد الجميع رغم أنهم أقل مني شأنًا.. كلهم أغبياء ورغم ذلك تمنيت كثيرًا لو صرت مثلهم ولو ليومٍ واحدٍ!

أخبرني صديقٌ لي أن أتحرك عكس الناس حتى ولو صرتُ وحيدًا ونصحني بشدة أن أتَّبع حدسي وقلبي فقط!، ولكنني لم أخبره يومًا أنه حتى قلبي وحدسي لا يعجبهما حالي!!.. لا يُعجبهما اختلافي!

هاجسٌ يحدثني من لحظة لأخرى يطلب منِّي بل.. عذرًا.. إنه يأمرني بقوَّةٍ ألَّا أذهب لذلك الحفل، أشعر بكم الغضب المحيط بها.. قلبي يخفق بشدة.. أشعر بحركة الدماء داخل أوردتي.. أهذا الخوف السابق للنجاح كما أخبروني؟!

لا مهلاً..

إنه الذُّعرُ السابق للفشل!!

نعم اليوم سيكون الأبشع على الإطلاق

حاولت طلب المساعدة من وليد صديقي الوحيد، أخبرته بمشاعري المذعورة بدون ذِكر أسبابٍ واضحةٍ عن الأمرِ، أخفيت الجانب الذي يجب أن يُخفَى!، فبدا له الكلام أحمقَ جدًا، حاولَ إخفاءَ مَشاعِرَه رغم أنها كانت بارزةً في ملامحه وأخبرَني كَذِبًا أنها فقط مشاعر الخوف الذي يسبق التألق وادَّعى زورًا أنه قرأ طالعي في حظك اليوم للأبراج.. وأخبرني عن سطوح نجمي القريب..

يا ليتُكَ تَعلم يا عزيزي، إنها ليست أضواء النجوم، إنه بريق الجحيم!

أي تفوق أيها الأحمق؟!

أخبرني وليد أن المتابعين والحضور سيكون عددهم بالعشرات..

أحمق..

يا ليتك تصمت وتكف عن تلك الادعاءات..

لن يأتي سواك أيها الأحمق، لن يأتي حاقد أو حاسد أو منتقد.

لا أعلم من أخبرَني بكوني نموذجًا جيدًا للكاتب والأديب الناجح، أنا عديم الموهبة، أنا أسوأ إنسان أنجبته البشرية..

أنا خائف..

- أنا راحل.

-عيسى، لا تتركني أرجوك.

أنا العاجِزُ عن الرحيل.. والعاجز عن البقاء..



(3)

المختار

أما عن الجانب الثالث في حكايتنا يضم شخصيةً لن تُقابلَها دائمًا في حياتك، ريتشارد أمير ذو الثلاثينَ عامًا قد يَكبُرُهم أو يَصغُرهُم قليلاً، لا يمكنني وصفه حقًا، فكل التعبيرات الروائية لن تنجَح في مَنْحِه حقه، مع ذلك أنا لا أمدحه.. وأيضًا أظن أنني لا أذِمُّه لن أستطرد أكثر من ذلك وسأدخل في الموضوع مباشرةً فما زالت رحلتنا طويلة جدًا.

بدأ الأمر في طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوي، بعد منتصف الليل تحديدًا شقَّت السيارة الطريق على سرعة تجاوزت الستين بعد المائة، كان بطلُنا يقرأ كتابًا عن السموم والتراكيب الكيميائية الفتاكة، كتاب استعاره من أحد أصدقائه الذي ما زال يدرس في عامه الأخير بكلية دار العلوم. ريتشارد كان لا يفهم أغلب المكتوب، رموز كيميائية هائلة ومعادلات لاتينية لا يفهم أكثرها، ولكنه يجتهد ليعلم الكثير عن تلك

الأمور.. ولكن حقًا تلك التراكيب الكيميائية المعقدة لم تكن من اهتمامات ريتشارد الأولى كتلك الآونة. يمكننا أن نقل إنها كانت وسيلة لغاية سامية؟! حسنًا لا أدري إن كانت سامية أو مشئومة يكفي أن أقول إنها غاية ريتشارد وحده وأصمت..

غاب ريتشارد لحظات داخل آخر ذكريات تربطه بالقاهرة..

- هتروح فين دلوقتي؟!

- مش عارف..

- مكانك هنا..

- كان..

- إنت لسه مش مستعد لده.

- أنا المختار من الرب.. ولازم أنفِّذ الأوامر مهما كانت صعبة.



- خُد بالك من نفسك.

ريتشارد صحفي ناجح.. بالتأكيد.

انطوائي.. أظنه كذلك..

مريض نفسي.. احتمال!!

قاتل؟!.. لا أعلم إن كان لديَّ الحق بمنحه هذا اللقب بعد..

اضطر ريتشارد إلى مغادرة القاهرة لإحدى القرى النائية في زيارة سريعة لأحد الكهنة يطلب منه المساعدة في أمر هام خاص بحياته، وكانت تلك هي زيارة ريتشارد الأولى والوحيدة لقرية طاحب النائية! بعدَها عاد للعاصمة حاملاً راحةً نفسيةً لم يعرفها من قبل، حمل شعور الانتصار والقوه التي طالما حلم بها وتمناها.. طالما اعتقد أنه مميَّزٌ، بل الأكثر تميزًا.. الأفضل.. الأعظم.. المختار!

حينما وصل للحارة التي يعيش بها في العاصمة، لم يلبث في مسكنه سويعات بسيطة حتى هبَّت النيران في بيت جارته ماريهان، وحينما حاول التطلع عن كثبٍ وجد ثلاثة من شباب الحارة يهرولون مسرعين من البيت المنكوب نحو سيارة أحدهم مغادرين الحارة، وأم ماريهان تصرخ من شرفتها..

- قتلوها.. النار هتاكلنا.

عاد ريتشارد من ذكراه متابعًا للطريق ولصوت أم كلثوم القادم من خلفية المكان، وضع يده على صدره ليتأكد من أن الخاتم ما زال معلَّقًا في سلسلة رقبته وسحبته ذكرى أخرى، حينما كان جالسًا بجانب الكاهن في المستشفى..

يومها قال الكاهن..

- لكل واحد مننا دوره، عندي انتهى وعندك إنت هيبدأ.. الشيطان هتلاقيه دايمًا في أسماءهم، ولازم تكتشفه لوحدك.. لازم تثبت للخاتم إنك تستحقه

وأخيرًا.. اكتب، اكتب كل حاجة شُفتها وهتشوفها هتساعدك كتير إنك توصل للحقيقة.

ضغطَ ريتشارد على الخاتم وداعب كل تفاصيله، تمايلت السيارة لتعبر من بين سيارتين برشاقة مخيفة انتفض على أثرها جميع الركاب عدا بطلنا، فهو يعلم أنه مهما حدثَ لن يموت قبل أن يتمَّ مُهمَّتُه التي اختارها الرب له!

أي مهمة؟!

حسنًا، القصاص من قتلة جارته..

تذكر تلك الرؤية التي شاهد فيها إحدى الجميلات أخبرته فيها عن صوت الشيطان الذي سيلاحقه دومًا وتحذيرها من الإنصات له، كان دائم تذكير نفسه بتلك الكلمات حتى تعينه على همسات الشيطان واستخدام قدراته التي لا يفهمها كلها بعد في خدمة الشيطان وليس خدمة الرب.



فصار شعار ريتشارد في الحياة يتلخص في ثلاث عبارات:

طاعة الرب واجبة..

القصاص حق..

عدم الإنصات لصوت الشيطان..

على جانب ريتشارد فتى واضحٌ من ملامحه أنه لم يصل لعشرينيات عمره بعد، مراهق يحاول بكل جهد اصطناع النضج بمحاولة بائسة للحافظ على شعيرات شاربه غير المكتمل، ساعتين لم يترك هاتفه المحمول، رسائل قادمة وأخرى مُرسَلة، يحاول ستر هاتفه بكل الطرق حتى لا يرى أحدهم ما يحدث فيه فعَلِم ريتشارد سريعًا أن تلك المحادثات النصية مع مراهقات في عمره ممتلئة بعبارات جنسية مكبوتة..

ابتسم ريتشارد في نفسه، طالما أراد أن يعيش تلك الحياة، ولكنه يعلم دومًا في داخله أن تلك الحيوات التافهة لم تخلق من أجله، فهو يعتقد أنه مختلف



عنهم، طفولته لم تكن مثل طفولتهم، مراهقته لم تكن مثلهم، حتى مستقبله لن يكن مثل مستقبلهم.

أخرج الفتى سماعته ووضعها داخل أذنيه؛ فاستنتج ريتشارد أنه سينصت لبعض الرسائل الصوتية التي ستحتوي بكل تأكيدٍ على عبارات جريئة، فاتسعت ابتسامته أكثر هذه المرة وهو يتابع الفتى الذي بدأت أنفاسه تتسارع، أومأ ريتشارد في رضا عن نفسه لصحة قراءة الفتى، ابتسم الفتى للحظاتٍ ولكنه لحظات أخرى صارت ابتسامات الفتى ضحكات بدت بريئة، ولكن بعدها أصبحت مخيفة وتبدّلت الضحكات صرخات ذعرٍ..

صرخ الفتى مشيرًا نحو النافذة الزجاجية..

- الشيطاان.. راجع.. الشيطان.. ماماتش.. فارس.. الفارس.. الخراب.

انتبهَ جميع الركاب للفتى في تلك اللحظة، بدأ جسد الفتى في الانتفاض بقوة، أزال ريتشارد السماعات عن



أذنيِّ الفتى وسحب هاتفه ووضعه في جيبه سريعًا دون أن يلاحظ ذلك أحدٌ ذلك!، وربت على كتف الفتى وسأله في لهفة.

- حاسس بإيه؟!

صرخ الفتى مجددًا..

- الشيطان.. مش هيرحمنا.. فارس.. الخريف.. الخريف.

أوقف السائق سيارته في منتصف الطريق، وبدأ الركاب مغادرة السيارة وكلهم يتابعون المشهد، كان الفتى في حالة بائسة، جسده بالكامل يرتعش وحالته في شبه غيابٍ عن الوعي.. صرخ الفتى مرةً أخيرة وبدأت حدة انتفاضات جسده تزداد، صعوبة التنفس كانت واضحة جدًا هذه المرة، قبض كلتا يديه وخرج الزبد من فمه، كان ريتشارد يحاول تهدئته، يحاول صفعَه برفقٍ على وجهه، ولكن الفتى زفرَ زفيرًا طويلاً ومعه تخشَّبَ جسده وتصلبت عيناه نحو اللا شيء..



ريتشارد كان لا يصدق ما شاهده..

كان المشهد حوله ممتلئًا بعبارات نموذجية تقال بمللٍ شديدٍ..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

- الله أكبر.. الله أكبر.

- أشهد أن لا إله إلا الله.. اشهد أن محمدًا رسول الله.

- ادعوله.

ترك ريتشارد جثة الفتى وغادر السيارة مع المغادرين، وشرع أحد الركاب في طلب الشرطة، وآخر في طلب الإسعاف..

رفع ريتشارد يده اليسرى نحو صدره وتأكَّد من وجود الخاتم مكانه فهو يعلم الشيطان، يحاول انتزاعه منه بكل الطرق الممكنة ليمنعه عن تنفيذ مهامه، ضغط





عليه بقوة كأنه همس للرب في سِرِّه بطلب العون والدعم ورمق جثة الفتى مرةً أخيرة..

البداية

(4)

حكاية: قرية طاحب

بدأت الحكاية حينما اشترى لطفي بيته المتواضع في أطراف إحدى القرى النائية بعدما استطاع بصعوبة بالغة ادّخار نصف راتبه الشهري بمساعدة سامية زوجته، اتفق كِلاهما على تأجيل الإنجاب حتى يصير لديهما بيت بدلاً من ذلك السكن الإيجار، غير الدائم، وغير الآمن والمعذَّب في أمواله الطائلة الشهرية التي لا تنتهي والتي تزداد بشكلٍ مُتسارعٍ ومُرهقٍ أيضًا.

يعيش لطفي أغلب ساعات يومِه في أرض السيد/ شاهين يرعاها ويدير شئون جميع الفلاحين بها وينظم حركتهم بحكم خبرته في ذاك المجال منذ أكثر من ثلاثينَ عامًا، أما عن سامية فهي تعيش أسيرة الجسد محاطة بجدران بيتها لا منفذ على العالم سوى



حاسوبها الشخصي وحسابتها الشخصية المتعددة ذوات الأسماء المستعارة والحيوات المستعارة أيضًا.

لم تكن خائنةً بقدر ما كانت متمردة!

بعد مرور تسعة أشهر من حياة روتينية بلا معنى، قرَّر لطفي وضع بذرته داخلها بدون أي موانع تقتلعها ليمنح نطفته قبلةَ الحياة وفرصة الالتحام بروحها وبناء جذورها في رحم سامية، تمنى هو أن يكون الجنين فتاة وتمنت هي الولد ومرت الأيام تباعًا حتى غادر الجنين رحم أمه في سادس شهر ليهبط عالمنا بلا روحٍ، بجسدٍ شديدِ الزرقة، مشوَّه الملامح، ليعلم لطفي وسامية في تلك اللحظة أن أزمة السَّكَنِ الإيجار لم تكن أعظم مشكلاتهم في الدنيا..

ظنَّ لطفي أنه انتقام اللّٰه لاستعمالهما موانع الحمل سابقًا..

وظنت سامية أنه انتقام اللّٰه لحياتها الزائفة عبر الإنترنت..



انعزل الزوجان عن بعضهما البعض، وكلٌّ منهما هائمٌ في بحور أوهامه، أفكارهما تفتك بهما وتسلب أرواحهما ببطءٍ شديدٍ.

حقًا الفترة كانت شديدة الاضطراب عليهما، تكرار الحمل ليس باليسير الآن وسط كل تلك الملابسات، فقد مكثوا ستة أشهر في السابق يحلمون بصرخة المولودة الأولى، ولكنها رحلت وسلبتهما الحُلم. تفاقمت المشكلات بينهما وغادرته الزوجة متجهة لبيت أهلها وتدخَّل الوسطاء طوال ثلاثة أشهر في محاولات الإصلاح بينهما وتمكَّنوا بأعجوبة من منع تحقيق أبغض الحلال وأعادوهما عنوةً لحياتهما السابقة ودفعوهما دفعًا لتكرار التجربة من جديدٍ وتجاوُزِ ما سبق من حياتهما.

لم تكن حياتهما الثانية كما كانت في المرة الأولى، بل ازدادت حياتهما رتابة فوق رتابتها وملل فوق مللها، تلاشى الاستقرار منها والود والتقارب العاطفي المادي وصارت حياة للاستمرار فقط، حياة من أجل البقاء في شكل أُسري ظاهري يحفظ لهما ولعائلاتهما الهيئة



الطيبة والسمعة الحسنة حسب معتقداتهم وعاداتهم، ولكن حينما شاءت الأقدار وترك لطفي بِذْرتَه الثانية في رحم زوجته، تغيَّرت الحياة بشكل نسبي، صحيح لم تعد لسابق عهدها ولكنها صارت مقبولةً نوعًا ما، عاد لبيتهما الصغير نوعٌ من المودة المفتقدة وتقبُّل بل وتبادل الأحاديث والدعابات، تركت سامية حياتها الخفية عبر وسائل التواصل الاجتماعي وحرمت على الجميع رؤية جسدها والتغزُّل فيها بعبارات جريئة حارة لا يتقنها لطفي أبدًا، رغم غياب العشق والهيام بينهما تواجَدَ الاحترام واعتياد كل منهما الآخر واستقرار نفسي وذهني خصوصًا بعدما عاد الانتظار والشغف للمولود الأول وأيضًا حينما تحسَّن وضعهما المادي قليلاً عن السابق.

وكأن القدر دائم السخرية من أحلامنا، عادت المأساة من جديد لتضربهم ضربة أشدَّ وطأة من سابقتها وسقط الجنين في رابع شهر له.. نعم أنت مُحِقٌّ.. حياتهما صارت مستحيلة حقًا.. لم يوجِّهُ أحدٌ اللَّومَ

للآخر ولكن هناك هاجسٌ غريبٌ توغَّلَ في قلوبهم.. هاجس مسئول بشكل أو بآخر عن الواقعة.

لم تنسَ سامية تلك الزيارة لوالدها قبل شراء المنزل ورؤيتهما لذلك المجذوب في الشارع مدَّعى قراءة الطالع والكف.. تحرك لطفي نحوه بعدما أقنع سامية بأنهما سيقومان بالأمر على سبيل الدعابة..

- ارمي بياضك.. ووشوش الودع.. خُدَّام الفارس بقوا في كل مكان.

سحب لطفي الحجر وأخذ يهمس فيه وعيناه لا تفارقان عيني زوجته فاحمرت وجناتها خجلاً وصارت تبتعد بناظريها عنه؛ فضحك بدوره هو الآخر وأنهى همساته وألقى الحجر أمام المجذوب.. لحظات مرت والمجذوب صامتًا يتأمل الحجارة أمامه في سكونٍ وترقُّبٍ يسود الموقف من ناحية الزوجين، مرتقبين بشارة عن البيت الذي سيعتق رقابهما من الإيجار الشهري، أو بشارة عن عملٍ ذي راتب أعلى وأكبر..

- البيت ملعونٌ!

قالها المجذوب وبعدها بدأ يهذي بعباراتٍ غير مفهومة، نظر لطفي لسامية في استغراب فلمح على زوجته نظرة خوف ورهبة من الكلمات..

- ليه بتقول كده؟

سأله لطفي لعلَّ المجذوب يبدأ في الهذيان أكثر فيسخر منه ليمنح سامية بعض الاطمئنان عن كونه لا يدرك ما يقوله..

- الفرعون.. الخفاء.. سحق الحرمات.

اصطنع لطفي الضحك في تلك اللحظة ليخفف من حدة المشهد عند زوجته، ولكنها لم تصدقه فقد كانت تعلم أنه خائف مثلها..

- الفرعون.. الفرعون.. الفرعون.

ظنت سامية أن المجذوب يقصدها، وظن لطفي أنه يقصده..

في تلك اللحظة تكلم لطفي قائلًا:

- ممكن توضحلنا أكتر؟!

خشيت سامية أن ينطق ذلك المجذوب بالمزيد فصاحت لتوقف ذلك الأمر حالاً..

- ده مجنون.. يلا نمشي!

نهضت دون أن تنتظر رد لطفي، فتحرك خلفها والمجذوب ساكن مكانه يراقب أحجاره في صمت، جسده بدأ يتمايل يمينًا ويسارًا ببطءٍ بعدها شهق وجحظت عيناه ونهض صارخًا فيهما:

- هيقتل ولادكم.. هيقتل ولادكم.

فعاد لطفي مهرولاً ولكمه بقوة ليسقط العجوز أرضًا، فثم رجع لزوجته مربتًا على كتفها برفقٍ ليبتعدا عن

المشهد وسط حشدٍ لا بأس به من الناس حولهما..

عادت سامية لحاضرها المأسوي ونظرت للطفي:

- طلقني!

تأملها للحظات وهو يحاول إيجاد مهرب من كلماتها، ولكنه أدرك أنها النهاية حتمًا بينهما فمنحها ما تريد:

- إنتي طالق.

ظنها كلمةً ستمنح كليهما الهدوء لبضعة أيامٍ أو أسابيع كأقصى تقدير ولكنه لم يعلم أنها قد اتخذت قرارها في الرحيلِ نهائيًا عنه وعن القرية بأكملها.

فتحَ لطفي حاسوب زوجته الراحلة مرةً أخرى عازمًا على التطلع في كافة محادثتها الشخصية مع الغرباء وكشف ما كانت تُخفِيُه عنه منذ أشهر عدة.. وبمجرد أن وصل لسجل المحادثات جاءته رسالة جديدة فتحها على الفور: «جوزك نام ؟!»

استشاط غضبًا وأطاح بالحاسوب من أمامه ليسقط أرضًا مهشمًا، وأطلق صرخة ألم وغيظ من بين فوارق أسنانه وهو يقبض يديه ودقات قلبه تتسارع متخيلاً زوجته عارية في تلك اللحظة مع رجل آخر، شاهد نفسه أمامهم وهو يسحب فأسًا ويهبط بها على رقبته ورقبتها لتختلط دماؤهما ببعضها البعض.



(5)

مذكرات: عيسى المصري

محمد منير يعطر الأجواء بكلماته العذبة وإحساسه الفياض، ما يربطني بمنير شيءٌ أعمق من الكلمات، علاقة غريبة لا يمكنني تفسيرها حتى الآن.. ولأكون محقًا لست سعيد بذلك الارتباط طوال الوقت!، تتلاشى من ذاكرتي الذكريات أثناء غياب صوته..

لا أعلم السبب وراء ذلك الارتباط، ربما لأنه يذكرني بوالدي؟.. رحمك اللّه يا عم مصري

مرَّ أسبوع على رحيلك وما زالت الأجواء حولي ترفض تقبُّل الحقيقة المُرة، أخبرتني قبل رحيلك أنك تعلم ما بداخلي ونصحتني بتصويت الأخطاء المعلّقة وتخفيف حمل الأوزار على عاتقي.. رغم حزني عليك إلا أنني سعيدٌ أنك رحلت قبل أن تعلم حقيقتي فعلاً، لو كنت تعلَم لكنت أخبرتني حقًا أنني لا أُشرِّفُكَ كابنٍ.. لكنت



لعنتني وسبَبْتَني وطردتني خارج مجتمعك الصغير الذي تديره ببراعة غريبة.

غنِّ يا منير.. وأخبِرني الحدوتة المصرية..

هربتُ من حزن رحيلك يا أبي لحزن كتابة اعترافي..

أقسمت على استئناف مواجهتي ومحاسبتي.. يا روحي الآثمة، لم يعد هناك مهرَبٌ، لن أقبَل برحيلي عن عالمي حاملاً كل هذا الكم من الخطايا.. يا روحي الآثمة، ساعديني في تطهيرك الآن أرجوكِ.. يا روحي الآثمة ذلك هو اعترافي!

أنا الكثير من الصفات السيئة.. أنا الذي يخدَعُ نفسَهُ قبل الجميع بكونه الأفضل، ولكنني أعلم أنني لست كذلك..

طالما سيكون هذا الكتاب هو كتابي الأول والأخير الصادق في مذكراتي، فأُقسِم أمام نفسي إنني سأكتب كل ما كتمته داخلي وخشيت تركه على الأورق خوفًا من التناثر العبثي أو السقوط في أيدي من يكيدون

لي، ولكنني لم أستطع كتمان ما بداخلي أكثر من ذلك، ما معنى كل ما أكتبه وأنا اخشى الاعتراف أمام نفسي بحقيقتي!

عقلي يخبرني بكوني كثير الكلام ويخبرني بأنني أخشى الحديث..

يخبرني بكوني أستطرد في كلماتي حتى يمل القارئ ويرحل ولا يعرف ما بداخلي..

قد يكون مُحِقًّا..

حسنًا.. سأبدأ بكلماتٍ بسيطةٍ تَمنحني المزيد من الثقة..

أنا خائن!

حسنًا هذا عنوانٌ مناسِبٌ لتلك الحقبة الزمنية التي عشتها وما زلت أعيشها حتى اللحظة، خيانة!.. تبًا لسخرية القدر!!



نفسي!، للمرة الأولى ألاحظ أن قلبك يعتصر حرقة عندما تنطق بالحقائق وأنت تعنيها حقًا، فأنت هنا لست في موضع جذب التعاطف فلن يقرأ تلك الكلمات سواي، أنا ونفسي نعلم أن ما يحدث هنا مواجهة بلا هدفٍ، مواجهة هدفها الوحيد أن أُجبر نفسي على الوقوف أمام المرآة، هدفها أن أرى حقيقتي بصورة مجردة حتى لو مزقت الأوراق في النهاية لأعود بعدها لحياتي الزائفة مستمرًا في التوغل داخل الوحل بكامل إرادتي متجاهلاً أو متناسيًا كلمات أبي عن حمل الأوزار فوق عاتقي..

لكنني غير متهم، سأحاول التركيز من جديدٍ..

أشعر -قبل الانغماس في تحقير نفسي وإظهار مواطن الفساد فيها- أنني بحاجة ولو لإظهار بعضٍ من نجاحها البسيط المتناسي بشكلٍ متعمَّدٍ من الجميع !، حسنًا أخبريني يا نفسي عن أسعد لحظاتك وأتعسها في الوقت ذاته.. كان المكان شبه خالٍ من الأغراب، كل المحيطين بي لحظتها كانوا الأهل والأصدقاء، الجميع يدَّعي الاهتمام، الجميع يدَّعي السعادة، الجميع يريد



الرحيل حالاً، الجميع يشعر بسخف الأمر وبذلك الروائي الذي جلبَهم جميعًا ليكونوا حوله كأنهم القرَّاء العاشقون.. إننا جميعًا نعلم أنه أحدٌ لم يقرأ عمله قَطُّ ولن يقرأه أبدًا.

طالما أن هذه المرة الأولى التي أسرد فيها الحقائق..

لا أعلم كيف سمحت لنفسي بأن أهينها لهذا الحدّ؟!

كنت ساذجًا وأحمَقَ ولكن لو عاد بي الوقت من جديدٍ سأفعل ما فعلته. لحظتها لم أكن أشعر بسخف الأمر، بل شعرت بكوني كاتبًا متميِّزًا له قراء ومحِبُّون، طلب منِّي إياد صديقي يومها أن أُحدِّثَهم عن العمل والدروس المستفادة منه..

أجبته يومها بسرعة:

- أي دروس أيها الأحمق الغبي المعتوه..

لا مهلاً..



نسيت أنني لم أقل ذلك..

لالا.. كذبت مرة أخرى..

أنا أجبَنُ من أن أقول مثل تلك الكلمات، بالتأكيد كنت أخشى لو أحرجته سيرحل وسينقص المحبو والمعجبون واحدًا، فاصطنعت الابتسامة وأومأت في رضا كأن السؤال الذكي الذي جاء من إنسان أكثر ذكاء وقُلت..

- أن تستمتع وأنت تقرأ روايتي هو أهم من الدروس.

ابتسم في اصطناعٍ، كان لا يفهم الإجابة ولكنه لم يطِل في الحديث أكثر.. كان من أغبى الحضور فتوقَّعَ أن يسمع منِّي أن روايتي ستساعدك على نبذ العنصرية وتغيير وجهة نظرك نحو عقيدتك الدينية، وأنها ستُعلِّمك أن الشرير نهايته جهنم والطيب في الجنة أبديُّ الحياة!

أهذه الإجابة التي كنت تعد نفسك لتسمعها؟!



أهذا آخر ما توصل له عقلك يومها في دعمي؟!

أنت غبى يا صديقي وليس لي ذنب في كونك غبيًا..

كنت أتمنى أن أملك جزءًا من الشجاعة لأخبرك بأنك الأغبى على الإطلاق.

اكتمل المشهد الكوميدي يومها حينما ظهر وسط الجمع شخص غريب، هيئته تُذكِّرني بشخص ما رأيته ولكنني لا أذكر أين أو متى أو كيف رأيته!، تهلّل أصدقائي يومها وسعد أهلي بوجود قارئٍ غريبٍ.

قال أحد أقربائي عن كوني خليفة نجيب محفوظ، وقال آخر بل إنني أفضل منه عدة مرات، وقالت شهد إنها لم تقرأ رواية أعظم من روايتي!!

نعم، كان الأمر بتلك الصورة البائسة..

تمنيت يومها لو أنني نهضت وطردتهم جميعًا، ولكنني كالعادة الجبان الأحمق العاجز عن ذلك، تحملت تلك

السخافة حتى النهاية ولكنني صدمت شخصيًا حينما بادرنا الغريبُ قائلًا:

- قرأتها بالفعل.

صُعق الجميع!

عيونهم تصرخ قائلة: (أقرأتَ تلك الحماقات؟!، فذلك الكاتب السخيف عاجز عن إيجاد درس مستفاد من روايته)..

صمتنا جميعًا ليردف الغريب:

- لي سؤال سيِّدي الكاتب.

أومأت بعدما عجز لساني عن الحديث فأضاف:

- روايتك احتوت على عدة اساليب في القتل، كُتبت بطرق احترافية وبشكل دقيق جدًا، هل لي اسألك أن كانت تلك الطرق حقيقة؟! وهل سيكون الطب الشرعي حقًا عاجزًا عن تفسيرها؟!

صرخت نفسي بداخلي..

أخيرًا قال أحدهم سؤالاً ذا معنى..

استطال صمتي لحظات لنسج الكلمات معًا وصياغتها في صورة مناسبة، فكرت في عشرين كلمة للرد عليه ولكن حينما رفع حاجبه متعجبًا من فترة الصمت، أجبته بصوتٍ مرتفعٍ جدًا:

- إنها خيال.

نظر لي باشمئزاز، لم يكن يعلم لماذا صرخت بهذا الشكل، ولم يقل كلمات أخرى ورحل عن المكان حتى لم يطلب منِّي توقيع نسخته!

ولكنه قدَّم لي قلمًا مميزًا؛ تعبيرًا عن حالة إعجابه السابقة بطرق القتل المميزة في روايتي، ولكنني أشعر أنه منحه لي رغمًا عنه بعدما أحبطته وأخبرته أن طرق الاغتيالات في الرواية جميعها محض خيال.



صمتَ منير.. وأظن قلبي يعجز عن استئناف الكتابة لتلك الليلة، دخلت لأعترف هربًا من حزن رحيل والدي الذي أرهقني بشدة طوال الأيام الماضية فأرهقت نفسي أكثر باعترافاتي..

تكاد أغنية جديدة لمنير تبدأ، سأنهض لإيقافها حالاً..

لا أريد أن تسحبني الكتابة مرة أخرى تلك الليلة، أريد قسطًا من الراحة..

أريد أن أنام..

(6)

المختار

كانت الإضاءة هادئة نوعًا ما، وروائح أزهار البنفسج تملأ المكان، مع صوت خافت لأم كلثوم وهي تحكي سيرة الحب، كانت القاعة تتخذ شكلاً بيضاويًا قليل الأثاث عدا صفين من الكراسي السوداء اللامعة ومكتبًا صغيرًا باللون نفسه، تجلس عليه فتاة في أوائل عشرينيات عمرها تحملق في هاتفها تتابع جديد المنشورات على أحد مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت يرن هاتف الأرضي الموضوع على المكتب فتشرع في رفع السماعة بشكلٍ متعجلٍ ولا ترد سوى بكلمة: «تمام يا افندم هبلغها».

تضع السماعة مكانها ثم ترمق الصالة شبه الخالية من البشر عدا ذلك الشاب الثلاثيني، تنتظر بفارغ الصبر أن يدخل لمقابلة الطبيبة وهي تعلم أن تلك المقابلة تنتهي بشكلٍ سريعٍ جدًّا، في كل مرة يدخل ذلك المريض للطبيبة لا يستغرق مكوثه معها سوى دقائق



محدودة فقط ويخرج مهرولاً نحو الخارج وملامحه تستنكر قدومه إلى هذا المكان وكأنه يصرخ عازمًا على عدم العودة مجددًا.

كان يرتدي قميصًا أبيض وبنطالاً أسود ذوي طابع كلاسيكي، حاملاً في يده كتاب يتصفح أوراقه بتركيز مبالغ فيه فاختلست النظرات ورمقت اسمه الذي كان «الليلة الأولى في الجحيم».

حاولت التطلع أكثر لترمق اسم مؤلفه لم تتمكن من ذلك؛ فالزمن قد ترك أثره على الكتاب لدرجة جعلت اسم كاتبه غير واضح.. ورغم أنها تعتبر نفسها قارئة جيدة إلا أنه لم يمر أمامها عنوان كهذا من قبل، فجذبها الفضول أكثر، وقامت بفتح موقع جوجل على هاتفها لتبحث عن اسم الكتاب فكانت جميع النتائج مخيبة للآمال..

- الدكتورة تعرف إنك تقراء كتاب عنوانه بالشكل ده؟!

في البداية كاد لا يفهم ماذا تقصد، ولكنه تدارك إشارتها سريعًا ونظر للعنوان قائلاً لها:

- الاسماء خدّاعة.. والمناظر كمان!

لم تفهم إجابته حق الفهم، لم تدرك أنه على عِلمٍ محاولاتها الدائمة للتطفل داخل شئونه، كان يعلم أنها لا تراه مريضًا بالمعنى الحرفي، وأنها ترى فيه ذلك الفارس، المخلص من تلك الوظيفة المملة قليلة الراتب.

من جهة أخرى كانت الفتاة تدعى صابرين، أنهت عقدها الثاني منذ عدة أيام فقط، تغيَّرت أوضاعها المادية كثيرًا خلال الأشهر الأخيرة حينما أصاب أمها السرطان ورحلت في ألمٍ شديدٍ بعدما أنفقت كل أموال الأسرة في الجلسات الكيماوي.. رحل والد صابرين بعد أيام من ولادتها، أما عن أخيها الوحيد فهو متنصل دائم من كل المسئوليات، عرضت إحدى صديقتها تلك الوظيفة وشرحت لها كيف أن كل مرضى تلك الطبيبة من ذَوي النفوذ والأموال، ونصحتها بأن تسرع في



الإيقاع بأحدهم يكون مخلِّصًا لها من تلك الحياة البائسة..

غيَّرت صابرين دفة الحديث قليلاً فلم تكن تحب التفلسف في الحديث وادعاء العمق، رأته مجرد مدَّعٍ ما لمرض نفسي، أو موهوم بأنه مصاب بالاكتئاب لأن والده رفض أن يمنحه عدة ملايين ليتلاعب بها في البورصة بعدما فقد كل أمواله بها، رأته فاشلاً، متواكلاً، كسولاً.. ولكنها لم تهتم بكل تلك الأمور اكتفت باحتمال امتلاكه للكثير من الأموال، غير أنه من هؤلاء القلة الذين تبقى ملامحهم محتفظة بالشباب حتى بعد أن يتعدوا الخمسين عامًا وأكثر.

- مين مؤلف الكتاب ده؟

أجابها دون أن ينظر لها بينما تعكس ملامحه استياءه من السؤال:

- ما أعرفش!



صمتت في البداية تفكر في الأمر ولكنها هدّأت نفسها وحملت داخلها خاطرة عن كون ذلك الشخص قد يكون فعلاً مريضًا نفسيًا.. ولكنها في داخلها ترى أن سبب ذلك المرض مؤكد تافهٌ، أحمقُ.. مثله؛ فهو بالتأكيد ليس لديه أم قتلها السرطان وأب رحل وهو رضيع وأخ فاشل غبي.. كانت إجابته المختصرة تحمل داخلها الكثير من الغرابة وادعاء هالة الاكتئاب وعدم الاهتمام بكل شيء حتى إنه لا يهتم بمؤلف كتابه عن الجحيم.. انغماسها في التفكير جعلها لا تنتبه إلى أنه يحملق فيها دون أن تدري.. وما إن التفتت حتى أردف:

- هيفرق في إيه اسمه! ده أنا بالنسبة لي ميزة الكتاب ده إني مش عارف إسم مؤلفه، الكتاب قديم ومكتوب بخط الإيد، أعتقد إنه مسودة رواية لكاتب ما! بس ضاعت منه أو نشرها بالفعل بس غيَّر عنوانها أو نشرها بعنوانها.. ما أعرفش.. ماحاولتش أبحث عن الحقيقة.. زي ما قولتلك كونه مجهول أفضل بالنسبة لي..



لفتت نظريته نظرها كثيرًا، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تخوض معه مناقشة طويلة نوعًا ما، لم يبدُ تافهًا بالصورة التي كانت تتخيلها.. وإلى حدٍّ ما شعرت بانجذاب نحو حديثه الغريب.. صمتَ ولكنها لم ترِد أن ينتهي الحديث عند تلك النقطة؛ فتكلمت في محاولة لجذب أطراف الحديث واستئناف النقاش:

- مفيش اسم كتاب بالشكل ده..

ابتسم براحة مطلقًا زفيرًا هادئًا كأنه سمع كلمات اشتاق لها كثيرًا!

ثم فتح الكتاب من جديد ليستأنف قراءته، لكنها قطعت خلوته بمشاهد روايته مرة أخرى، قائلة:

- أستاذ عبدالله.. أستاذ عبدالله؟!

انتبه لندائها في المرة الثانية فردَّ فقط بابتسامة هادئة.. لتقول هي ما أرادت:

- ممكن أما تبقى تخلصه أستعيره منك وبعدها أرجعهولك؟

أغلق الكتاب ونهض مانحه إياها على الفور؛ فتعجبت كثيرًا من تصرفه وردت بحرجٍ شديدٍ:

- لا.. أما تخلصه الأول.

- خلصته قبل كده.

عاد مرة أخرى لمقعده وأسند ظهره رافعًا رأسه متأملاً ذكرى من ماضيه لتتصلب بصيلات شعره وتتعالى معها دقات قلبه، يتذكر صرخاتها، وتوسلاتها.. يشعر بالخزي والندم، يشعر بالتراجع، ولكنه يعود إلى الواقع من جديد حينما ينفتح الباب الرمادي في نهاية الصالة ويخرج منه رجل في أواخر عقده السادس يرتدي بدلة سوداء أنيقة، أصلع الرأس، قمحي البشرة، يمتلئ وجهه بالتجاعيد وخلفه الطبيبة مريم تتحرك في شيء من التواضع أمام هيبة ذلك الرجل الذي عكست ملامحه أرستقراطية واضحة.. فبدا وجهه مألوفًا جدًا، ولكن لم



يتمكن الشاب أبدًا من تذكر أنه شاهده من قبل، ودّعته الطبيبة العجوز بحرارة ثم التفت للشاب:

- عبد الله.. معلش اتأخرت عليك، كنت فاكراك مش هتيجي تاني من بعد آخر مرة.

شعر بالخجل من كلماتها فاكتفى بالإيماء ردًا؛ فأردفت لتخفيف حدة الأمر قليلاً:

- بس مبسوطة أوي إني شُفتك تاني.

ابتسم لها مصطنعًا دون ردٍّ، بينما نظرت الطبيبة نحو السكرتيرة صابرين قائلة:

- تقدري تمشى دلوقتي يا صابرين.

ثم وجَّهَت حديثها للشاب مرة أخيرة:

- اتفضل.

تحركت الطبيبة والشاب خلفها نحو الغرفة، وشهد تتبادل النظرات مع غريب الأطوار، وما إن توارى عن

أنظارها حتى أخذت تتطلع في ذلك الكتاب المهترئ القديم المكتوب بخط اليد؛ فلمحت في صدارته ثلاث عبارات عرفت سريعًا أنها مقتبسة من كتاب الكوميديا الإلهية؛ فأغلقت الكتاب ووضعته في حقيبتها وشرعت في الاستعدادات الأخيرة لمغادرة العيادة.

في الداخل كان المكان فسيحًا، هادئًا، لا يحتوي على الكثير من الأثاث.. الحوائط كانت بنفس اللون الأبيض المطلي به حوائط صالة الانتظار، الغرفة ليس بها سوى مكتب كلاسيكي أسود ومكتبة عتيقة ممتلئة بالكتب في شكل تنظيمي عريق ولوحة وحيدة لسيدة العذراء وصليب خشب بلا مسيح. وسرير أبيض مرتب. أشارت الطبيبة مريم نحو السرير سائلة إياه:

- تحب تستخدم السرير؟!

أجابها بتوتر:

- الكرسي كويس.



أومأت له وذهبت لتجلس خلف مكتبها، بينما جلس هو أمامها.. سادَ الصمت لحظات إلى أن قطعته مريم متسائلة:

- الجو برد، مش كده؟

- يعني.

كانت تعلم أن مينا يحمل بداخله من الصراعات النفسية ومشاعر الإحساس بالذنب وكره الذات، تعلم أن الضغوط تراكمت عليه والظروف أجبرته لاقتراف بعض الأمور غير السوية.. والتي ما زالت مبهمة لها، لكنها تشعر أنه قام بها.. هناك أمرٌ يجبره على العيش داخل شخصية أخرى..

- تعرف يا مينا.. اعذرني، لازم المرة دي أناديك بإسمك الحقيقي مش المزيف اللي بتسجل بيه.. تعرف إنك مش الوحيد اللي اتصرف معايا بالشكل ده قبل كده! مش أول مرة أقعد قُدّام واحد خمس زيارات من غير ما يقول جملة مفيدة ليها علاقة بالسبب الرئيسي اللي



جابه هنا.. ممكن أفضل معاك مائة جلسة قبل ما تبدأ تحكي بجد إنت هنا ليه؟ بس إيه الفايدة طالما هتحكي في النهاية! ليه بتقاوم نفسك؟ بتفضل أيام تقاوم رغبتك إنك تيجي هنا، وفي الآخر تضعف وتيجي عشان تحكي، وفي لحظة ضعف تقرر الهروب من هنا وناوي ماتجيش تاني.. حلقة مفرغة مالهاش نهاية أبدًا.

ضحك بسخرية، ولكن مريم شعرت بكم الألم المتوارى داخل سؤاله..

- وهل قصصهم في الآخر كانت جديرة بالسكوت الكتير؟!

أجابته..

- كانت كده فعلاً.. بس حلّها برضو ماكانش مستحيل!

فهم أنها تكذب، وأنها لم تقابل أحدًا مثله.. كانت كلماتها واضحة بالنسبة له، إنها تدفعه دفعًا لسرد ما يخفيه داخل صدره..



صمت وتحدثت هي:

- هحكيلك على حاجة جايز توصلّك الفكرة.. قبل عشَر سنين ماكنتش بالشكل ده خالص، أقصد الشكل الاجتماعي والمِهَني.. كنت ربة بيت.. آه.. ماكنتش بشتغل خالص، كنت مؤمنة زي ستات كتيرة في مصر، إن الست مالهاش إلا بيتها وعيالها.. عقيدة غلط اتزرعت فيّا من طفولتي خلّتني أتجوز وأنا بنت سبعة عشر سنة.. أربعة عشر سنة متحملة الذل والضرب والشتيمة، متحملة زوج عديم المسئولية.. متحمل أمل وهمي في لحصول على طفل.. أمي ماتت بحسرتها على حالي وأبويا دايمًا كان شايف إن أنا السبب في كل ده.. حملت مرتين والحمل فشل.. إنت متخيل كَمّ الأسى اللي أنا كنت فيه! ماكنتش بتخيل مصير أفضل ليّا غير الانتحار، بس لاقيت كل مشكلتي هتتحل لو رفعت قضية خُلع!.. آه.. شُفت! حلها كان سهل.. بس احنا بنخاف من القرار.

ظلّ مينا يتابع سرد مريم لحكايتها بقليل من الاهتمام، لعله يجد نقطًا مشتركة في البؤس تخفف عنه آلامه،



ولكنه بكل أسفٍ وجد أن قصتها رغم ما تبدو عليه من حزنٍ وظلم إلا أنها لا ُتقارَن بحكايته نهائيًا فانتقل ذلك الشعور للطبيبة؛ فشعرت بالحرج لاستطرادها البائس، وقالت محاولة إصلاح الأمر:

- عمومًا أنا مش هينفع أقارن، بس أنا بس بوضّح من خلال خبرتي.. إنه مهما كان بؤس مشكلتك، أوقات حلها بيبقى موجود قدامك بس انت مش شايفه.. وزي ما قُلتلك، الموضوع كله في القرار.

نهض مينا من مكانه وأخذ يتحرك في الغرفة بشكل عشوائي غير متزن وملامح التوتر غالبة عليه وهو يصارع خوفه وذعره لإخراج ما يخفيه داخل صدره من أسرار مكتومة منذ شهور عديدة..

- مشكلتك يا دكتورة مؤلمة طبعًا، ولا يمكن أقلل منها.. بس انتي اللي كنتي مظلومة فيها، وده أهون كتير من كونك تبقي ظالمة!



أسندت مريم ظهرها إلى المقعد وشردت للحظات تفكر في ذكرى قديمة ولكنها سرعان ما استدركت وعادت لتكمل حديثها مع مينا:

- ومين قالك إني عمرك ما ظلمت حد؟!.. في اليوم اللي فقدت فيه حملي التاني، جوزي رجع في حالة غضب شديدة جدًا، كان بيبصلي كأني السبب، كأن رغبة الأطفال رغبته هو بس.. وبدل ما يحاول يكون جانبي في لحظة زي دي.. اتهمنى إني مهمِلة ولما الوضع ساء في الكلام ضربني واعتدى عليًّا ودخل الأوضة بعدها ونام.. كم القهر في لحظتها إنت ماتقدرش تتصوره، ساعتها كل اللي كان مسيطر عليا حاجة واحدة بس، إني أشوفه مذلول.. ساعات وانا مش بتخيل نفسي غير وانا بجيب السكينة وبدبحه بيها، حتى لو كان المصير بعدها الاعدام أو السجن.. كانت بالنسبة لي لذة الانتصار أمتع وأقوى من كل ده.. وعاوزة أقولك إني كنت قررت إني أعمل كده فعلاً.

ألقى مينا نفسه على السرير في نهاية الغرفة، ونظر لسقف المكان يتأمله شاردًا للحظاتٍ وقال بعدم

اهتمام:

- بس عجزتي عن التنفيذ.

ضحكت ضحكة هادئة، ثم صمتت للحظات تفكر في سردها لذلك الأمر، ولكنها قررت الحديث أخيرًا، وتحولت رغبتها في الحديث من مجرد مساعدة لمينا لإلقاء ما بداخلها من أسرار ومشاعر لا يعلمها أحدٌ أبدًا..

- لا.. كنت قادرة، وفعلاً جبت السكينة بعد ساعات طويلة من التفكير وجريت على الأوضة اللي كان نايم فيها ورفعت إيدي بكل قوتها عشان ضربتي تكون ضربة قاضية، ومتلهفة لمنظر دمه أما يغرقني، بس ما أعرفش حس بيا إزاي ومسِك إيدي، وفي لحظة كنت تحته والسكينة على رقبتي.. وبعدها حكى لكل الناس عن تصرفي فالكل بقى بيخاف منّي.. الكل في ذهنه إني حاولت أقتل جوزي.. ماحدِّش صدقني إلا أمي وقتها وده كان سبب حسرتها وهي شايفة أبويا دايمًا يلعن فيَّا وحتى اخواتي كانوا بيخافوا يتعاملوا معايا.



ضحكت مريم من جديد وأردفت..

- تخيل أختي كانت بتخاف على عيالها منِّي؟

ساد الصمت بعض الوقت من كِلا الطرفين دون كلمات بعدها قطعته مريم من جديد..

- أما انطلقت وحياتي كلها اتغيرت، بدأت ما أفكرش في الأطفال زي الأول.. وفكرت إن الحظ أو القدر هو اللي أنقذنى من نفسي، لو كانت خطتي نجحت وقتلت جوزي.. تعاطفت مع كل قاتل وقتها لأني مدركة تمامًا إحساسه قبل التنفيذ.. مدركة إحساس الاشتياق للحظة انتصار حتى لو انت عارف إن التمن حياتك إنت كمان.. فقررت أعمل العيادة ديه لعل امنع إنسان واحد على الأقل من تصرف زي تصرفى..

عاد الصمت من جديد ليفرض سيطرته على الموقف ومريم تنتظر بشغفٍ شديدٍ انهيار مينا والانصياع لها وإلقاء ما في جعبته أمامها لتعرض عليه بعض الحلول لتهدئة ثورته وروعه، ولكن قطع حرب العيون بينهما



جوالُ مينا حينما صدح بالمكان فانهار حوارهما الخالي من كلمات، أخرج هاتفه ورمق الاسم مطلِقًا زفيرًا طويلاً وظل لحظات ينظر للمتصل بمللٍ، ثم قرر رفض المكالمة مغلقًا الهاتف ومعيدًا إياه لجيبه.

- كان ممكن ترد.

- مش مشكلة.

سألته مريم بشكل مباغت بوجه باسم مستمدة الحديث من الموقف الذي عُرِضَ أمامها:

- ولا مرة جربت تحكيلى عن حب حياتك.

ابتسم للوهلة الأولى كأن شريطًا طويلاً عُرِضَ أمامه، ولكن سرعان ما تبدّلت ملامحه المبتسمة بأخرى حزينة.. غاضبة..

- هي اللي كانت بتتصل بيك دلوقتي؟

أجابها إجابة لم تفهمها..



- مش بالظبط.. لولا اللي حصل كان ممكن تبقى هي..

فحاولت فتح المجال له لسرد ما في جعبته..

- أفهم إن بسبب خطأ الماضي.. إنت حاسس إنها مش مناسبة ليك؟

- أنا اللي مش مناسب ليها.. مش مناسب لأي حد.

تنهدت مريم وسألته:

- اسمها ايه.

أجابها:

- نانسي.

- ماتكلمني عنها شوية.

سحب سيجارة من علبته ورفع واحدة مستأذنًا الطبيبة بإشعالها فأذنت على مضض.. ولكنها لم تتوقف عند تلك الأمور في تلك اللحظات خاصةً أن

مينا بالنسبة لها صار مريضًا على وشك الانهيار وسرد ما بداخله وهذا كل ما يهمها في تلك اللحظة.. قام بإشعال السيجارة، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تلاحظ فيها مريم رعشة خفيفة في يد مينا اليسرى فلم تخبره أنها لاحظت ذلك، وركزت اهتمامها على أصل الموضوع.. فبدا حديثه غير مرتب..

- كويسة.. طيبة.. يعني.. مافيهاش عيب تقريبًا.. أمورة.. بس.. يعني محترمة وبنت ناس زي ما بيقولوا.. أقدر اقول.. أو.. مش عارف.. جايز لو ماكانش حصل اللي حصل زمان.. كنت اتجوزتها.. أو ماكنتش.. أو.. ياريتها ما كانت جت وقتها.

كانت آخر الكلمات خارج سياق الحديث تمامًا؛ فعلمت مريم أنه يقصد فتاة أخرى بتلك العبارة فلم تردّ وتركت له زمام الأمور فزادت رعشة يده اليسرى نوعًا ما؛ فوضع سيجارته بالمطفأة وأمسك يده المرتعشة بالأخرى الثابتة محاولاً تخفيف حدة انتفاضها، وشردت عينيه للحظات ثم قال مستأنفًا كلماته:

- قبلها طلبت من ريتشارد مفتاح شقته عشان هيكون معانا بنات، وعرضت عليه إنه ينضم لو حابب مقابل إن شقته تكون مكان للسهرة كل إسبوع، غبي.. أغبى إنسان في الدنيا.. لو كان وافق ماكانش حصل أي حاجة.. حتى لو كان متدين ماكانش يشاركنا.. ما هو اللي أجَّر الشقة دي بالذات.. عارف إن كلامي ممكن مايكونش مفهوم أو مش واضح أو مش مترتب.

- احكي زي ما انت عاوز.

أطلق زفيرًا طويلاً وتمالَك أعصابه وشرع في الحكي:

- يومها طردنا من بيته.. وحذرني إني أرجع تاني وأعرض عليه عرض زي ده.

توقف في توتر لحظات.. حاول أن يمسك سيجارته مجددًا بيده اليسرى فبرزت إلا إنها لم يستطع بسبب ارتعاشة يده التي لم يعد قادرًا على التحكم فيها.. كما لم يعد مهتمًا بإخفائها عن الطبيبة أكثر من ذلك.. أمسكها بين سبابته وإصبعه الأوسط فسقطت منه

أرضًا لينتفض غاضبًا مطرقا على المكتب بغضب؛ فشعرت مريم بالقليل من الخوف والحذر من تصرفه، لكنه هدأ سريعًا واعتذر لها:

- آسف.. أنا آسف.

كانت إجابتها مجرد إيماءة.. فأردف مينا متجاهلاً أمر السيجارة والرعشة:

- كنا محتاجين فلوس.. أنا وصحابي.. يعني.. الوضع يا دكتورة.. وانا في رابع سنة في الكلية.. كلية الطب. اشتغلت في صيدلية يعني عشان أبقى مُلِم بالأدوية.. وكان عندي شغف كبير ناحية أدوية الأعصاب.. جربتها على نفسي لحد ما بقيت بالشكل ده.. أما سقطت سِبْت الكلية.. ماكلمتش، ما أعرفش لو كان ده قرار صح ولا غلط.. بس دايمًا جوايا حاجة بتقول إنه كان قرار غلط.. عارف إني بتكلم كتير يا دكتورة بس صدقيني الحكاية كلها مترابطة وليها أبعاد كتيرة.. ساهمت في تكوين مشهدها الأخير المأسوي.

قبل عدة أشهر..

بعصبية شديدة صاح كريم بصوت موجهًا حديثه لمينا وسط حالة من الصمت من ثالثهما محمد:

- ماكنتش أعرف إنك جبان كده!

بعقل شارد –دون انفعال- صمت مينا لحظات يفكر في الأمر وهمهم بصوت غير واضح نسبيًا:

- مش جُبن صدقني.

انفعل من جديد كريم صائحًا بصوت أكثر ارتفاعًا هذه المرة:

- لأ انت جبان.. إيه قُدّامنا نعمله وماعملناهوش.

قطع الحديث دخول أخت مينا حاملة في يدها صينية بها ثلاثة أكواب من الشاي وهي تتابع نقاشهم الحاد المعتاد في نوع من الرهبة والخوف والحيرة لعدم تفسيرها الأمر بصورة واضحة ولكنها تعلم أن أخاها

يرفض أمرًا ما يحاول كريم بقوة إقناعه به.. تعلم أن مينا دائم إدخال نفسه في المشكلات والتورط في العديد من الأمور غير القانونية، ولكنها تعلم أيضًا أن لكريم دورًا هائلاً في صنع تلك الهيئة الشيطانية من أخيها، وأنه بوجه عام إنسان جيد، ولكن الظروف المحيطة هي ما صنع منه هذا الشخص الغريب لو طردت كريم والآخر لمنع محاولاتهم المستميتة لإقناع أخيها بالأمر الذي بكل تأكيد ليس بالأمر البسيط..

وضعت الصينية بشكل مرتجف فتجاهل كريم وجودها، وأردف:

- مينا، أنا مكمل سواء انت ناوي أو مش ناوي.

وتحرَّك مغادرًا المكان بينما ظل محمد جالسًا لحظات ينظر لمينا ينتظر رد فعله، ولكِنَّ الأخير طال صمته وانسحبت كريستينا من الغرفة.. تبادلت النظرات بين محمد ومينا دون كلمات..

قال محمد بعدم فهم:



- مالك! ديه مش المرة الأولى.

ردَّ مينا بعصبية:

- ميريهان.. لا.

أخرج محمد لفافة تبغ من جيبه وقام بإشعالها عارضًا بأخرى على مينا فرفض الأخير ذلك..

- مش ديه اللي فضَّلِت ريتشارد عليك.. فوق يا مينا عشان عمرها ما هتكون ليك، إيه اللي هيخليها توافق على الجواز من دكتور فاشل ساب الكلية.. إنسان مجنون بإيد مرعوشة.. شايف مستواك المادي؟ هتوافق عشان تعيش معاك انت وأمك وأختك.. هنا!

قال مينا بنبرة بائسة:

- طيب ليه مانغيرش المكان؟

جذب الأمر انتباه محمد؛ فسأل مستوضحًا الأمر أكثر:

- قصدك إيه؟!

أجابه مينا بتلهف أكتر:

- بدل ما يكون هدفنا شقة ميريهان.. يكون شقة ريتشارد.

ضحك محمد بسخرية وأطفأ سيجارته في المطفأة الموضوعة أمامه.. وتواصلت ضحكاته لحظات ومينا غاضب من ردة فعله المسيئة له؛ فتدارك الآخر ذلك وشرع في إيضاح الأمر سريعًا قبل أن يصب مينا غضبه عليه:

- وده منظر واحد لاقي ياكل.. تفتكر هنلاقي إيه في شقته، ده لو كان معاه فلوس كان سكِن في شقة عزيزا.. صدقني يا صاحبي أنا كمان مش عاجبني الوضع ولا عاجبني إننا نسرق شقة حريم في منطقتنا، بس هنعمل إيه.. الدهب اللي مرمي عندهم ده مالهوش لزمة هيحل لينا مشاكل كتيرة.. وآديك شايف الجرام رايح فين.

ساد الصمت لحظات قبل أن يقطعه مينا بجملة أخيرة ناهيًا بها حديثه لتلك الليلة:

- سِبني أفكر طيب.

تفهم محمد أن مينا يود إنهاء الحديث الآن فتنهَّد بمللٍ ونهض من مجلسه مغادرًا المكان بعدما ربَّت على كتف مينا قائلاً:

- بشوقك يا صاحبي.

باهتمام شديد كانت الطبيبة تتابع سرد مينا للأحداث ولا تجهل رعشة يده التي تزداد وضوحًا كلما توغل أكثر في الحديث، ملامح الندم تسيطر عليه كأنه يتمنى لو استطاع انتزاع الذكرى الأليمة من دماغه وإيقاف التفكير نهائيًا في تلك الحادثة..

- كان الهدف السرقة يعني؟

أجابها في بؤس..



- آه.. سرقة بس.. مش كل.. أو.. مش كل حاجة بتمشى زي ما بنحسبلها يا دكتورة، فعلاً طلبت فرصة أفكر في الموضوع.. أنا رفضت.. صدقينى أنا رفضت في البداية.. لو ماكانتش أختي قالت لأمي اللي سمعته جايز ماكانش حصل اللي حصل.. كأن الدنيا كلها كانت بتحاصرني عشان أطاوع كريم في اللي عاوز يعمله!

أومأت الطبيبة في تفهُّم.. متوقعة الاسوأ في كلماته القادمة، كانت تخشى أن ينطق فمها أيَّ كَلمة الآن تجعله يفر هاربًا كعادته فلن تعقِّب لتمنح له المجال لاستكمال ما بدأ..

قبل عدة أشهر..

- بشوقك يا صاحبي..

فور أن سمعت كريستينا تلك العبارة وعلمت بنهاية النقاش، هرولت نحو إحدى الغرف حتى لا يلاحظها محمد أثناء خروجه من غرفة أخيها. كانت في حالة من الذعر بعدما بدا لها الأمر أكثر وضوحًا؛ فقد

استنتجت أن الثلاثة يخططون لواقعة سطو على شقة جارتها وصديقتها ماريهان وأمها، وأن أخاها لا يعارض الأمر بشكل مطلق بل فقط يريد أن يغير الضحية من ماريهان لريتشارد الوافد الجديد للحي.

- كريستينا..

صرخت دون إرادة حينما سمعت نداء أخيها فتحركت ناحية غرفته بشكل سريع وفتحت باب الغرفة فلاحظ تغيّر ملامحها:

- مالك!.

بصعوبة بلعت ريقها وصمتت باحثة بداخلها عن العبارات اللازم الحديث بها في تلك اللحظة..

- ماتسمعش كلامهم يا أخويا.

استشاط غضبًا لكلمات أخته ونهض في عصبية شديدة جاذبًا إياها من شعرها بقوة صرخت على أثرها هي..



- تقصدي إيه؟!

صرخت من جديد وقالت باكية:

- سمعتكوا وانتوا بتتفقوا على سرقة دهب ميريهان وأمها.

دفعها بقوة نحو الحائط وهبط عليها صافعًا خديها..

- عارفة لو قولتي الكلام ده لحد.. هعمل فيكي إيه!

دفعته وهرولت لخارج الغرفة وهى تبكى بحرقة على تلك التصرفات الغريبة من أخيها، والتي لم تعتدها عليه أبدًا.. فكر مينا في تلك اللحظة من مطاردتها ولكنه تراجع في الحال وقرر تركها لحالها الآن..

توقف مينا عن حديثه مرة أخرى وساد الصمت لحظات بينه وبين الطبيبة، لتقطع الطبيبة الصمت سائلة:

- ندمان إنك ضربتها؟!



مسح دمعة سالت على خديه وأجابها:

- الندم كلمة قليلة أوي يا دكتورة.. سنين وأنا فاكر إني فاشل، ماليش لزمة.. بس ماحستش بقيمة كل حاجة كانت معايا إلا أما خسرتها!

أومأت قائلة:

- كلنا كده صدقني.

هز رأسه نافيًا مضيفًا:

- بس مش كلكوا مينا!

قالت مريم:

- كمل يا مينا.. كمل.

قبل بضعة أشهر..

يومها كانت الأوضاع في المنزل غير مشجعة كثيرًا على بقاء مينا في بيته فهمّ ليلاً بالمغادرة نحو المقهى

الشعبي في الحي الذي يعيش فيه آملاً ألا يرى أحد أصدقائه في تلك الليلة؛ فلا يريد المزيد من حديثهم عن اقتحام بيت مريهان وأمها.

حينما وصل مينا للمقهى كان شبه خالٍ من الجميع عدا محمود ثقيل اللسان، فتعجَّب قليلاً؛ فليس من الشائع أن يجلس ذلك الشاب الخجول بهذا المكان. فطالما كان يعلم الجميع أن محمود دائم الانطواء على نفسه؛ فكان يشعر بخجل من عصيان لسانه له، خاصة أنه سبقَ وتعرض للكثير من المضايقات من شباب الحارة..

- محمود.. إزيك؟

ابتسم محمود بمللٍ واضطر أن يعرض على مينا الجلوس معه..

- اااتفضل...

سأله مينا عن ريتشارد:

- أومال فين صاحبك؟



بدا في البداية أنه لا يفهم الحديث ولكنه تداركَ الأمر من نظرة مينا، فسأله مستفسرًا أكثر:

- تتقصد رريتشارد؟!.

أومأ مينا بالإيجاب..

- مممممعرفش.. من اممبارح ماشُفتهوش، تقرييبًا سسسافر..

شرع مينا في قول شيءٍ، ولكنه تراجع سريعًا عن ذلك القرار حينما رمق مرور مريهان أمامه وهي تتحرك ناحية بيتها، لوهلة انعزل عن المكان وتأمَّل خصلات شعرها الأسود وتحركات جسدها المتناغم، لم يتمالك نفسه وتحرك ناحيتها دون تفكير..

- مريهان.

توقفت تنظر حولها باحثة عن المنادي فوجدته يتحرك ناحيتها من المقهى فاستنكرت أن يكون مناديها ذلك الشيء سيء السمعة بالحارة كلها فالتفت لها لتتأكد أن

لا أحد يتابعها.. وقفت تنظر له دون كلمات، بينما تابع هو:

- ميريهان أنا كنت عاوز أكلمك في موضوع.

بمللٍ شديدٍ:

- خير..

تردد قليلاً في صياغة الكلمات خاصةً بعدما لاحظ ردّ فعلها البارد..

- ميريهان أنا مش سيء أوي للدرجة دي.. إدِّيني فرصة هتغير.

جاء ردها أكثر جفاءً عن السابق:

- مينا، لازم تنسى الموضوع ده.

قبض على يده بقوة ليتحكم في رعشته، واعتصر شفتيه بين أسنانه في عصيبة فبثَّت ملامحه في قلبها



الخوف، ومشت من أمامه مسرعة، ليصرخ فيها وسط المارة:

- كل ده عشان ريتشارد...

تحولت هرولتها لما أشبه بالعدو السريع لتغادر الشارع.. دخلت بيتها ودموعها تنهمر منها وقلبها يكاد يغادر صدرها من فرط الخوف والدقات المتتابعة.

- زي ما قُلتلك يا دكتورة.. كانت كل حاجة بتجبرني على التصرف اللي أنا اتصرفته.

- إنك تقتحم شقتهم؟!

- ياريت على كده وبس!

استوعبت حديثه ولم تحاول استباق الأحداث؛ فغيرت دفة الحوار قليلاً مرتابة من تصرفه مع جارته وسط الشارع والمارة..

- كان غريب تصرفك أوي.

وافقها في رؤيتها..

- ماكانش لازم أزعق، المفروض كنت أستوعب إنها مش عاوزاني وأسيبها لريتشارد.. بس.. بس ليه هو، كان إيه المميز فيه.. لحد دلوقتي مش قادر أفهم.. مش قادر أنسى بصته ليَّا.. لو كان طال رقبتي وقتها كان قتلني.

لم تفهم حديثه هذه المرة وشعرت بالمبالغة؛ فسألته باستنكار:

- كل ده عشان زعقت فيها في الشارع!

ضحك بألمٍ قائلاً..

- لا يا دكتورة.. كل اللي فات شيء واللي الجاي شيء تاني خالص.

هرول محمود من المقهى وأمسك بذراع مينا جاذبًا إياه بعيدًا عن أعين المارة..



- مايصحش كدا!! خخالص.

دفعه مينا في عنفٍ شديدٍ فسقط محمود أرضًا ناظرًا له بغضب، متمنيًا لو يستطيع تهشيم عنقه، ولكنه تراجع عن تلك الفكرة سريعًا ودفع الأرض في غضبٍ شديدٍ لتفريغ شحنة غضبه ثم نهض مبتعدًا عنه، وتبعه كل المارة، كل منهم تفرق في طريقه بينما ظلَّ مينا وحده في الشارع.

حينما عاد لمنزله كانت أمه قد علمت بكل شيء، نهرته.. زعقت فيه.. ضربته على وجهه.. وانتهى الأمر بأنها طردته متبرئة منه ومن بنوّته منذ تلك اللحظة، فهي لن تأوي لصًا في بيتها أبدًا؛ فقد كانت تعرف أنه صار خطرًا على الجميع..

قال مينا للطبيبة مريم:

- طاقة الغضب عَمِتني.. خرجت من البيت على بيت كريم قُلتله أن أنا موافق على أي حاجة يطلبها مني.

قالها وبدا عليه التوتر وجسده بالكامل يرتعش فأخرج من جيبه سيجارة وشرع في إشعالها وسحب منها نفسًا طويلاً وهو يرى الماضي شريطًا تسجيليًّا يُعرَض أمامه..

سألته الطبيبة وهي تعلم الإجابة:

- ليلتها دخلتوا الشقة؟!

ضحك ساخرًا، متألمًا، دامعًا:

- ياريت.

لم تفهم الأمر جيدًا..

- أومال.

أجابها:

- قتلناها!



صدمَتْها الإجابة حقًا، ولم تتمكن من إخفاء الذعر الذي ظهر على وجهها.. إنها الآن تجلس أمام قاتل وحدها، لم تكن تهتم لمعرفة تفاصيل أكثر من ذلك، فهي تجالس قاتلاً اعترف للمرة الأولى أنه قاتل، قاتل أزال عن عاتقه سرًا أخفاه عن الجميع... وهو الآن ليس لديه مشكلة في أنْ يقتل عالِم أسراره الوحيد..

لمحَ مينا في عينيها كل تلك المشاعر والخوف منه، فنهض من مكانه وهرول خارج المكان نادمًا على تلك الفكرة الحمقاء التي آلت به للاعتراف أمام أحدهم ومنحه أعظم سر في حياته، غادر المكان عازمًا على الهروب مجددًا؛ فهو ترك القاهرة متجهًا للإسكندرية ببطاقة هوية جديدة وحياة أخرى والآن هو بحاجة لهروبٍ جديدٍ..

إلا أنه فور خروجه من العيادة انهار وسقط على ركبتيه في منتصف الشارع وبدأ يبكي بحرقة قوية، التفت له الجميع.. لكنَّ أحدًا لم يتدخل..



من الجهة الأخرى أخرج آدم هاتفه وثبَّت عليه العدسة الخاصة بتكبير الصور البعيدة، نظر يمينًا ويسارًا حتى يتأكد أن أحدًا لا يتابعه، وشرع في التقاط الصور لمينا.. وبعدها أزال عدسة هاتفه ودسَّه في جيبه واعتلى درجاته البخارية ورحل عن المكان سريعًا..



هبوط حاد

في الدورة الدموية

(7)

حكاية: قرية طاحب

رحلت سامية بعيدًا، غادرت القرية وفشلت جميع المحاولات في التعرف على مكانها، محاولات استمرت لقرابة العام، بدون أيِّ فائدةٍ تُذكَر، فصارت سامية كأنها لم تكن أبدًا، بحث عنها أهلها في كل مكان من الشمال حتى الجنوب حتى سلموا بالأمر الواقع وتقبلوه مرغمين واعتبروا أنها ماتت، بينما عاش لطفي وحيدًا محاولاً تناسي الماضي بكل ما فيه من أحداثٍ مأساوية، لم يخبر أحدًا عن حياة زوجته الجنسية عبر الإنترنت، وتذكر المجذوب وكلماته عن وجود لعنة لفرعون ما بالمكان ستفتك بأطفاله، ووجود آثار أسفل بيته ليست بالفكرة البعيدة، فكل واحد أهل الصعيد يحلم بتلك اللحظة التي يجد فيها تمثالاً أو أكثر أسفل



بيته.. أو ذلك الحلم الوردي الأبعد بوجود مقبرة كاملة ممتلئة بالذهب والتماثيل القديمة، فكَّر أن يحفر في سرية تامة لعله يجد قاتل أولاده، وسيطرت عليه فكرة أنه طالما فشلَ في أن يكون أبًا فلا يجب أن يخرج خاسرًا من تلك اللعنة!

في صباح اليوم التالي استيقظ لطفي مبكرًا وقرر الذهاب للمجذوب مجددًا، أراد الحديث معه مرة أخيرة قبل أن يشرع في الحفر والبحث عن الذهب والخيرات االمدفونة تحت بيته المتواضع، الذي بلا شك لن يكون متواضعًا بعد أيامٍ قليلة.

في نفس المكان كان المجذوب جالسًا أرضًا وما زال يتلو الكلمات التي تشبه طلاسم الأشباح، تجاهل لطفي كل ذلك وذهب ليجلس أمامه، برفقٍ أمسكَ يده:

- فاكرني؟!

نظر له المجذوب بتركيزٍ بعض الشيء مستمرَّ في تلاوة كلماته غير المفهومة وتجاهل الرد عليه نهائيًا..



- جتلك قبل كده، قولتلي إن الفرعون هيقتل ولادي.

ردَّ المجذوب بهذيان:

- ولادي.. ولادي.. ولادي.

ضغط لطفي على يد المجذوب قائلًا:

- ركز معايا.. هو في آثار تحت البيت؟

تصلبت عينا المجذوب وحملق في حدقتي لطفي بتركيزٍ شديدٍ هامسًا:

- ماتوا.. بس أرواحهم في المكان.. إياك تقرب.

تمنى لو تمكن في تلك اللحظة من صفعه على خديه ومنحه لكمة تطيح بطاقم أسنانه بالكامل..

لماذا لا يحاول ذلك المجنون التركيز ولو لحظة واحدة؟!

لماذا لا يحاول قول كلمة وحيدة ذات معنى واضح؟!

جذبَه من ملابسه هذه المرة بقوة أكبر من السابق وصرخ فيه:

- عرفت منين إن ولادي هيموتوا.

بدأ المارة يلتفتون لذلك المجنون الذي يتشاجر مع المجذوب في الشارع، الجميع صار يلاحظ الأمر وكثير منهم كان على شفا التدخل؛ المشهد بالنسبة لهم هو مجنون يقاتل مجذوبًا، كلاهما يستحق السباب، كلاهما يستحق الضرب، كلاهما يستحق القتل..

قال المجذوب:

- هتموت.. زي ولادك ما هيموتوا كلهم.

بعدها ضحك بشدة.. ضحك بشكل هيستري؛ فلم يمنع لطفي نفسه من لكمه بقوة ليسقط المجذوب أرضًا متألمًا، امتزجت صرخات ألمه بضحكاته المخيفة ونهض لطفي من مكانه فرمق المارة وهم ينظرون له بسخطٍ لتعدّيه على المجذوب المريض فتجاهل نظراتهم ورحل عن المكان سريعًا.



في ذاك اليوم لم يذهب لطفي لعمله في الأرض ومكث ساعات اليوم كلها راقدًا في سريره بعدما أصابته حمى وقاربت حرارة جسده على الأربعين، فبدأ يهذي باسم سامية، فتخيلها تنظر له ساخرة، يصرخ يرفض صوته الانصياع له.

حينما عاد لوعيه كان ياسر صديقه بجانبه، فور أن رمقه تنهَّدَ براحة وقال بهلفةٍ:

- حمدالله على السلامة.

أجابه لطفي وجسده بالكامل يتألم:

- حصل إيه؟

ربت ياسر على كتفيه قائلاً..

- أسبوع وانت راقد.. الحمى كانت هتموِّتك لولا ستر ربنا كتبلك عمر جديد.

شعر لطفي أن ياسر يريد قول شيءٍ ولكنه متردد..



- مالك؟!.

أجابه ياسر:

- سيرتها يا اخويا مافارقتش لسانك.. قُلت كلام كتير، كلام خطير عشان كده ماخلتش أي حد من القرية يزورك لحد ما تفوق.

أمسك لطفي بيده..

- اياك تجيب سيرة.

ردَّ ياسر في الحال:

- عيب.. عيب يا أخويا ماتقولش كده.. آديها غارت في داهية وزمانها ماتت ولّا حصلها أي مصيبة.

لم يردّ لطفي ومالت رأسه في تعب مغمضًا عينيه..

- نام يا اخويا.. نام.



قالها ياسر مربتًا على كتف صديقه.. ليغمض لطفي عينه ويغوص في نوم ٍعميقٍ هامسًا:

«سامية..»

(8)

مذكرات: عيسى المصري

كلمات منير هذه المرة عشوائية، أظن أنني لا أفهم حالته حينما غنَّاها، أشعر بكونه مرتبكًا!، خائفًا!.. لا أعلم، أو ربما منير على ما يرام وأنا الذي يحيا بروحٍ عشوائية التصرفات والمشاعر.

كنت أتمنى من كل قلبي أن أنجح يومًا ما، لم تبدأ رغبتي هكذا، تمنيت ألا يتم رحيلي عن العالم إلا بعدما أتمكن من كتابة أعظم الروايات ولكن رغبتي صارت تتحول تدريجيًّا لنَيْلِ الشهرة مهما كان الثمن الذي سأدفعه مقابلاً لها، نظرة الجميع لك على أنك الناجح العظيم، الجميع يراك كائن أعلى من البشرية كلها، كأنك المخلص الجديد لهذا العالم.. أنت العظيم.. أنت..!!

عذرًا نحن نهوى العيش كالآلهة.. ولمَ لا أكون طالما الأمر متاحٌ!



لحظات الصراحة ما أبشعها.. تستغلك لتهدم عرشك الوهمي وتجبرك على رؤية حقيقة سرابك المحيط بك، بعدما انتهى العُرس الزائف لانطلاق روايتي المزعومة التي لا يهتم أحد بها، حاول المحيطون نقل التجمع لإحدى المقاهي فاعتذرت لهم شاكرًا وطلبت الرحيل فورًا، لم يهتموا كثيرًا فهم الآن يعلمون داخلهم أن كلاً منهم أدَّى دوره المطلوب منه. رحلوا وبقيت أنا مكاني للحظات أرمق الفراغ من حولي بعدها نظر بائع الكتب نظرةً ذات معنى كأنه يهمس: «ارحل الآن أيها الأحمق!»

لم أتمكن من العودة للبيت، شعرت أنني بحاجة لمكان هادئ أجلس فيه قرب البحر، فكان دخول أحد الشواطئ ليس أمرًا عسيرًا في ليالي يناير الباردة، وقُرب الشاطئ جلست على الرمال أراقب تتابُع الأمواج، شق البرق السماء فوقي وعَلا صوت تصادُم السحب وبدأ هطول الأمطار في كل مكان.. ثم.. لا أعلم متى ظهرت بجواري شهد..

- كنت أعلم أنك ستأتي إلى هنا.

فور رؤيتها نهضت من مكاني مسرعًا وزادت سرعة الرياح أضعافًا بينما تحركَتْ هي قُرب الشاطئ أكثر فبدأت الأمواج تداعب قدميها..

- أشعر بك.. طوال الحفل وأنت تسخط من وجودنا قربك، تشعر بالعار لأننا حولك، لسنا الجمهور الذي كنت تود أن تقابله في ليلة كتلك . صدِّقني أشعر بك وأكاد اجزم أن جميع المحيطين شعروا بك أيضًا.

لستَ صريحًا طوال الوقت.. لست صريحًا على الإطلاق..

فكرت في قولٍ كاذبٍ فيه شيء من الإقناع..

- لا.. أنتِ تفهمين الأمر بالشكل الخاطئ، إنه الحفل الأول لي والتوتر شيء طبيعي!

كادت الرياح تطيح بنا وصار هطول الأمطار أسرع من السابق، رفعَتْ شهد غطاء الرأس الخاص بحُلتها لتغطي شعرها البني القصير، وضحكت بصوت مرتفع:

- بدأتَ تجيد فن الكذب، لا تنسَ أنني من علمتك إياه.

لم أتعلم منك الكذب وحسب يا عزيزتي!

- لا تكن يائسًا، ألم ترَ ذلك الغريب المتحمس لطرق القتل في الرواية؟!

أجبتها بأسى..

- حتى لم يوقِّع الرواية منِّي.

ضحكت شهد فشعرت برغبة جامحة في الضحك أيضًا، فتركنا لنفسنا العنان وتعالت ضحكاتنا في المكان مختلطة بأصوات الرعد وأضواء البرق، ومع ذلك لم يفكر أحدنا في الرحيل من المكان..

- أين حبيبة؟!

- رحلت.

لمعت عينا شهد وقالت بحزنٍ مصطنع..



- دائمًا لا تشعر بك.. عشقت المطر يا أخي حتى أغرقَكَ.

قلت في نفسي: معكِ حق..

أما لها، قلت:

- لا أحد يشعر بي مثلها.

أشعر أنها صدقتني لحظتها.. كنت أتمنى أن أصرخ فيها وأخبرها بكوني صرت كاذبًا محترفًا الآن..

دام الصمت طويلاً وكلانا واقفًا ينظر لأمواج البحر الهائجة، استمر مدةً لا يعلم أيٌّ كم كانت.. وهدأت الأمطار.. وسكنت الرياح قليلاً لتُعلَن نهاية ذلك اللقاء بيني وبينها، نظرَتْ لي:

- سأرحل الآن، أشعر أنك صرت أفضل حالاً.. لا تقلق، سيكون الحال أفضل قريبًا.

- شهد.. سأخبرهم يومًا ما.. أنك كنتِ جيشي الوحيد.



- أحبك..

لم تنتظر ردًا واقتربت سريعًا وطبعت قبلةً على شفتي وهرولت مبتعدة..

رن هاتفي، كانت حبيبة هي من تتصل، رمقت اسمها وصورتها تنظر لي ببراءة.. قبلت المكالمة في تردد واصطنعت بسمة كاذبة وبدأت التغزل فيها بكلمات رقيقة..

- أين انت؟!

- تحت الأمطار!

- ولكن الجو بارد.

- ولكنه منعش.

كانت صامتةً.. ومازال تأثير قبلة شهد لا يفارقني..

- عيسي... هل أنت معي؟!



- نعم. معكِ، لا تقلقي أنا عائد إلى البيت حالاً.

- كنت رائعًا وسط أصدقائك... مميزًا، كنت الأفضل!

- أعلم.

- لا تتأخر يا عزيزي.

- بالتأكيد.

هدأ ضميري قليلاً بعدما تغزَّلت بها، شعرت أنني بهذا الشكل قد كفَّرت عن تقبيل امرأة أخرى..

حاولت أن أتناسى كل ما حدث.. وتمشيت عائدًا إلى البيت بعدما قمت بإغلاق هاتفي تمامًا؛ فلا أريد استقبال أي مكالمات سواء كانت من شهد أو من حبيبة.

انقطع صوت منير فجأة وانقطع معه حفل أفكاري، وظهرت المذيعة الأنيقة وحدها تتحدث عن الماضي والحاضر في عبارات متناقضة غير متناقسة، تخبرنا



عن العالمة المصرية «ريم رامي» وهي تصوغ البذرة الأولى لأول ذكاء اصطناعي مصري يحمل اسم «رومانا»؛ الروبوت المصري الذي تظن أنه سيحمل الكثير من عادتنا وتقاليدنا وعقائدنا حسب قولها والمستلهم فكرته من احدى الشخصيات التي عاشت فى مصر القديمة، وسرعان ما تُحدِّثُنها المذيعة عن صفحات إلكترونية تبث الرعب في الشعب بوساطة طلاسم سحرية وتسبِّب عددًا لا حصر له من الحوادث الإرهابية داخل بلادنا، وكادت أن تتطرق من جديدٍ لقضية القاتلة مُدَّعيَةَ الخلود والشهيرة بكاهنة المعبد أو عاهرته، لا أعلم؛ فتعددت الأقاويل حقًا في وصفها، ولكنني قررتُ ألا أنصِت للمزيد من هذا الهراء، وقمت بالانسحاب والاختباء داخل فراشي ومغادرة هذا العالم ولو لسويعات قليلة.

(9)

المختار

تعطلت حركة ريتشارد كثيرًا للإسكندرية خاصةً بعد موت الشاب بصورة مفاجأة داخل سيارة الأجرة وهبوط الشرطة عليهم من كافة الجوانب، وإجراء تحقيقات روتينية معهم لعدة ساعات لاحقة. استمر الأمر طويلاً وانتهى برحيل الجميع لبيوتهم ونقل الجثة للمشرحة لإجراء معاينة أخيرة، واتضحت كافة بيانات الفتى في بطاقة تحقيق الشخصية التي كانت بجيبه فاستطاع أحد ضباط الشرطة أن يخاطب أسرته بسهولة، ليحضروا لاستئناف كافة الإجراءات التي أجبرتهم على السهر والعمل حتى تلك الساعات المتأخرة.

وصل ريتشارد الفندق في محطة الرمل طالبًا غرفة لينام بها، ولم يجادل كثيرًا في سعرها كعادته؛ فقد بلغ الإرهاق منه مبلغًا.. حتى إنه دفع الأجرة بسرعة، بل زاد عن السعر المطلوب مائة جنيه وطلب فطورًا، سأله



عامل الفندق عن ماهية الأصناف التي يريدها فلم يجِبه وخطف المفتاح من يده صاعدًا نحو الغرفة.. ريتشارد ليس من الشخصيات التي يمكنك أن تقابلها كثيرًا في حياتك بصورة يومية.. أو قد لا تقابله أبدًا..

رغم أن ريتشارد لم يتم عقده الثالث بعد إلا أنه يمتلك بعض الشيب في جانبي شعره، كان ذا بشرة سمراء، وعينين بنتين.. وجسد هزيل.. كان ريتشارد مقتنعًا أن البشرية لن تفنى إلا بعد فناء النحل بخمسة أعوام كما أخبرنا أينشتاين. وكان يحب.. بل يعشق موسيقى ضوء القمر لبيتهوفن لسبب ما تُذكِّره بماضيه وسهره تحت النجوم بقريته الهادئة بعيدًا عن صخب القاهرة وزحامها؛ لذلك لم يكن يستمتع كثيرًا ببقائه بالعاصمة فيهرب دائمًا العروس البحر حقًا.. صحيح أنه لم يجد فيها ما افتقده، ولكنه على الأقل وجدَ بعضًا منه.

أزال عن جسده لباسه ومكث لحظاتٍ يطالع الغرفة كلاسيكية الطراز، في يسار الغرفة يوجد سرير ذو طلاء أسود لامع، بجانبه كومود بنفس الطلاء تعلوه مزهرية ورد تضفي على المكان لمسة جمالية لم يعتَد

عليها أبدًا ريتشارد منذ سنواتٍ عدة، فمنذ رحيل أمِّه في طفولته وفراقه لحبيبته في صباه اختفت عن حياته كافة لمسات الجنس الأنثوي الناعم اللطيف. حتى حينما منح لنفسه فرصة للتقرب لجارته بمسكنه الجديد بالقاهرة سلبه مينا وأعوانه تلك المنحة.. لتسقط قتيلة من عدة أشهر ويعود ريتشارد لحالته السابقة كما كان.. ولكن زاده أنه صارَ مذيلاً بنزعة انتقامية اكتسبها من روحِ خاتمه الغريب!

يظن بطلنا أنه مميز.. ومحتمل أن هذا الشعور كان السبب في يقينه واعتقاده بصدق الرجل الذي أخبره عن ذلك الخاتم بكونه خاتمًا عظيمًا مميز يمنحه الرب للقليل من البشر كنوعٍ من الاصطفاء لتنفيذ أوامرَ ما يريدها الرب من البشر.. تطلَّع ريتشارد في المرآة الموجودة بخزانة الملابس ونظر لجسده النحيف نظرة خاطفة فلمح الخاتم المعلَّق في السلسلة الفضية حول رقبته، لامسه بأنامله فشعر بخليطٍ من مشاعر متناقضة؛ فتارّة يشعر بالخوف والرهبة من ذلك الخاتم المميز وتلك المكانة التي يعتقد أنه احتلها منذ شهور..



وتاره بالفخر والزهو بنفسه لنَيْل ما لم ينَله سوى العظماء.. كما أنه متأكد من أن الرب لن يتجسد له ليخبره ما عليه من أوامر، ولكنه سيترك له الأمر ليتعرف على مهمته وحده دون تدخُّلٍ خارجيٍّ؛ فكانت كل تلك المشاعر هي المحرِّك الرئيسي لريتشارد لسرقة هاتف الفتى بعد موته داخل سيارة الأجرة وقد طواه داخل ملابسه بسرعة خاطفة دون أن يلاحظه أحد، لا يعلم لماذا قام بذلك التصرف.. لكنه فعله على أي حال.. اعتقاده بتميُّزه أجبره على عدم تجاهل أيٍّ أمرٍ غير اعتيادي؛ فقد تكون تفاصيل مهمته العظيمة داخل ثنايا أحد تلك المشاهد الغريبة.

أخرجه وظلَّ يتفحصه لحظات فكان إصدار الهاتف حديثًا كما هو واضح لإحدى الشركات الشهيرة المتخذة من التفاحة علامة تجارية لها، حاول تشغيله فلم يُلبِّ نداءه فقد فرغت بطاريته ويعلم أن لا شاحن آخر سيعمل مع هذا الجهاز سوى شاحنه الأصلي، فإذا أراد أن يبث فيه الروح من جديد فلا مجال سوى شراء شاحن آخر؛ فألقى الهاتف جانبًا على الفراش



وأخرج زفيرًا طويلاً بصورة قوية متخلِّصًا من غضبه المسيطر عليه.

حاولَ الاسترخاء قليلاً على فراشه باحثًا عن بعض الراحة بعد ذلك اليوم الطويل جدًا غريب الأحداث.. ولكن هيهات أن يجد راحته أبدًا؛ فقد طرق الباب عامل الفندق ففتح له ريتشارد وقد عاد ممسكًا بحقيبة بلاستيكية ممتلئة بالطعام، أخذها منه بسرعة دون أن يتكلم؛ فهو يعلم أن وقته أهم بكثير من الثرثرة مع عامل فندق.. أو أن هناك سببًا آخر يدفعه لذلك!

عندما أنهى ريتشارد طعامه، حاول النوم من جديد، لكنه ما إن بدأ النوم أخيرًا يعرف طريقه إليه، حتى أفزعه رنين هاتفه؛ فجذبه بتكاسل ونظر له بعينين ممتلئتين بالنوم؛ كان المتصل مسجلًا باسم (أبو الدهب)؛ فكر في البداية أن يتجاهل الأمر، ولكِنَّ ذلك المدعو «أبو الدهب» أصرَّ على الاتصال من جديد فأجبره على الرد لإنهاء الإلحاح..

- ريتشارد...

- أبو الدهب إزيك؟

- الحمد لله.. اتصلت أأكِّد عليك الميعاد.

- الحقيقة...

- لا إنسى.. هستناك.

- طيب.

- مع السلامة.

نهض ريتشارد من فراشه بعدما يئس من نيل قسطٍ من الراحة، وتحرك ناحية حقيبته مخرجًا منها حاسوبه المحمول، الذي قام بتشغيله ثم وضعه على الكومود.. تركه وقام ليعد لنفسه كوبًا من القهوة مستخدمًا غلايته الكهربائية التي صار يحملها معه باستمرار في تنقلاته بين المحافظات خاصةً أنه يعشق القهوة لحد الإدمان..



أعدَّ القهوة ثم عاد ليجلس أمام حاسوبه.. رشف من كوب قهوته ثم أخذ يطالع مقالاته باحثًا عن أمرٍ ما بتركيز شديد، ولوهلة توقف أمام إحدى المقالات التي قد كتبها سلفًا ونشرت قبل عام..

كان عنوان المقال: (قتل أم هبوط حاد بالدورة الدموية)

فخطفته ذكرى أحداث كتابته ذلك المقال، تذكر أنه كان من مقالته الأخيرة في جريدته قبل استقالته منذ عدة أسابيع. تذكَّر الملابسات والوقائع الغريبة التي أحاطت بالأحداث.. تذكَّر تعنيف رئيس التحرير له لاستمراره في البحث خلف تلك القضية مخبرًا إياه أنها انتهت، وأن المرحوم قد مات بصورة مفاجئة حسب قوله..

تذكَّر ابنة القتيل وهي تصرخ بأنَّ هناك سرًّا خلف الأحداث، وأن أباها كان في حالة توتر مستمر في أيامه الأخيرة وقد صارحها بصورة غير مباشرة عن قرب رحيله، بينما نفت أمها ذلك الحديث نهائيًا



وصرَّحَت أن أقوال القتيل كانت مجرد أقوال عابرة كأي أب يخشى على مستقبل أبنائه من المستقبل، وأنه كان دائم الحديث عن رحيله..

تذكَّر ابنه آدم.. شاب متهور سبق وتم القبض عليه مرتين بتهمة حيازة مخدرات وإدارة شبكة للجرائم الإلكترونية، وتم إخلاء سبيله في اليوم ذاته مستخدمًا مكالمته المشروعة لأبيه ليجبره على استخدام نفوذه لإيقاف الأمر قبل وصوله لساحات النيابة..

وأخيرًا تذكَّر المتوفي.. وكم التناقضات التي حملتها تلك الشخصية والتي كانت المحرِّك الرئيسي لظنه بوجود سبب جنائي لموته المفاجئ..

فتح ريتشارد المقال وشرع في قراءته..

قتل أم هبوط حاد بالدورة الدموية!

المقال الأول



لا يخفى على الكثير أنه طالما حمل «هبوط الدورة الدموية» على عاتقه ذنبَ ملايين من القتلى أو الوفيات، فهو دائمًا السبب الأنسب للرحيل في سلامٍ دون تشريح أو اتهامات أو تحقيقات ترهق رجال البحث الجنائي وأهل الراحل؛ فهي العبارة التي تريح الجميع دون استثناء، ولكن كم جريمة توارت خلف تلك الكلمات السمجة وكم قاتلاً هرب بسببها..

الأستاذ الجامعي والإعلامي الشهير والصحفي/ رمضان عبد الواحد، الراحل في ظروف غامضة.. والسبب المعتاد والساذج: هبوط حاد بالدورة الدموية!، هبوط قرر الانتقام بعدما ظهر الإعلامي على الشاشة قبل أيام من وفاته مشيرًا لاعتزامه على إذاعة سر خطير لاول مرة يمس العديد من الشخصيات العامة وأنه على وشك فضح شخصيات شديدة الخطورة في الدولة -معتبرًا أن تلك القضية التي يعمل عليها منذ شهور عدة بمساعدة بعض رجاله- ستمثل استقالته وأفضل خاتمة لمساره الإعلامي والصحفي.



ولكن الهبوط الحاد في الدورة الدموية كان يخشى تلك القضية فقرر أن يُجمِّد دماءه في أوردته ليتوقف قلبه عن الخفقان وليرحل رمضان في سلام بأسراره العديدة ولترتاح الشخصيات الهامة من همِّ الفضيحة وقضبان السجون..

ولكن يبقى عدة أسئلة هامة وخطيرة:

لماذا تم مسح إعلان الراحل رمضان عبد الواحد من على قناة اليوتيوب الخاصة به على الإنترنت؟!

لماذا أعلن رمضان عبد الواحد قبل عدة أشهر في حديثه مع صحيفة عربية عن تلقِّيه تهديداتٍ بالقتل؟!

صرَّح عبد الواحد أنه كان يتم عمله الأخير مع رجاله، أين هم الآن؟!

لماذا لم يخرجوا عن صمتهم ويتحدثوا بما لديهم إلا إذا كانوا قد تلقوا التهديدات أيضًا؟!

هبوط حاد بالدورة الدموية؟!.. احتمال!!



ريتشارد أمير

قتل أم هبوط حاد بالدورة الدموية!

المقال الثاني

أُغلقت القضية تمامًا والجاني الوحيد بالأمر كما قُلنا سابقًا «هبوط حاد بالدورة الدموية»، ولكنها ما زالت قيد التحقيق داخل مقالي الأسبوعي؛ فاليوم وددت أن أقترب أكثر من المشهد لنتطلع للأمر بشكل أوضح وأشمل.

كانت ريم رمضان عبد الواحد خير الأهداف لدينا؛ ومجرد أن طلبت منها اللقاء لبّت النداء، لأوجه لها بعض الأسئلة..

في البداية أحب أن أشكرك كثيرًا على تلبيتك للدعوة، وأقدم لكِ خالص عزائي في وفاة الوالد..

«متشكرة جدًا..»

س: قبل وفاة والدك بيومين كانت لكِ تدوينة على موقع تويتر تعبيرين فيها عن استيائكِ وخوفكِ من فقدان أبيكِ كأنكِ كنتِ على عِلمٍ بما سيحدث عما قريب.. هل هناك سببٌ خفيٌّ خلف تلك التدوينة؟

ج: في الحقيقة بابا كان مؤخرًا بيعاني من اضطراب نفسي شديد، كان دايمًا سرحان، قلقان، خايف من حاجة، حقيقي أنا أعرف إنه كان شغال على موضوع حسَّاس وكان كل ما يقرب من عرضه على الشاشة كان بيتراجع ويقرر تأجيل الموضوع، لحد ما مؤخرًا قرر إنه لازم ينهي الصراع النفسي ده ويعرض اللي عنده.

س: بالتأكيد كنتِ على عِلم ولو بقدر قليل عن الشخصيات اللي كان الأستاذ رمضان بيلمّح عليها في آخر حلقة له، هل هتستأنفي مشوار والدك في كشف الحقائق؟

ج: الحقيقة ماكنتش اعرف أي تفاصيل عن الموضوع، أما كنت بحاول أعرف كان بيقولي إن الأفضل إننا مانعرفش حاجة عن الموضوع ده إلا مع الجمهور، وإننا



لو عرفنا حاجة قبل الناس هيبقى فيه خطر علينا.. بس عمري ما شُفت بابا بيقابل حد خلال الفترة الأخيرة غير آسر ابن عمي.. إنت عارف إنه كاتب مشهور ودايمًا بيحب يستشير والدي في أعماله قبل النشر.. كان بيثق فيه جدًا.

س: ما هو موقفك تجاه تقرير الطب الشرعي الذي أرجع وفاة الوالد لسبب هبوط حاد بالدورة الدموية؟

ج: ما أعرفش!.. بس اللي أعرفه أو اللي أنا مؤمنة بيه إن هبوط الدورة الدموية مابيخليش شخص في لحظة واحدة يبدأ يتنفس بسرعة مبالغ فيها، وبعدها يشهق بقوة ويحصله تشنجات مخيفة لحد ما يبدأ في عملية قيء مستمرة لحد ما يتوفى.

س: ماذا كانت شكوكك تجاه الحادث فور وقوعه؟

ج: افتكرت إنه اتعرض للتسمم..

س: هل تظنين أن الشخصيات ذات النفوذ التي كان يسعى لها الوالد لتحطيمهم نجحوا في اغتياله وأيضًا



في إجبار الطب الشرعي ليكون تقريرهم بهذه الصورة؟

ج: ما أعرفش..

شكرًا جزيلاً آنسة ريم على وقتك الثمين..

ريتشارد أمير

قتل أم هبوط حاد بالدورة الدموية!

المقال الثالث

ما زال بحثنا في الجريدة قائمًا حول الوفاة الغامضة للأستاذ/ رمضان عبد الواحد، بعدما صرَّح بفضح عدد من الشخصيات البارزة بمجتمعنا المصري لتُزهَق بعدها روحه في ظروف غامضة أقرَّ البحث الجنائي بأنها لم تكن أكثر من هبوط حاد بالدورة الدموية، لذلك قررنا هذه المرة أن نُحاوِر الصديق المقرَّب للراحل، الفنان القدير/ مفيد شكري..



س: اسمح لي أن أكون صريحًا وألا أتجمل، فكلانا يعلم ما نحن بصدد الحديث عنه الآن، أعلم أن الأستاذ/ رمضان عبد الواحد لم يكن مجرد صديق لسيادتكم فقط، ألغاز كثيرة محيطة برحيله الغامض. ما تعليق سيادتك على تلك البلبلة المصاحبة للأمر؟

ج: اسمح لي أن أخبرك في البدايةأانني لم أقبل دعوتك تلك إلا لأضع حدًا لما يحدث منك ومن جريدتك غير المهنية، لا يوجد بلبلة حول رحيل رمضان سوى حديثك الأحمق عنه.. إذا تم حذف أي كلمة من حديثي أو نشر أخرى، سأطلب مقاضاة الجريدة عن ذلك..

س: أعدك سيِّدي أن كل كلمة تقولها سُتنشر.. ما تعليق سيادتك على حديث الراحل قبل وفاته عن كشف شخصيات عامة؟

ج: طالما تفشى فساد المحليات في بلادنا وقضايا الرشوة، محتمل أنه كان يعد لفضح أمرٍ ما له علاقة



بذلك، ألم تسمع عن عدد البنايات المخالفة التي تسقط وتدهس حياة الأُسَر تحت أنقاضها؟

س: اعذرني سيدي، كشف فساد المحليات ليس بالأمر الهام الذي يجعل الأستاذ/ رمضان يتخذه كقضية يُنهِي بها مشواره الإعلامي الهائل.. بالتأكيد هناك المزيد من الأسرار لم يُفشِها لسيادتك..

ج: محتمل.. ولكنني أعلم جيدًا أن رمضان حياته انتهت لأن عمره انتهى، وليس هناك شكوك حول اغتياله، وقد أكَّد الطب الشرعي ذلك، ومعروف أن تلك المؤسسة من أشرف المؤسسات بالمجتمع المصري.

س: وليس هناك أي احتمال أن الشخصيات البارزة ذات السيادة قد تمكنوا من تهديد الطب الشرعي لصياغة الأمر بهذه الصورة؟!.. أو أن الأمر يتعلق بشخصية قيادية كبرى لا يمكن فضح أمرها؟!

ج: أنت تراوغ كثيرًا في الأسئلة؛ لذلك سأنسحب من ذلك الأمر حالاً..



ريتشارد أمير

قتل أم هبوط حاد بالدورة الدموية!

المقال الرابع

انظر في المشكلة ستجد سببها امرأة، حملق في التفاصيل تجد الشيطان متربصًا لك. للأسبوع الرابع على التوالي وما زالت جريدتنا تدعم بحثي حول مقتل الأستاذ/ رمضان عبد الواحد، فلقد تمكنت من الاتصال بأحد العاملين بمشرحة (....)..

(المدعو / م.ش) الذي فور سؤاله عن الحادث كانت إجابته مختلفة كثيرًا عن الباقين.

س: بصورة مباشرة اسمع لي أن أوجِّه سؤالاً عن الواقعة، قتلٌ أم هبوطٌ حادٌّ بالدورة الدموية؟!

ج: ما أعرفش بالظبط كواليس الأحداث، بس أنا أقدر أقولك إن يومها المشرحة كانت في حالة ارتباك شديد، وأنا ما استغربتش أوي لأن السيد/ رمضان شخصية

مش عادية ده إعلامي شهير. اللي أعرفه إن السيد/ رمضان وصل المستشفى غ.ب مفارقًا الحياة.. وطبعًا طِبقًا للقانون ماينفعش المستشفى ماتبلغش الشرطة عن الوقعة طالما مامرِّش 24 ساعة على الدخول. في اللحظات اللي زي ديه بيتم شطب دخول الحالة المستشفى أصلاً، ولكن في حالة زي حالة رمضان عبد الواحد ماينفعش ده يحصل، استلمنا الحالة في المشرحة بشكل عادي بنفس الإجراءات الروتينية العادية لحد ما حصل اجتماع بين رئيس (...) وبعض الأطباء.. وبعدها خرجت نتيجة التشريح بهبوط حاد بالدورة الدموية.

س: بلِّغتني أن بداية اللقاء الصحفي بينا إنك شُفت واقعة غريبة، ممكن تحكيها؟

ج: يومها بالليل نسيت ورق تجديد بطاقة التموين الخاصة بيا، رجعت عشان أجيبه، سمعت صوت غريب أوي.. صوت كان جاي من قلب التلاجة، أما فتحت.. مش فاكر إلا لمحة سريعة على وشه.. كنت أول مرة أشوفه وما أعرفش إزاي قِدِر يوصل للمكان ده، أول ما

شافني ارتبك، وضربني على راسي.. وماحدِّش لحد اللحظة دي مصدق إن ده حصل!

شكرًا أستاذي لتعب حضرتك..

إذًا هناك سِرٌّ ما..

لا أشعر حقًّا أن سبب وفاة رمضان عبد الواحد يعود للهبوط الحاد في الدورة الدموية!

ولكن مَن القاتل؟!

ريتشارد أمير

قتل أم هبوط حاد بالدورة الدموية!

المقال الخامس (مُنع من النشر حسب تعليمات رئيس التحرير)

تمر الأيام والقضية وتنطوي صفحات القضية إلى الأبد، لا قاتل، لا جريمة، المتهم بائس، ساذج، سمج يُدعَى هبوط حاد بالدورة الدموية. حاولت مقابلة آدم



ونجحت بالفعل في ذلك، ولكنه بعد السؤال الأول غادر طردني وأخبرني أن والده رحل في سلام وأن أدعه يكمل مسيرته نحو الجنة التي يستحقها. طلب منِّي التوقف عن ذلك التحقيق الذي يُشهِّر بعائلته.. فليكن له ما يشاء.. لذا؛ أُعلن أن ذلك المقال سيكون الأخير في تلك القضية..

ترددت كثيرًا قبل أن أكتب تلك الكلمات ولكنني أشعر أنني لا أملك من الجرأة القدر الكافي لطيِّ كم الحقائق التي توصَّلت لها في الأيام القليلة الماضية. ذلك المقال هو إقرار بأنَّ ما حدث لرمضان عبد الواحد أكثر من هبوطٍ حادٍّ في الدورة الدموية.

وصلَ إلى بيتي الأسبوع الماضي بعض الوثائق من مصدرٍ مجهولٍ، الأولى وثيقة لشريط تسجيلي شديد الخطورة لتصوير مقبرة أثرية في إحدى القري النائية.

الوثيقة الثانية، حملت عدة صور لرجل في ثلاثينيات عمره، يرتدي ذلك الرجل في إحداها زِيَّ كاهنٍ، وفي أخرى يرتدي رداء أزهريًا، وصورة ثالثة له مرتديًا



ملابس كرة قدم، ويمارس تلك الرياضة في مكان ما غير مُحدَّد الملامح.. أما الصورة الرابعة فقد كان يرتدي ملابس سوداء بالكامل، ويقوم بعزف آلة كلارينيت.. وكانت تلك هي الصورة الوحيدة التي دوَّن عليها: (اتْبَع عازف الكمان).

وحينما قُمت بسؤال عامل الثلاجة السابق الحديث معه، أخبرَني بصورةٍ قاطعةٍ أنَّ ذلك الشخص هو نفسه مَنْ كان داخل الثلاجة مع القتيل رمضان عبد الواحد!

حاوَلْتُ مقابلة آدم مرة أخيرة لكنه لم يمنحني الفرصة لأشرح له ما توصلت إليه، ولن أنكر رهبته حينما أخبرتُه عن ذلك العازف وفرَّ هاربًا كعادته، حاوَلْتُ التوصُّل لابنته مرةً ثانيةً للتحدث معها وأطلب منها فتح أبواب القضية، لكنها أخبرتني أن والدها رحلَ في سلامٍ وطلبت مني إيقاف ذلك التحقيق..

أعتقد أنني اكتفيت من تلك القضية، وكل ما أشعر به أن عبارة «الهبوط الحاد في الدموية» تلك، سمجة للغاية..



هناك لغز..

هناك قاتل..

هناك عازف كلارينيت..

ريتشارد أمير

انتهى ريتشارد من مطالعة المقالات التي سبق وكتبها قبل ذلك ببضعة أشهر قليلة، راجعَ كافَّةَ تفاصيل هذا الأمر، قرأ من جديدٍ كلَّ سطرٍ كتبه سواءً نُشِرَ أو مُنِعَ من النشر، لم ينجح أيامها في حسم الأمر حيث كان الوحيد السابح عكس التيار. كان يدفعه في طريقه رئيس تحريره الباحث عن المبيعات والجدل، ولكنه سرعان ما تبدَّلَت مشاعره وتصرفاته هو الآخر وأجبر ريتشارد على التوقف، وحاول إشغاله بقضية أخرى ليشتت تفكيره عن ذلك الأمر نهائيًا.

كل ما قرأه ريتشارد لم يمثِّل أهمية كبيرة في تلك الأثناء ما عدا وصف ريم لرحيل أبيها..



«ابتسامات مخيفة، رعشة، قيء، تنفُّس غير منتظم، خوف، ذعر، تشنجات أشبه بنوبات صرع، سجل مَرضي نظيف للمريض إلا لو وُجِد شيء ما لم يُذكَر أبدًا..

أحسَّ برعشةٍ خفيفةٍ أسفل مؤخرة رأسه وهو يتذكر الفتى يتنقَّل بين الأعراض نفسها قبل أن يتخشب جسده وتغادر روحه المكان.. ليكون الهبوط الحاد بالدورة الدموية حاصدًا لروح جديدة لم يقتلها! أراد أن يتأكد أن الفتى يمتلك سجلاً مرضيًا نظيفًا خاليًا من الأمراض التي يحتمل أن يكون خبَّئها رمضان عبد الواحد.

قطع التفكير عند تلك اللحظة وقرر أخذ قسطٍ من الراحة.. حاول النوم من جديد لينجح هذه المرة، لكنه كان نومًا غير هادئ؛ فقد رأى الفتاة نفسها التي اعتاد زيارتها له في أحلامه وهي ترقص حوله مبتسمة فتغمره نشوة بالغة عند رؤيتها والتي سرعان ما تتبدل ملامحها لأخرى خائفة مذعورة وتشب بها النيران من العدم ليحترق جسدها بالكامل وهي تصرخ بصوت



مرتفع قبل أن تتفحم جُثَّتها أمام أم عينه. فيستيقظ بعدها مذعورًا، مضطرب التنفس، متعرِّق الجسد، فيرمق عقارب الساعة ليجدها الساعة السابعة مساءً.. وللمرة الثانية من عدة أشهر يستغرق في النوم بهذا الشكل الغريب عليه. يعلم أن عليه الآن النهوض سريعًا فبعد أقل من نصف ساعة سيقابل صديقة وابن عمته الوحيدة «أبو الدهب».

كانت مقابلة الصديقين حارةً من جانب أبو الدهب ومصطنعة الحرارة من جانب الآخر.. كان مكان لقائهما هو القهوة التجارية بمنشية الإسكندرية وهو مكان ممتلئ بالمراهقين والمراهقات مدَّعين العمق الفكري والتحرر المجتمعي الأشبه بالفساد الأخلاقي -حسب ظن ريتشارد-..

- ريتشارد.. والله زمان.

هبط عليهما عامل المقهى واضعًا أمامهما كوبين من الشاي بالنعناع كما يحبه أبو الدهب والذي طلبه دون

الرجوع لريتشاد ليتأكَّد من كونه يريد مشاركته مشروبه الخاص.

- إزيك يا أبو الدهب؟

جذب ابوالدهب الكوب ورشف منه رشفةً ثم ردَّ مسرعًا:

- بخير.. من يوم الحادثة وانت اختفيت..

كان ريتشارد دائمًا يمقت فضول أبو الدهب المبالغ فيه، فقد كان كثير الأسئلة، كثير التطلع، كثير الفضول، طالما امتلك ذلك الفضول المقيت نحو البحث في هواتف الجميع داخل رسائلهم الخاصة وصورهم.. يتطلع عليها بنزعة تقنعه أن تلك العادة أمر طبيعيٌّ.. بل وكان يغضب جدًّا إذا نهره أحدهم لقيامه بتلك التصرفات الصبيانية غير السوية.

ردَّ ريتشارد باختصار بإجابة غير واضحة:

- الدنيا بقى.. وكمان والدتك واخدة موقف منِّي من أيامها.

ضحك أبو الدهب متذكرًا الماضي، وموقف أمه المبالغ فيه أيضًا..

- إنت لسه فاكر..

حتى ريتشارد لم يسلم من تغلب الضحك عليه، فردَّ ساخرًا:

- ومين ينسى بس!!

رشف كلٌّ منهما رشفة من الشاي، ثم أردف أبو الدهب بصوت يشوبه بعض الألم:

- تعرف إن اتنين صحابي ماتوا يومها.

أومأ ريتشارد بأسى أيضًا.. فأضاف أبو الدهب بعدما استرجع شخصيته الفضولية المحبَّبة لديه..



- اللي مش قادر أفهمه، رُحت فين بعد الحادثة على طول؟

على الجانب الآخر كان ريتشارد يدرك أن السلاح الوحيد القادر على ردع فضول أبو الدهب هو اختصار الكلمات، أن تمنحه إجابة لا تُغِني ولا تُسمِن من جوع..

- مشيت!

باندهاش قال أبو الدهب:

- يعني انفجار في الكنيسة.. وناس ميتة وانت بتمشي بالسهولة دي.

ردَّ ريتشارد بمللٍ:

- أبو الدهب، صدقني في ألف موضوع تاني ممكن نكلم فيه غير ده.

- نفسي أفهمك يا صاحبي..

قالها ليرد عليه ريتشارد بطريقة حادة:

- عاوز تفهم؟!.. طيب!. أنا كنت عارف إن ده هيحصل.

لم يفهم أبو الدهب الكلمات جيدًا فحاول الاستفسار أكثر:

- عارف إيه؟!

أدرك ريتشارد أن صديقه يدفعه نحو فخ الحديث دفعًا..

- الانفجار.. الأشلاء.. الصراخ.

كالعادة لم يفهم أبو الدهب الحديث..

- يعني إيه؟!

أردف ريتشارد:

- زي ما أكون عِشت اللحظة دي قبل كده..

بإستغراب قليل ردَّ أبو الدهب:

- دي جافو..

حرَّك ريتشارد رأسه نافيًا الحديث وعدَّله مهمهمًا:

- لا، سميه عود أبدي..

ردَّ أبو الدهب..

- بس ده مبدأ إلحادي.

جذب ريتشارد كوب الشاي ورشف منه رشفة طويلة قضت على ما تبقى في الكوب، بعدها استفاض في الحديث للمرة الأولى باللقاء:

- عشان كده قُلتلك مفيش كلام أقدر أفسر بيه إحساسي وقتها، إحساس إنك بتهرب وانت مش مجرم، كنت خايف وحاسس بالذنب إن أنا ماصرختش وحذرتكم إن المكان كله هينفجر، هتصدقني لو قُلتلك إن أنا شُفت الشيطان وقتها...

ابتسم أبو الدهب وهو يسمع الكلمات ولم يمنع نفسه من الضحك الساخر فبادله ريتشارد الضحك والسخرية من نفسه لوقوعه في فخ الحديث معه، فكان يدرك أن

أحدًا لن يفهمه أبدًا، وأن الأفضل دائمًا هو كتم تلك المشاعر والاعتقادات داخله.. أفضل له وأفضل للجميع..

ضالتي!

(10)

حكاية: قرية طاحب

استمر بؤس شخصيتنا البائسة، لطفي بلا زوجة، بلا أطفال، مجذوبٌ ما أخبره أن الفرعون سيلاحقه، سيقتله كما قتل أبناءه..

ليلتها نام الحزين بصعوبة، لم يشعر بالسَّكينة أبدًا، شاهد نفسه محاطًا بعددٍ هائلٍ من المومياوات تحاصره من كل الجوانب، كان المكان مظلمًا إلا من ضوءٍ هذيلٍ بالكاد يتمكن من رؤيه بضعة أمتار قليلة أمامه، كان الضوء بلا مصدر، كما كان المكان كله بلا هوية يعلمها، كان يحاول الهروب، الهرولة، العدو السريع.. كلها أمور كانت تقوده إلى اللا شيء..

صرخ مناديًا زوجته الخائنة:

- سامية!



من بعيدٍ رمقَ زوجته تتمايل وسطَ حشدٍ لا متناهي من رجال ذوات سترات فرعونية زاهية، صارت تتعرى أمامهم، هرول ناحيتها ليمنعها من الاستمرار، ولكِنَّ من العدم برز عددٌ هائلٌ من القيود صارت تمسك به بقوة، أركعته رغمًا عنه، صرخ متوسلاً لها أن تتوقف ولكنها لم تسمعه، استمرت القيود في تحويل وضعه الراكع لآخر ساجد، كانت تضغط عليه بقوة جاذبة إياه نحو الأسفل، صرخ متألمًا ورأسه تنسحق..

- سامية.. أرجوكِ.

تعالت الطبول وتداخلت أنغام المعزوفات وتحسست أذنه صوت شهوتها والرجال محيطون بها، حاول رفع رأسه من موضع السجود، ولكِنَّ القيود جذبته لأسفل من جديدٍ.

صباح اليوم التالي تحول هاجس البحث عن آثار لرغبة أخت في السيطرة على نفس لطفي ساعة بعد ساعة ودقيقة بعد دقيقة، شعر بالحماقة في بداية الأمر



وحاول تكذيب نفسه كثيرًا، ولكنه وجد أنها التفسير الوحيد لكل ما يحيط به من أحداث غريبة وقاسية!

حاصرته الذكريات الأليمة مجددًا..

تذكر قول المجذوب وهو يخبره أن الفرعون سيقتل ابنه..

تذكَّر طلبه أن يرحل عن ذلك البيت حالاً..

وأخيرًا تذكَّر الشجار الأخير بينهما!

وحينما قرر تتبُّع المجذوب والنظر عن كثبٍ أكثر عَلِمَ بعدها عن طريق أحد كبار مشايخ البلد أن المجذوب عاش فترة طويلة مستأجرًا لذلك البيت الصغير قبل أن تنفد أمواله ليعيش بعدها متسولاً مجذوبًا ينطق بالهراء في كل مكان..

ماذا لو لم تكن كل أحاديثه هراء؟!

سأل لطفي نفسه..



البيت ملعون..

استمر لطفي في الانتقال من خاطرة لأخرى بصورة عشوائية ساذجة دون أن يجد إجابة لأيٍّ من تساؤلاته..

طلب لطفي المساعدة من صديقه الوحيد بتلك القرية والذي يمكنه المساعدة في ذاك الأمر.. المصدر الوحيد للثقة هو سمير الذي يصغره بعشر سنوات، سمير كان مهندس إلكترونيات متميزًا، يعيش أغلب أشهر السنة بالقاهرة. سمير الساخط على المجتمع والحكومة بل الدولة بأكملها، سمير الغاضب والذي لن يفكر مرتين في تحقيق ثروة مادية حتى لو كانت على حساب آثار البلد. ياسر كان الأقرب إلى لطفي، ولكن الأخير يعلم أن ياسر يستحيل أن يشارك في ذاك الأمر بل لا يظنه سيتجاهل إبلاغ المأمور بكل شيء..

- البيت عندي فيه آثار...



تفهَّم سمير الكلمات ولم يستطرد أكثر أمام زبائن القهوة، فهو يعلم خطورة أن يسمعهم أحد يتداولون مثل تلك الكلمات، فقد تتسبَّب في مقتلهم، فالجميع يعلم أن مثل تلك الأمور عبارة عن ملايين من الدولارات المدفونة تحت الأرض.

- هجيلك النهادره بالليل...

حاول لطفي الحديث من جديد فوضع سمير يده على فمه ليوقفه وقال بعبارة حادة..

- قُلتلك بالليل..

نزع يده ونظر حوله ليتأكد أن أحدًا لم يلاحظ ما حدث، وبعدما اطمأن قلبه أن كل شيء على ما يرام نظر إلى لطفي فأومأ الأخير وانحسب من المكان سريعًا..

ليلاً حاول لطفي شرح كل شيء لسمير؛ فلم يقتنع الأخير حقًا بالحديث، ولكنه رأى أن خوض التجربة لن يضر، بالعكس قد يستفيد، فاتفقا على أن يبدآ الحفر



سويًا في سرية تامة وساعدهما في ذلك بُعد البيت نسبيًا عن باقي القرية..

وبعد خمسة أيام من الحفر المتواصل، كان سمير يمسك في يده تمثالاً يصل لعشرين سنتيمتر من الذهب الخالص. وكلاهما منهما ينظر لعينيّ الآخر..

كلاهما يفكر في الخطوة التالية..

كلاهما يعلم أنهما على مشارف أن تتغير حياتيهما إلى الأبد..

كلاهما خائف..

كلاهما متحمس..

كلاهما عاجز عن إيجاد الخطوة التالية لهما..

ولكنهما وجدا ضالتهما أخيرًا..



(11)

مذكرات: عيسى المصري

ثلاثة أيام لن أنساهم أبدًا، ثلاثة أيام وأنا أشعر أني عاجز عن التواصل مع أي إنسان على وجه الأرض، أرى السخرية والاشمئزاز في عيونهم، أحاول الاختباء قدر الإمكان منهم، من نظراتهم، من همساتهم. ولكن عندما جاءني الهاتف المنتظر لم أتردد؛ فهي الوحيدة القادرة على منحي بعض الثقة بمشاعرها الصادقة الحانية، استجبت للمكاملة فورًا فكانت شهد –وليست حبيبة- صديقتي البلهاء صاحبة الأسئلة الحمقاء في الحفل والقُبلة المتهورة تحت الأمطار.

- أعلم أنك حزين، وأن أمورك ليست على ما يرام.

تبًا للقدر حينما تكون فتاة أحلامك في جسد عاهرة!

- لا، أنا بخير...

ضحكَتْ بهدوءٍ..



- كأنني لا أعلم..!

- وكيف لا أكون سعيدًا؟ نجح حفل توقيعي الأول وأخبرني الناشر أن الطبعة شارفت على الانتهاء.

ضحكت مجددًا..

- كأنك لم تكن ساخطًا يومها علينا، وكلما نطق أحدنا بكلمة كنت تتمنى لو تهشِّم عنقه بيدك، كنت ترانا نُقلِّل من شأنك، كلما حاول أحدهم بث فيك الثقة نفرت منا وظهرت السخرية في عينيك، حتى ذلك الغريب أعجبت بكلماته في البداية بعدها تمنيت لو قتلتَه هو أيضًا..

كانت محقة.. لذا فقد التزمت الصمت، لتردف هي..

- لماذا لا تقابل حبيبة فهي بالتأكيد ستكون الوحيدة القادرة على التخفيف عنك في تلك اللحظات.

نعم..

هي الوحيدة..

مهلاً، هذه لحظات الصدق..

لا يا عزيزتي فهى ليست قادرة، أو لا تشعر أصلاً بكوني غاضبًا، يائسًا، محبطًا، دومًا لا تشعر بشيءٍ على الإطلاق، يا ليتها تملك نُص مشاعرك أو ربعها أو أقل حتى.. بدلاً من تلك المشاعر الباردة التي تمتلكها..

- أيمكننا أن نتقابل؟!

نعم أنا من عرض عليها ذلك!

أنا لا لست خائنًا!، ولكنني ضعيف وكنت في حاجة للاحتواء فقط في ذلك الوقت!

أنا خائن.. ولكن ليس الآن..

- بالتأكيد..

بتردُّدٍ حاولت سؤالها فتفهمت الأمر وأجابتني دون سؤالٍ:



- لن أخبر أحدًا.. لن أخبر حبيبة أبدًا.

أنا أحب حبيبة وبالتأكيد سأتزوجها ذات يومٍ!

وأحب شهد هي الأخرى، لكني لن أتزوجها أبدًا!

أحب أن أكون بقرب حبيبة في لحظات سعادتي وانتصاراتي الحقيقية.. وفي لحظات فشلي وضعفي لا تفهمني سوى شهد!

فهي ضالتي لتحريري من ذاك البؤس..

سأكمل الكتابة لاحقًا..

نسيت أنها كانت المرة الأولى التي أكتب فيها بدون صوت منير.. محتمل أن يكون هذا سبب ذلك الارتباك في الكلمات!



(12)

المختار

قبل موت الفتى بثلاثين يومًا..

بعد مقتل ميريهان، هربَ كريم في اتجاه مخالف كثيرًا لمينا، فقط رحل لإحدى القرى النائية في الصعيد ليختفي تمامًا عن الأنظار وصنعَ لنفسه تاريخًا مزيَّفًا يخدع به أهلها، فكان بعد عدة أسابيع قليلة واحدًا منهم. حاولَ تناسي الماضي وصُنع حياة جديدة له؛ فعمل في صيدلية دكتور عبد الغفور مساعد صيدلي وحرص أشد الحرص على تعلُّم المهنة لينفرد بالعمل فهذا المكان بعدما أدرك أن تعلُّم حركة البيع والشراء للأدوية ليس بالأمر المستحيل تعلُّمه خاصةً أن القانون متهاون كثيرًا في التعامل مع تولي غير الصيادلة حركة البيع والشراء داخل جميع صيدليات الجمهورية!

وما هي إلا أسابيع حتى كان لكريم لقب طبيب بشكل رسمي من أهل القرية، أخبرهم أنه وحيد وقد عانى

كثيرًا من زحام القاهرة وغلاء أسعارها وطالما وَدَّ الحياة في الريف فكانت تلك القرية ملجأ له، خاصة أن متعارف عن أهلها حُسن خلقهم وعموم انسانيتهم واحتواؤهم للجميع..

يومها دخلت فاطمة الصيدلية بوجه باسمٍ كعادتها.. فاطمة، البالغة السابعة من عمرها، ابنة سمير خليفة أحد رجال القرية ذوي السيرة الحسنة والمشهود لهم بالأمانة.

- إزيك يا فاطمة؟

- إزيك يا كريم؟

ضحك كريم قائلًا:

- إيه اللي جابك متأخر كده؟

أخرجت من جيبها ورقة صغيرة ومنحته إياها قائلة:

- بابا بيقولك هات الحاجات دي، وبيقولك هيحاسبك بكرة.

قرأ كريم محتويات الورقة ثم همَّ لإحضارها سريعًا.. وبعد أن أعطاها إياهم رآها تخرج من جيبها وردة لتمنحها له.. رفعت يدها الصغيرة ناحيته وابتسمت:

- اتفضل..

أخذ منها الوردة مبتسمًا:

- عشاني؟!

- شِمَّها...

ضحك بشكل هادئ ورفع الوردة ناحية أنفه لتخطف الصغيرة حقيبة الأدوية وتهرول مبتعدة عن المكان برشاقة وخفة ظِل.. لكنه ما إن استنشق رائحة الوردة حتى أحس أن المكان يدور به وأن الأرض تتحرك من تحته.. وشعر نفسه ثقيلًا لا تستطيع قدماه أن



تحملاه.. وما هي إلا ثوانٍ حتى هوى سريعًا على الأرض فاقدًا للوعي..

حينما فتح كريم عينيه كان لا يصدق موقعه الغريب؛ فما معنى أن تمنحه طفلة وردة بمجرد أن يستنشق رحيقها يفقد وعيه في الحال ليستيقظ بعدها مقيدًا على شريط السكة الحديد، يحاول فك قيود يده عدة مرات فيفشل.. ليلجأ إلى تحريك قدميه فيجدهما أشد عجزًا من أطرافه العليا، يصرخ عدة مرات، ولكن ليس هناك من يسمعه.. يقتله التفكير في ذلك التصرف غير المبرر وغير المفهوم له.. يتساءل عن كيفية امتلاك الصغيرة وردة تحتوي على مخدِّرٍ من نوعٍ ما!.. فكر في احتمالية أن يكون أبوها هو مَن منحها تلك الوردة لكنه تعجب لهذا الأمر لعدم وجود سبب يجعل الرجل يفعل ذلك.

أرهقه التفكير فتوقف في الحال وشرع في الصراخ من جديد ليأتيه نفس الرد؛ الصمت، فلا أحد هنا لينقذه!، عاد يصرخ بقوة أكثر من السابق عسى أن يلتفت له أي مار، ولكن المنطقة كانت مهجورة تمامًا



من البشر. لم تمر دقائق حتى عمَّ المكان ضوءٌ قادمٌ من خلفه.. الحصى الموضوع بين القضبان يهتز بقوة.. أدرك أن القطار قادم ومؤكد سيسحقه.. فأخذ يصرخ بصورة أقوى من أي مرة مضت.. حاول جذب أطرافه بقوة لكنه فشل بالطبع.. تتعالى الأصوات من حوله.. يحاول أن يصرخ في السائق طالبًا منه أن يتوقف.. وفي لحظة شعر بالنهاية وداعبت.. مرَّ شريط عمره أمام عينيه في ثوانٍ.. بدأت رائحة الموت تتسلل إلى أنفه فشعر برعشة مخيفة سكنت معها حركته واستسلم للنهاية غير المبررة له حتى اللحظة.. يرحل عن العالم بسبب رائحة وردة منحته إياها طفلة في السابعة من عمرها، يغمض عينيه لثوانٍ أخيرة هامسًا بأولى كلمات الشهادة لكن الوقت لم يسعفه لإنهائها؛ فقد سبقه القطار بسحق جسده بالكامل.

أمام حاسوبه جلس آدم يرمق شاشته السوداء بتركيزٍ شديدٍ، يرمق عددًا هائلاً من المصفوفات التي تتغير أمامه بسرعة كبيرة، تمر حدقتاه بسرعة بين سيل هائل من المعلومات الرقمية، في خليفته صوت ضعيف

لمحمد منير تكاد لا تميز منه إلا نبرته المميزة، يعطر المكان رائحة الياسمين، خلفه على الفراش تستلقي أمل عارية الجسد وهي تدخن لفافة تبغها متابعة تركيز آدم الممل..

- هتطوّل؟!

لم يجبها، يعلم أن تلك اللحظات الحاسمة لا تحتاج إلى تشتيت، آدم على مشارف اختراق الضحية، لحظات وسيكون أحدهم كالفريسة، حسابات مصرفية، وثائق، عقود، بيانات شخصية.. كل شيء يقترب.. أخرج آدم زفيرًا طويل بعدما تأكد أن الفخ قد نُصب بصورة متكاملة.. والآن لا يملك إلا الانتظار.. انتظار سقوط الفأر في المصيدة، خطأ بسيط من الضحية وحياته كلها ستنتهي، خطأ بسيط وسيصبح ورقة مكشوفة أمام آدم..

- آدم..

- ممكن تمشي يا أمل دلوقتي؟



بعصبية نهضت أمل من فراشها وشرعت في ارتداء ملابسها وسط تجاهل آدم، لحظات وغادرت وبقي آدم غير مبالٍ لما حدث وعيناه متصلبتان على الشاشة ليتابع حاسوب ضحيته وهو يُخترَق في أي لحظة، فجأة أخذت الأرقام تدور في شكل دائري غريب، تبدَّل اللون الأسود بآخر احمر، كان حاسوب آدم تحت التحكم عن بُعدٍ.. ارتعش هاتفه فسحبه مسرعًا ليجد رسالة من رقم مجهول..

قام بفتحها على الفور..

«للمرة الأخيرة أحذرك.. أنا لست بمزاج جيد لألعابك الصبيانية تلك

أنت تجيد الهاكر.. وأنا أجيد الأرقام!

لا تكن مطلعًا أكثر من اللازم، فثمن الاطلاع أحيانًا يكون الموت بني!

ألقى هاتفه بعيدًا ولم يلاحظ اتصال ريتشارد فنهض من فراشه، ووقف أمام مرآة خزينة ملابسه عاريًا



يرمق جسده النحيل وذلك السواد المتفشي أسفل عينيه ورعشة يده غير الملحوظة، صدح صوت الهاتف من جديد فسمعه هذه المرة، أخذ يبحث عنه داخل ثنايا فراشه حتى عثر عليه، رمق اسم ريتشارد فردَّ سريعًا..

- ريتشارد.. فينك...

بصوت حاد ردَّ ريتشارد:

- موجود يا آدم.. عملت إيه في اللي طلبته منك؟!

كان آدم لا يحب طريقة حديث ريتشارد المصطنعة، ولكنه تقبّلها وردَّ متجاهلاً مشاعره الساخطة:

- كله تمام.. جهزتلك كل حاجة، تتبّعتلك موبايله وخط سيره اليومي، شخص روتيني جدًا.

ردَّ ريتشارد باختصار:

- كويس...

لم يتحمل آدم أكثر فانفعل..

- ريتشارد.. كنت...

قاطعه ريتشارد:

- مالك يا آدم.. عاوز تقول ايه...

ليضيف آدم بثقة:

- إوعى تكون فاكرني مش فاهم إيه اللي بيحصل.. أنا عرفت إن كريم مات، وما أعرفش انت عاوز مينا ليه.. بس عارف إن مصيره مش هيختلف كتيرا، بس قطر برضو؟

صمت ريتشارد لحظات وآدم مستمع أنه تمكن من اختراق عقله وتعطيل كل خلاياه؛ فلم يكن آدم يجيد اختراق الحسابات البنكية وحسب بل كان شخصية متعددة المواهب، مواهب هو نفسه لا يدرك مدى أهميتها..



- آدم، قُلتلك كذا مرة ليك فلوسك بس !.. ياريتك كنت فضولي كده في قضية أبوك، جايز كنا عرفنا مين اللي قتله!!

بغضبٍ ردَّ آدم:

- طيب...

استعاد ريتشادر ثقته وأردف آمرًا:

- النهارده هنتقابل في نفس المكان...

- ماشي..

- سلام..

يعلم آدم أن ريتشارد من أغرب الشخصيات التي لا يمكن تتبعها أبدًا، لا حساب فيسبوك ولا حساب واتس آب، لا علاقات بنكية، لا بطاقات ائتمان، ولا يملك هاتفًا ذكيًا يمكن تتبُّعه.. شخص غامض، مغرور، قاتل تقريبًا.. كل ما يعلمه آدم عن ريتشارد أنه صحفي مثير

للبلبة، دائمًا ينشر تصريحاته الشخصية عن بعض الأحداث، ودائمًا لا يتم استئناف مقالاته وتحقيقاته الصحفية بسبب كَمّ القضايا التي تلحق بالجريدة..

مع ذلك يعلم أنه ذكي جدًا..

ومخيف أحيانًا..

بعد ساعة من حديثه مع ريتشارد طرق أحدهم الباب فقام آدم ليفتحه متوقعًا أن يكون عامل توصيل الطعام قد جاءه بالغداء ولكنه تفاجأ بوجود ريتشارد أمامه، تعجّب كثيرًا من ذلك التصرف الأحمق الجديد من تلك الشخصية الملعونة غير المفهومة، الذي يشك بنسبة لا بأس بها في كونه قاتلاً أحمق!

كان لسان عقله يتساءل عشرات الأسئلة، دخل ريتشارد الشقة دون أن يسمح له آدم بذلك. وتبعه كأنه الضيف بالمكان، كان تأثير المخدرات ما زال يهيمن على عقله فجعله يتعثر في الحديث ويتعثر في إيجاد الكلام الذي يبدأ به..

قال آدم بلسان مرتعش بعض الشيء:

- مش كان المفروض...

جلس ريتشارد في نهاية الغرفة على أحد الكراسي يرمق حالة آدم بشفقة ثم تكلم مقاطعًا حديثه:

- ماكانش هيبقى فخور بيك.. لمنظرك ده.

يحاول آدم الاندفاع.. الصراخ.. السباب.. طرد ريتشارد.. لكن لسانه عاجز، بائس، يائس.. يردف ريتشارد:

- أبوك اتقتل.. في البداية كنت شاكك بس دلوقتي أنا متأكد...

بصعوبة صرخ آدم فيه:

- مش كنا خلصنا من الحكاية ديه...

أومأ ريتشارد ولم يضف كلمات أخرى في ذلك الموضوع وغيّر دفة الحديث..



- هات الورق..

تحرك آدم ناحية خزانة ملابسة وفتحها فسقطت ملابسه المتكدسة عليه، أزالها عن جسده بحركات غير ثابتة وأخذ يبحث بين المتبقي منها في الخزانة للحظات، بعدها أخرج يديه حاملاً مجموعة من الأوراق وبعض الصور الفوترغرافية.. ومنحها لريتشارد..

- اتفضل..

سحب ريتشارد الورق، وأخذ يتطلع في الصور لحظات فشاهد شابًا يرتدي زي نادل يعمل بأحد المطاعم الشهيرة، صورة أخرى للشاب نفسه أمام أحد الفنادق، وثالثة يقف الشباب أمام ماكينة صرف بنكي..

- تتبعت حسابه البنكي؟!

تحرك آدم ناحية فراشه وألقى بجسده على سريره وهو يجيب:

- حسابه مايكملش ألف جنيه...

أومأ ريتشارد في تفهُّم وأخذ يستظهر باقي الصفحات ليتوقف عند إحداها، كانت صورة لفتاة تبدو في العشرينيات.. يعلم ريتشارد هويتها، يعلم أنها القتيلة التي سُفِكَت دماءها في أيامه الأخيرة في القاهرة قبل رحيله عنها اللي الإسكندرية متتبعًا القتلة.. حاول تجاهل الأمر ولكن آدم كان ينتظر تلك اللحظة.

- صحفي يتتبع قتلة جارته.. للانتقام.. مابعرفش أجيب عناوين مبهرة زيك، بس بفكر فيه بقالي يومين.

صمت ريتشارد لحظات يفكر في كلمات آدم..

- مش خايف أقتلك زيهم؟!

ضحك آدم ساخرًا من غباء صديقه الذي اعترف على نفسه بسهولة دون أي مراوغات متوقعة وشرع في الوقوف متأرجحًا..



- ماتقدرش...

صمت ريتشارد يفكر في الأمر لحظات، بينما أضاف آدم:

- تضمن منين إن الورق ده مايكونش مع حد تاني.. تضمن منين إني مش بصورك دلوقتي، إنت أذكى من كده بكتير يا ريتشارد، عمومًا أنا أصلاً مايهمنيش انت ناوي تعمل إيه.. اقتلهم بس بلاش استعراض تاني، فكرة قضيب القطر خطر.. ماتكررهاش، مينا لو اتقتل، أي ظابط هيربط بينهم وبين قتل جارتك دي، وهيرجعوا للحارة الحقيرة اللي جيت منها هيكتشفوا غيابك.. وهتكون المتهم الرئيسي...

بدت كلمات آدم لريتشارد مملة في البداية، ولكن بعد استرساله في الكلام رآها ريتشارد أكثر قوة وجاذبية.. تلاشت الصورة التي رسمها ريتشارد عن آدم، كان يعلم دائمًا أن الأخير يمتلك نسبة ذكاء ليست بالمتواضعة وأنه متميز كثيرًا في عمليات النصب واختراقات الحسابات البنكية والصفحات الشخصية على الإنترنت

ولكنها المرة الأولى التي يرى فيها آدم يستخدم ذكاءه في القتل وإعداد الجرائم، رغب ريتشارد أن يستأنف آدم كلماته ولكنه شعر بالحرج لطلب المساعدة، إلا أن الأخير تفهم الأمر فأضاف:

- قُدَّامك حلين.. يا إما قضاء وقدر.. يا إما مايبقاش فيه جثة.

أومأ ريتشارد في تفهم، وأخرج من جيب سترته ظرفًا فيه الأمبلغ المتفق عليه وألقى به على فراش آدم، ثم تحرك ناحية باب الشقة ليغادرها ولكن آدم أوقفه بكلمته:

- حقيقي إنه ماكانش هبوط في الدورة الدموية؟!

التفَّ ريتشارد لآدم ورمق جسده الهذيل المرتعش وخطواته غير المهتدية وأجابه:

- قريب هقولك على كل حاجة..

انغلق الباب، آدم حائرًا في خبايا مقتل والده، وريتشارد يستعد لتنفيذ قصاص آخر من قتلة جارته بعدما وجد ضالته أخيرًا..

هل سمعت الشيطان يغني؟!

(13)

حكاية: قرية طاحب

داخل غرفة اجتماعات مؤسسة الحسيني للصناعات الدوائية، اجتمع مازن صاحب المؤسسة والمدير التنفيذي فيها بكبار رجاله بعدما اتصل به المستشار عصام عبد الوهاب لضرورة عقد هذا الاجتماع في خلال أيام، فاضطر مازن للسفر جوًا من شرم الشيخ؛ حيث يعيش في المنتجع السياحي الخاص به..

- بنى المؤسسة دي جدي من أكثر من مائة عام، كان بيحلم إن شركته تبقى الرائدة الأولى في صناعة الأدوية في العالم كله، صحيح إنه ماقدرش يحقق جزء من المليون من حلمه ولكنه يكفيه البذرة الأولى.. أبويا استأنف ده وبعده أنا.. لحد ما بقى رأس مالنا بالمليارات، وبقينا الكبار في البلد دي.. إحنا المقدمة ومش هنرضى بغير ده.. مهما كانت الظروف، فاهمين؟!.. مهما كانت..

قال المستشار عصام عبد الوهاب:

- مستر مازن، فيه تراجُع كبير في مبيعات أدويتنا سواء المصنعة أو اللي قُمنا باستيرادها، الدولار تضاعف سعره فبالتالي الخامات بقت الضعف، وتسعيرات البيع محكمة.

ثم تحدثة سيدة أرستقراطية بطريقة ساخرة:

- كأنهم بيحاربوا نفسهم!

بغضب انفعل مازن:

- الوضع بقى في منتهى السخافة.

تدخَّل في الحديث بعبارات ثابتة وواثقة، رجلٌ خمسيني العمر، أصلع الرأس، يرتدي نضارة ذهبية كلاسكية:

- أعتقد إني عندي حل للأزمة...



صمت الجميع حتى مازن نفسه منتظرًا حلاً لتلك الأزمة التي تتعرض لها شركتهم منذ عدة أشهر..

- أعتقد إننا بحاجة لكتلة قوية تقدر تقف قُدَّام اللي بيحصل، لحد ما يبطلوا التدخل، هنهددهم إننا هنقوم بتصفية كل أشغالنا في مصر وهنمشي ببساطة.. القناة اللي نملكها هي القناة السياسية الأولى في مصر، قناتنا بتحرك الشارع المصري وتتحكم فيه ببساطة، هنستغل كل صوت فيها لصالحنا، لازم تعرف الحكومة كلها أن الأمور مش بتمشي كده.. وطالما قبلوا على نفسهم الدخول في السوق التجاري والمنافسة فيها يبقى بحساب مش بالأسلوب ده خالص.. كل حاجة وليها أصول.

قطع المستشار عصام الحديث بدبلوماسيته المعتادة..

- وليه نلجأ للأسلوب ده معاهم، ليه مانتفاوضش بهدوء لحد ما نوصل لحل يرضي الكل؟!.. الوقوف قُدَّام الحكومة إعلاميًا هيفتح علينا أبواب كتيرة، كمان

يقدر إنه يقلب الشارع علينا وهتكون خسائرنا فادحة أكتر وأكتر.. والتهديد بتصفية أعمالنا مش هيدخل عليهم.. الموضوع محتاج دهاء أكتر من كده.

انتهي الاجتماع ورحل مازن نحو مكتبه في الطابق الأخير من مبنى المؤسسة، في المصعد الكهربائي تقابَل مع إنجي سعيد التي أخبرته أنها بحاجة لإجازة وضع فوافق على الفور وأخبرها أن تمر على الخزينة لأخذ مكافأة مادية تساعدها في أيام إجازتها؛ فشكرته بوِدٍّ كبيرٍ وتفرقا في الطابق السابق لطابق مكتبه، رحلت بينما يفكر هو في تلك الأزمة التي يمر بها وكيفية إيجاد حلٍّ يرضي كافة الأطراف.

بدون أن تطرق الباب كعادتها اقتحمت جليلة المكتب.. للوهلة الأولى التي ترى فيها جليلة لا يمكن أن تتخيل أنها قد تجاوزت منذ بضعة أيام عامها السابع بعد الثلاثين، كانت جليلة تملك جسدًا رياضيًّا نحيلاً اكتسبه من على مدار ثلاثين عامًا من تدريبها المتواصل في السباحة، جليلة رُشِّحت مرتين للمنافسة في الألعاب الأولمبية ولم تحقق فيها مراكز فلم تقدم



على المنافسة الدولية مجددًا وظلت تمارس السباحة بهدف الحفاظ على قوامها لأطول فترة ممكنة، كانت جليلة ذات بشرة تميل للسُمرة قليلاً، خالية من أي تجاعيد، وشعر شديد السواد، إلا أنها كانت تملك حدقتين خضراوين خضارًا ملفتًا وغير متناسق مع هيئتها، كان مازن يظن في بداية عملهما سويًا أنها تضع عدسات لاصقة، ولكنه عَلِم بعد ذلك أن لعلوم الوارثة طفراتها غير المغفورة أحيانًا.

قالت جليلة بدون كلمات ترحيبية:

- موبايلك حالاً..

زفر في غضبٍ، ثم قال لها بدون أن يمنحها اهتمامًا كبيرًا -فهو يعلم أنها بكل تأكيد تحمل خبرًا كارثيًا جديدًا-:

- خير..

- استقبلت على الميل الخاص حالاً رسالة من مدحت عن قرية اسمها طاحب.

أسند ظهره للخلف ثم قام بإشعال سيجارة وسحب منها نفسًا طويلاً.. كم كان يودّ لو استمع لمثل تلك الأمور من شهور سابقة، يعلم أن تهريب الآثار كان أسهل في السابق، والآن الأمور بالكاد مستتبة.. ولكنه لم يسبق الأحداث كثيرًا وأشغل نفسه بالإنصات بدلاً من توقع الأسوأ..

سألها وهو يعلم الإجابة:

- مقبرة؟!

أجابته:

- مَلكية...

أومأ متفهمًا حجم الصفقة هذه المرة، جالت في خاطرة المرات الأربع التي ساهم فيها في تهريب مقبرة آثار بالكامل لخارج البلاد نحو فرنسا، وكمّ الصعوبات التي تعرّض لها في المرة الثالثة، وذلك الضابط الشاب الذي كرّس جزءًا في حياته في ملاحقة

تلك الشحنة والذي انتهى به المطاف ميتًا في حادث سير.

أخرجت جليلة هاتفها المحمول من حقيبتها، أخذت تعبس فيه للحظات ثم اقتربت من مازن ساحبة إياه من أفكاره التي صارت جميعها متشائمة، وإن كان يدعي كذبًا غير ذلك.

- مدحت غير إنه قال في الرسالة إن المقبرة ملكية، بعتلنا الفيديو ده كمان.

أخذ مازن الهاتف من يد جليلة وشاهد الفيديو الذي بدأ في لحظاته الأولى الظلام الدامس مع بعض الأصوات لخطوات أحدهم، كانت الصورة مرتعشة غير واضحة، رويدًا رويدًا كانت أصوات الخطوات تتضح أكثر، مرت ثوانٍ أخرى وبدأ مازن يسمع بعض الضحكات المتقطعة والنكات اللزجة السخيفة بين المصورين، أدرك أنهما اثنان، وأن مدحت ليس واحدًا منهما. وبعد لحظات عَلِم أن أحد المصورين يُدعى



لطفي والآخر سمير، كان واضحًا من تصرفاتهما أنهما لأول مرة يتعرضان لمثل تلك الأمور..

مرت دقائق مملة غير واضحة الأحداث كان مازن يمرِّر فيها الفيديو باحثًا عن لقطات مهمة داخله، حتى برز أمامه تمثال ذهبي صغير الحجم يمسكه أحدهما، كانت الصورة رديئة، مرتعشة، وتفاضيل التمثال غير واضحة، فقام بتكبير الصورة أكثر في محاولة بائسة لرؤية المزيد ولكن الصورة صارت أقل وضوحًا فلم يتمكن من رؤيتها قط، فأعادها لحجمها الطبيعي ليلفت انتباهه صوت أحدهما يقول:

- المقبرة فيها أكثر من أربعين واحد زي ده...

قطع المصور الآخر الحديث وأضاف:

- ده غير تماثيل الحجارة و المميوات..

قال الأول من جديد:

- آه آه .. ده كمان فيه مومياء طفل..



أغلق مازن الفيديو ولم يتحمل الإنصات أكثر لمثل هذين الغبيين، ومنح الهاتف لجليلة قائلًا بلهجة صارمة:

- عاوزك تتولي الموضوع ده، محتاج فيديو أوضح من كده.. ياريت مدحت هو اللي يصور.. عاوزك تخلصي الموضوع مع الاتنين دول وياخدوا أي فلوس لو الموضوع صح ويختفوا عن المكان ده نهائي..

أومأت قائلة:

- مفهوم مفهوم..

تراجعت للخلف لتنسحب من الغرفة فأوقفها بكلماته الصارمة:

- بسرعة يا جليلة.. لازم تخلّصي الموضوع ده في اسرع وقت.

أومأت مرة أخرى ورحلت عن المكان سريعًا..



بعدما تأكد من رحيلها قام بالاتصال برقم مدوَّنٍ على هاتفه تحت اسم «قيس»..

وبمجرد أن ردَّ عليه قال له مازن:

- عاوزك حالاً..

(14)

مذكرات: عيسى المصري

شهد، رأيتها للمرة الأولى في إحدى الندوات الثقافية التي أحضرها بشكلٍ دائم لأنال منها خبرة الحديث للجمهور وعدم التوتر في لحظة تلقي الانتقادات.. مهلاً مهلاً، أعتقد أنني أدركت الآن أن لساني حقًا لا ينطق بالصدق إلا نادرًا، اعتاد الكذب حتى أصبحت أصدِّق كلماتي المخادعة..

أنا سيء..

أنا أحمق..

أنا لم أقابل شهد في إحدى الندوات، حقًا كنت دائم التردد على تلك الأماكن لنيل الخبرات، ولكن شهد تعرفت عليها حينما أخبرني ذلك الصديق بضرورة أن يكون هناك ليلة للفسق والفجور، رفضت في البداية ولكنني دائمًا أقبل بعد ذلك.. لم ألاحظ من قبل مدى التبعية للغير التي كنت أعيش بها سابقًا



ومحتمل أنني ما زلت أحمل جزءًا كبيرًا منها داخلي حتى تلك اللحظة.

يومها أخبرته أنني لا أود الذهاب لتلك الأماكن، لكنه حمسّني وحفّزني ورغّبني وفعل بي الأفاعيل حتى يوصل بي أن أترجاه ليسمح لي... أخبرنى أنه سيفكر في الأمر وبعدها رفض وأخبرني أن حديثي سبَّب الألم لضميره، فارتاح جزءٌ منِّي واشتعل غضبًا جزءٌ آخر وطلب منِّي القدوم لبيته في الليل حتى نسهر سويًا سهرة بريئة حسب تعبيره، وفي الميعاد المحدد كنت في المكان المطلوب، طرقت الباب ففتحه لي حسين، خطوت نحو الداخل، كان وحده مع عدة زجاجات من الخمر، والمكان معبأ بدخان له رائحة الحشيش.. لم أتراجع؛ فقد كان المناخ مثيرًا بالنسبة.. طالما سمعت أن أغلب الروائيين يدخنون الحشيش ليمنحهم الكثير من الأفكار المجنونة..

هدأ ضميري المتدين ظاهريًا، وتركت لنفسي - التي أخبرتني أن كل شيء مباح اليوم والتوبة بعد سويعات

تنتظرني!- العنان لتلك الليلة.. والحقيقة أنني اقتنعت بذلك..

كنت في حاجة لكسر الكثير من القيود داخلي..

كنت في حاجة للحرية!

في مجتمعي، يرى الكثيرون أن الحرية هي أن تفعل كل شيء خاطئًا، محرمًا، أو يُسبِّب السمنة!، وقد كنت أنتقدهم، لكني في تلك اللحظة شعرت أنني مثلهم ولست أفضل منهم.. فمَن عاش وسط القاذورات لن يظل نظيف الملابس إلى الأبد.. بحرجٍ طلبت منه أن يتصل بعاهراته ولكنه رفض وأخبرني أنه يشعر بالملل منهم.. أطلقت كل السباب داخلي.. أنت تشعر بالملل وأنا أشعر بالشوق.. حسين، النسخة المفترض أن أعيشها، تحرَّك نحو دورة المياه.. وبينما هو بالداخل وطرقَ أحدهم الباب ترددت أن أفتح له في ظِل كمّ المخدرات المنتشرة بالمكان، فصرخ في حسين من داخل المرحاض أن أفتح مخبرًا إياي أنه صديقه بكل تأكيد..



لكني حينما فتحت بالباب رأيت سيدة تبدو في الثلاثين من عمرها، وأخرى تبدو في منتصف العشرينيات، والاثنتان لا ترتديان أيَّة ملابس تقريبًا! فقد كان المكشوف من جسديهما أكثر من المستور..

ابتلعت ريقي بصعوبة،
وتخشبت عضلاتي فصار شكلي أضحوكة لهما.. ساد الصمت للحظات بينما أنظر لهما أنا نظرة حمقاء وهما تنظران لي بدهشة؛ فبالتأكيد حسين له طقوسه الخاصة لاستقبال مثل هؤلاء..

تهلل وجهاهما حينما ظهر من خلفي حسين بوجهه الوسيم ونظراته التي تخترقهما، فشعرت بالراحة قليلاً رغم أنني ما زلت أشعر بارتباك كلٍّ منهما فهما يعلمان بكل حالٍ من الأحوال أنني سأظفر بواحدة منهما وهما فى الوقت ذاته تعلمان أنني لن أكون بارعًا مثل صديقي المتألق..

لا أعلم لماذا فعلت ذلك؟!، ضربتها، سببتها بأقذع الألفاظ، اتهمتها بالعهر وأخبرتها أنها ستحمل

فيروس الإيدز آجلاً أم عاجلاً. أحمق؟!، نعم أظن ذلك.. توقعت.. بل اعتقدت، أنني لن أرى تلك المخلوقة أبدًا بعد ذلك.. لم أكن أتخيل أن تلك العاهرة ستصبح عشيقتي.. فبعدما مرَّ أسبوع حاولت فيه أن أتناسى ما حدث في تلك الليلة، وحاولت فيه الالتزام والمواظبة على الصلاة، والصيام يومًا بعد يوم، كما حاولت إراحة ضميري بأي صورة من الصور.. طالما كنت أفعل ذلك في حياتي البائسة، أكتب عهرًا وأتوارى في نهاية الغرفة أبكي، أشاهد الفواحش وأصوم ثلاثة أيام بعدها، أنطق بالأيمانات كذبًا وأعود ساجدًا لله ليسامحني..

منافق؟!

محتمل!

شهد العاهرة.. شهد الحبيبة.. شهد المعشوقة.. طرقت بابي بعد مرور أسبوع من الواقعة المخجلة، لكنها هذه المرة كانت ترتدى ملابس محتشمة كثيرًا عن المرة السابقة، لا تضع مساحيق تجميل، وتغطي شعرها



بقبعة ردائها، توقعت أن تنظر لي بغضبٍ، توقعت أن تصرخ في، أن تسبني، أن ترد لي الصاع صاعين.. لكن الغريب أنني رأيت في عينيها الشفقة..

سألتني:

- لماذا فعلت ذلك؟!

عجزت عن الإجابة..

التزمت الصمت وحاولت النظر بعيدًا عنها، عجزت عن إخبارها أنني أردتها أن تتذكرني طويلاً، عجزت عن إخبارها بكوني شعرت أن السابقين كانوا أفضل مني فحاولت الهروب من قبضتها؛ فما كان أمامي سبيل سوى تلك الطريقة.. عجزت عن كل ذلك، لذا جلست شاردًا قليلًا، ثم سألتها بحمق معتاد مغيرًا دفة الحديث:

- تشربين القهوة؟!



اقتربت مني ونظرت اللي باطن حدقتي، أمسكت يدي وضغطت عليها بحنانٍ كبيرٍ، وبدون إرادة وجدتني بين ذراعيها أبكي.. أبكي كطفل رضيع بين أحضان أمه.. لماذا؟!، لا أعلم ولا أريد أن أعلم، كنت أشعر بإحساس غريب لم يواتني منذ أن زعقت فيَّ مدرستي بالمرحلة الابتدائية، كانت مدرسة قاسية بطبعها، لكن في ذلك اليوم كانت قاسية أكثر من اللازم، وقد شعرت هي بذلك؛ لذا جاءت لتعتذر لي.. وما إن فعلت حتى دخلت في نوبة بكاء هيستيرية.. ورغم أني لا أجد رابطًا بين الموقفين لكنه كان نفس الشعور.

ضمتني شهد أكثر إلى حضنها، لم تحاول أزعاجي، ومكثت طويلاً على صدرها بعين باكية..

لا أذكر أنه قد حدث في تلك الليلة أكثر من ذلك..

ظل الحال على ما هو عليه لبعض الوقت، ولا أعلم متى سقطت في النوم.. وحينما استيقظت وجدتني عاريًا تمامًا، ووجدت فوضى تحيط بي من كل مكان،

بحثت عن شهد، لم أجدها لكني رأيت ورقة معلقة على باب الثلاجة مدّون عليها:

«كانت أفضل ليلة على الإطلاق!.. أتمنى أن تكرر»

كانت المرة الأولى في حياتي التي لا أحزن فيها لأنني تعديت حدًّا من حدود الله، أعلم أن كلامي لا يصح.. ولكنها الحقيقة، كما أنه لن يقرأ حديثي ذلك أحدٌ أبدًا فلا أجد سببًا كتماني الحقيقة.. أريد أن أخبر نفسي بحقيقتها دون تزيينها..

كنت غاضبًا لأنني لا أذكر من تلك الواقعة أي شيء على الإطلاق، كانت تشغلني عدة أسئلة: هل داعبتها جيدًا؟!، هل منحتها ما تريده بالشكل الذي أريده؟ لكن ما أثار دهشتني أنني لا أشرب الخمور فكيف كنت مخدرًا هكذا؟!، أسِحر الشهوة سحبني إلى عالم آخر؟ إلى بُعدٍ آخر موازٍ؟ تريد شهد أن نكرر تلك الليلة!، أتمنى.. وحتمًا سأفعل، ولكن أنا لا أذكر شيئًا من الأولى لأكررها في الثانية.. شهد تريد المزيد من المتعة التي نالتها في المرة الأولى.. لم أترك نفسي

للتفكير طويلاً، يكفيني أنها تعاملت مع رجال كثيرين قبلي ورغم ذلك أخبرتني بأنني الأفضل.. أخبرتني وأنا أعلم أنها لا تكذب فلم تأخذ مليمًا واحدًا.. إذًا فأنا الأفضل..

منير في الخلفية كالعادة يخبرنا عن عشقه لحبيبته دام وسيدوم، وأنها الحب الأول وستبقى للأبد.. منير هو الوحيد القادر على منحك وصفًا دقيقًا لحالتك مهما كانت بائسة ومهما كانت سعيدة!، أظنني سأكتفي بذلك اليوم.

(15)

المختار

حينما عاد ريتشارد لغرفته في تلك الليلة لم يستطع النوم بسهولة، كانت رأسه ممتلئة بالأفكار المتشابكة عن مقتل الفتى وهاتفه الذي سرقه بدون دافع محدد فى لحظتها، وعلاقة ما شاهده بذلك الأستاذ الجامعي الذي لقي حتفه بجريمة قتل، المتهم الوحيد فيها هو الهبوط الحاد في الدورة الدموية. شغلته كلمات آدم – ابن الأستاذ الجامعي- والنصائح التي قدَّمها له لتحقيق القصاص بصورة صحيحة دون أن يساق لحبل المشنقة.

كانت تلك المرة الأولى التي يُقدِم ريتشارد فيها على تشغيل هاتف الفتى القتيل بعدما قام بشحنه. كان قلبه يخفق بسرعة، فلطالما كان ريتشارد يقتحم حياة البشر ولكن ليس بهذه الصورة المبتذلة لكنه لا يستطيع مقاومة فضوله أكثر، فهو يشعر أن هناك رابطًا ما، وأنه



أخيرًا سيفسر ما حدث في الماضي وسيفهم ذلك السر الخطير التي توارى تحت كذبة «الهبوط الحاد».

وجد عددًا هائلاً من الرسائل غيرال مقروءة ، عددًا هائلاً آخر من الصور التي تجمعه بعددٍ من المراهقات في عمره تقريبًا، صور أخرى تتخذ تبدو عائلية تجمعه مع اثنين علِم ريتشارد سريعًا أنهما أبوه وأمه.. صورة أخرى مع شاب شعر ريتشارد للوهلة الأولى أنه قد رآه من قبل، ولكنه لم يتوقف عند ذلك الأمر كثيرًا. فصبَّ اهتمامه أكثر على الرسائل وبدأ في مطالعتها سريعًا..

كانت الرسالة الأولى من فتاة تدعى شاهي..

الرسالة عبارة عن صورة عارية لها ومعها رسالة نصية تخبره فيها بشوقها الجارف له..

انتقل ريتشارد من رسالة شاهي لرسالة أخرى.. كانت أيضًا لفتاة، تدعى باكينام

«إنت إنسان عديم المسئولية، إزاي تسيبني لوحدي وتقوم كده..إنت



عديم الرجولة»

الرسالة الثالثة كانت من أحدهم يدعى شادي..

أخوك رحمه الله كان أفضل منك..

الرسالة الرابعة.. كانت من والده..

«يجب أن تفهم أنك الابن الأسوأ على الإطلاق!»

أما عن الرسالة الخامسة كانت عبارة عن تسجيل صوتي من رقم غير مسجل ومعها رسالة نصية..

«هل سمعت الشيطان يغني؟!»

ردَّ الفتى محاولاً الاستفهام ولكن الراسل لم يرد..

جذب ريتشارد سماعة الأذن وقام بتوصليها بالهاتف وضغط على زِر التشغيل، بدأ التسجيل بصوت خطوات تقترب وبعدها تغير لصوت أمطار يتصاعد صوتها..

كان سعيدًا.. كان يشعر بالنشوى.. كان...



حينما فتح ريتشارد عينيه وجد نفسه بمكان آخر غير غرفته، كان في مكان لن ينساه قَطّ، ذلك المكان الذي قال عنه ريتشارد في مذكراته أنه مجمع أفتن وأعمق وأحب الذكريات في حياته، كانت تنظر له بوجهها الملائكي.. إنها رجفة قلبه الأولى..

- ريتشارد.. أحبك.

ابتسم لها، اقترب منها، فلطالما أراد معانقتها.. ريتشارد يعلم أنه في حلم ما، يعلم أنه لن يظفر بها قط وأنها الآن في أحضان رجل غيره، يعلم أنها ربما تكون سعيدة معه الآن، يعلم أنها قد تكون نسيته بالفعل، اقترب منها أكثر وطبع قُبلته على جبهتها وسحبها رويدًا نحو صدره وضمها بقوة..

- ريتشارد.. مستنياك.

دفعها ريتشارد بقوة نحو الحائط بغضب..

يعلم أنها كاذبة، مخادعة، يعلم أنها كالمخدَّر..

- إنتي كدابة.. إنتي مشيتي.

تجاهلت كلماته واقتربت لصدره من جديد:

- أنا مِلكك.

لكنه هذه المرة لم يدفعها بل لحق عناقه الأول بها بعناقٍ آخر أشد حرارة وأقل براءة.. من بعيد رأى شبح إنسان بدأ في التشكل، لم يميزه.. اقترب خطوتين وقال بصوت يعرفه ريتشارد جيدًا:

- حامل الخاتم، راهب!

ضمها ريتشارد أكثر؛ فهو يعلم أنها ضمة الوداع.. وبعدها دفعها بعيدًا عنه وأخذ يهرول مغادرًا المكان وهي تناديه:

- ريتشارد.. ريتشارد..

بدأ صوتها يتغير تدريجيًا من صوتها الأنثوي المتناغم لآخر ذكوري أجش..

- أستاذ ريتشارد.. أستاذ ريتشارد..

حينما فتح ريتشارد عينيه كانت قد تلاشت الفتاة، وأصبح الشبح إنسانًا متحدثًا، تلاشت قريته وعيدان القمح المنتشرة إلى ما لا نهاية في كل الاتجاهات، غادر المكان الذي زاره للحظات فقط وعاد منه متألمًا لذكرى، تمنى ولو عاشها في واقعه الحقيقي وليس واقعًا افتراضيًّا لا يعلم مصدره..

- أستاذ ريتشارد.. حضرك كويس؟

انتبه ريتشارد أخيرًا لعامل النظافة المذعور كأنه شاهد أحدَهُم يحتضر للتوّ..

- أنا فين؟

أجابه العامل..

- في الفندق يا افندم.. فيه دوا معين حضرتك بتاخده؟!



دواء..

تذكر الفتي الذي كان بجانبه في سيارة الأجرة، رعشته، لعابه الذي بدأ يسيل، رجفته، صوته المكتوم..

تذكر حينما سأله لو أن هناك أدوية يأخذها في مثل تلك اللحظات..

سأل ريتشارد العامل:

- هو إيه اللي حصل؟

أجابه العامل بثقة:

- تقريبًا النوبة جت لحضرتك.

نوبة!

عقل ريتشارد كان غير قادر حقًا على استيعاب ما يحدث، لكنه ودَّ الاستفهام والتأكد أكثر:

- نوبة إيه؟!

أجاب العامل على سؤال ريتشارد بسؤال آخر..

- مش انت عندك صرع؟!.. أخويا أما بتجيله النوبة بيبقى كده بالظبط.

فهمَ ريتشارد ما حدث له، فهم أنه عاش تجربة الفتى نفسها.. ريتشارد الآن يعلم أنه كان على وشك أن يُقتل بالطريقة نفسها التي قتلت الفتى، والطريقة نفسها التي قتلت الأستاذ الجامعي منذ عدة أشهر، ولكن كيف؟! ولماذا يود أحدهم أن يسمه بهذه الطريقة؟

مهلاً..

هل سمعت الشيطان يغني؟!

الموسيقى..

- صوت الشيطان..

نطقها دون أن يدري ريتشارد؛ فلم يفهمه العامل..



- يعني إيه؟!

كان ريتشارد قد نسي أن العامل معه في نفس الغرفة، فانتبه له وأمره بالرحيل حالاً، وحينما سأله عن كونه بحاجة للاتصال بطبيب، أخبره ريتشارد أنه بخير وألحَّ في رحيله فغادر العامل دون كلمات أخرى.

الأفعى

(16)

حكاية: قرية طاحب

تأخر حديثنا كثيرًا عن قطب من أهم أقطاب ذلك العالم الخيالي.. أو الحقيقي من يعلم!، الأفعى الاقتصادية نجيب المحلاوي وصاحب أشهر الوقائع الجنسية المصوَّرة بالصوت والصورة والتي شاهدها الملايين عبر مواقع التواصل الاجتماعي. عضو برلماني وصاحب حصانة، وأخيرًا هاوي تجديد السيارات الكلاسيكية وإعادة بيعها كأنتيكات لمجانين الأثرياء.

ولكن مهلاً..

أعتقد أنني قد نسيت في مقدمة الكتاب أن اذكر أن نجيب يهوى العمل التجاري في كلاسيكيات المصريين عمومًا ليس السيارات وحسب.. أو بتعبير أدق وأوضح.. وأكثر صراحة أنه يهوى إشباع مجانين

الأثرياء المتلهفين لجمع الآثار المصرية القديمة في كل مكان بالعالم.

قد يتوقع الكثيرون أن مازن له علاقة بالكثير من قضايا الفساد في المجتمع المصري، فلا يُستبعَد تورُّطه في العديد من الحوادث الإرهابية في المنطقة، كما يتوقع الكثيرون أن هناك علاقة وثيقة بين مازن ومقتل الفنانة «نيكول مينا»، ولكنهما لن يُشكّا مطلقًا أن نجيب ليس غبيًا مطلقًا وإنما يصطنع الغباء.. وأنه القطب الآخر لكل الكوارث التي حدثت خلال الأعوام القليلة الماضية.

ظاهريًا تجمع بين مازن ونجيب -رغم فارق السن- علاقة وِدٍّ وصداقة وعدد غير متناهٍ من ابتسامات صفراء مصطنعة أمام كاميرات المحطات الفضائية، أما في الخفاء يكنّ كل منهم كمية لا بأس بها من العداء قد تصل بأحدهما ذات يوم لاستباحة دم الآخر، كل منهما يرى الآخر الحاسد والمنافس ومن يضيق الخناق على الآخر في لحظات التعثر، كل منهم يعد للآخر من وقت للآخر المكائد البسيطة لكشف جزءٍ من المستور



أمام الجمهور، ولكِنَّ قليل مَن يفهم التلميحات ويقرأ الإشارات، ويبقى أغلب الشعب ينظر لنجيب الأحمق الغبي ومازن صاحب الحياة التي يتمنى كل أي أحد لو يعيش مثلها لساعة واحدة.

أذكر أنه ذات يوم طلب مازن من إحدى المذيعات اللاتي يعملن لديه في محطة «صوت الثورة» عقدَ لقاءٍ تليفزيوني مباشر مع الأفعى «نجيب المحلاوي» وطلب أن يكون هو شخصيًا مُعِد ذلك اللقاء وكاتب جميع أسئلته، كان يريد الضغط عليه بشدة ومواجهته بعددٍ كبيرٍ من الأمور الخبيثة المتعلقة به أمام الجمهور، كان يود استفزازة لإظهار جانبه غير الأحمق أمام الجمهور، كانت يريد إبراز جانبه العميق وكشف حقيقته ولكن فشل..

لم يكن مازن هو أول من شاهَد فيديو المقبرة الملكية فقبل ساعات اتصل أسعد -ابن نجيب - بأبيه يخبره عن ذلك الفيديو الذي أُرسل له مطالبًا أباه بسرعة إصدار قرارات حاسمة في نَيْلِ تلك الصفقة التي قد تمنحهم عددًا لا بأس به من ملايين الدولارات..



- بقولك المقبرة مَلكيَّة!

- الفيديو ده مش واضح منه حاجة.. وبعدين مين دول اللي هنمشي ورا كلامهم.

- شكلهم أول مرة...

- أو نصابين..

- محدش يقدر يفكر إنه يلعب معانا لعبة زي دي.

- مش مرتاح أطلب منهم فيديو أوضح من ده ولحد ما يجلينا مفيش وعود بأي حاجة من طرفنا.

- بابا...

- أسعد الموضوع انتهى...

لم يهتم أسعد كثيرًا بحديث والده وأرسل في رسالته الإلكترونية أنهم موافقون بشكل مبدئي -إن كانوا صادقين في حديثهم-، وأنه يريد معاينة المكان بشكل بنفسه، وأن أي تلاعب في الحديث ستكون عواقبه



وخيمة على الجميع، فجاءه الرد في الحال بميعاد بعد ثلاث ليالٍ عند أطراف قريبة طاحب بعد منتصف الليل بثلاث ساعات.

- إنت متهور وغبي..

- أنا مش هسمح إن حد تاني ياخدها مننا.. دي فرصة مش بتكرر كتير، ولّا عاوز مازن يخطفها ما كل مرة بيعمل.

- ماكانش لازم تعمل كده، واحنا ومازن بنحاول دايمًا نتفاهم في الأمور اللي زي دي.

- قصدك كل مرة بيهددك إنك تبعد، وأما يكون شايف إن البيعة خسرانة يسيبهالك.

- ماكانش لازم تعمل كده.

- إنت كبرت أوي يا والدي، وبقيت بتخاف تقف قصاده!



في الليلة المنشودة كان سمير في المكان المحدد منتظرًا ظهور أسعد في أي وقت، لحظات وأعمى عينيه ضوءُ سيارة قادم من بعيد، بدأت السيارة في تهدئة سرعتها، إلى أن توقفت قرب سمير وترجَّل منها أسعد فتحرك سمير بلهفة فشلَ في كتمانها داخله ورحب به بشكل مبالغ فيه..

- أستاذ أسعد.. ماكنتش متخيل إنك هتيجي.

أومأ أسعد في صمت:

- يلا بينا..

كان أسعد حادًا كثيرًا في الكلام..

- آه، طبعًا.. المكان في بيتي، الناحية التانية من القرية، معلشماينفعش ندخل القرية بالعربية هيكون شكلنا ملفت أوي، لازم نلف من برة خالص.

تفهم أسعد الحديث ولكن كلمات والده ما زالت ترن في أذنه..

- لازم تكون فاهم إن كلامنا كله متسجل ومتراقب، والمكان متحدد بالموبايل في اللحظة اللي هيتقفل فيها تليفوني هيكون قدّامك أقل من دقيقتين عشان تهرب من عزرائيل.

ردّ سمير:

- مفهوم طبعًا..



(17)

مذكرات: عيسى المصري

منذ أن شرعت في كتابة تلك الأوراق وأنا اخشى اللحظة التي سأضطر فيها للكتابة عن حبيبة، علاقتي بها ما بين الحب والخيانة، العشق والاعتياد، الزهو والملل، أتحبني حبيبة؟!، نعم، أظنها كذلك.. حسنًا لن أكذب، تعشقني حبيبة.. ولكن على طريقتها.. تحبني وهي تعلم أن الرجال لا يحبون الكلام العاطفي وأنهم يتقنون قراءة العيون!.. لا يا حبيبة ليس جميعهم كذلك.. حبيبة فتاة تحسبها بلا رغبات جنسية.. حبيبة فتاة بلا رغبة في المغامرة.. حبيبة فتاة على خُلق ولكنها مملة!

طالما أخبرتها بكونها الأجمل والأفضل وأنني لو طفتُ الأرض من شرقها لغربها لن أجد في نصف مكانتها الرفيعة، كنت أظنها لو سمعت تلك الكلمات ستشرع في فعل المزيد لتحافظ على تلك المكانة الغالية في قلبي ولكن ما حدث كان التضاد، تخاذلت

حينما علمت أنها الأفضل، حتى في مناوشاتنا كانت دومًا تخبرني بكونها أفضل مخلوقة على وجه الأرض.. مغرورة؟!.. لا أظنها كذلك.. صدقًا لا أعلم.

حبيبة رغم أنها قليلة الكلام العاطفي إلا أن قلبها على يقين تام بكوني الإنسان الاكثر إخلاصًا على وجه الأرض، حبيبة تثق أنني أراها الأفضل.. حبيبة تعلم في داخلها أن لا فتاة ستحبني ولا أنا سأتعلق بأحد، حبيبة تعتقد انها أكثر نضجًا من الجميع لأنها لمست داخلي شيئًا حسنًا لم يلاحظه أحدٌ على الإطلاق، حبيبة تعلم أنني لست الرجل الكفء لأي أمرأة على وجه الأرض.. حبيبة مخدوعة!

حبيبة هي زميلة المدرسة في الماضي، وصديقة الجامعة، وهي الأعلى مني رتبة بالعمل؛ فهي المدرس الأول.. وأخيرًا، حبيبة هي الحبيبة. بدأت علاقتنا بشكل مراهق معتاد؛ شاب ليس لديه أسرة، يحتاج للمسة أنثوية في حياته تعيده للحياة، وفتاة تفتقد الحنان في حياتها، هي تكمل الناقص لديّ.. وأنا كذلك. صداقتنا في الجامعة طالت، وطالما أنا أعلم أنها

تفسر نظراتي بكونها أخوية لا أكثر، كلما كنت أحاول الحديث بجرأة أكثر كان يؤلمني صدمتها.. ليست صدمة أنها لا تسمع مثل تلك الكلمات.. بل صدمة بكوني أنا القائل.. أنا المتحدث!

للأسف، حبيبة شخصية كثيرة إلقاء النكات والسخرية من كل شيء حولها، أذكر المرة الأولى التي أخبرتها فيها أنني أحبها وأتمناها زوجة لي وأم لأطفالي، ظلت دقائق تضحك بقوة واحمر وجهها -ليس خجلاً- وقالت:

- لا أراك تلعب ذلك الدور معي..

أومأت محاولاً إظهار أن الأمر ليس بالشيء الكبير.. ولكنها أردفت بكلمات أكثر قسوة دون أن تدري:

- لا أراك تلعب ذلك الدور على الإطلاق..

كانت قاسية!.. ولكنني أعلم أنها لا تقصد معنى كلماتها، كانت تقصد أن تخبرني باستحالة أن نكون سويًا بتلك الصورة التي أريدها فرأت أنه من الأفضل



أن تنفي تلك الصورة عني حتى لو مع غيرها.. قتلتني كلماتها، ابتسمت ساخرًا من نفسي:

- أنا أيضًا لا أتخيل نفسي هكذا..

لم ترَ الألم في عينيّ وانفجرت تضحك أكثر.. بعدها قالت:

- لا أتخيل أن أمي وأبي ذات يوم كانا معًا بهذه الصورة!

ثم أشارت لزوجة تحمل طفلة صغيرة يجلس زوجها بجوارها على الطاولة المقابلة لنا، وأضافت:

- أليس من الاشمئزاز أن تعلم داخلك أنهما كانا هكذا؟!، وأن تلك الرضيعة نتيجة فعلتهما المقززة.

حاولت الابتسام ففشلت..

حاولت فتح موضوع آخر للحديث ففشلت..

حاولت البقاء ففشلت..



حاولت الرحيل أيضًا ففشلت..

قالت حبيبة:

- أتخيل أن الجنس خُلِقَ لقليلٍ من الرجال فقط.. لكي تنال ما تريده، كن ما تريده شريتك كن شاروخان ، فاندام ، أحمد رمزي حتى.. فلكي تشتري سيارة يجب أن تملك مالها، وإن لم تستطع.. فالحافلة شيء جيد!

لم تكن تقصدني تحديدًا، كانت تتحدث عن الأمر بوجه عام.. نظريتها كانت ستعجبني كثيرًا لو كنت مثل هؤلاء، حديثها صائبٌ بنسبة كبيرة، ولكنه لن يتحقق أبدًا..

- الزواج ليس جنسًا فقط..

أومأت..

- أعلم، ولكن هل الرجال هنا يمتلكون شيئًا آخر للتعويض!، سأتزوج الغني أو الوسيم أو ذا المناصب ..



بدون تلك الأشياء، لماذا أقبل؟!، أمنحه جسدي والطعام والشراب والحنان والتحمل والعناء والحمل وتربية الأطفال.. كل هذا بدون مقابل؟!.. أي هراء هذا.

حسنًا أظنك محقة هذه المرة..

أنا لست وسيمًا.. لست غنيًا.. لستُ ذا منصبٍ أو شهرة!

أنا –حرفيًا- لا شيء..

أو هكذا كنت أحسب نفسي لحظتها..

كنت أعلم أن علاقتنا ستتوقف عند تلك اللحظة بلا شك، فكالمعتاد في مثل تلك اللحظات أن تضعف علاقتنا تدريجيًا حتى تنتهى نهائيًا بشكلٍ لائقٍ، ولكن الأزمة أن هذا لم يحدث أبدًا، كأنني لم أخبرها بحبي، كأن شيئًا لم يحدث، ربما لو حاولت الابتعاد عني لكانت خففت عني قليلاً.. لكنها أصرت على أن



تعاملني -دون قصد- على أني لا شيء، أصرت أن تُظهِرني أمام نفسي بغيمةٍ من السراب.

بعد فترة ليست قليلة، وفي السنوات الأخيرة من المرحلة الجامعية، أخبرتني أنني إنسان جيد، وأنها كانت لا تراني بالشخص المناسب ، وأنها تشعر بالندم لأنها لم تحترم مشاعري ذات يوم.. أخبرتني عن حبيبها الذي ارتبطت به واتفاقه معها على ميعاد للخطبة، إلا أنه صار يفتعل المشكلات كلما اقترب الموعد حتى أنهى الأمر وطلب منها الانفصال متعللا بأنه ليس مستعدًا لأخذ مثل هذه الخطوة.

نعم..

أعلم..

أنني البديل في حياتها.. أعلم أنها جاءت لي بمبدأ «ارتبط بمن يحبك لا من تحبه»..

كنت ساذجًا لدرجة أنني أخبرتها في تلك اللحظة أنني ما زلت أحبها..



أومأتْ في شفقة.. ثم ابتسمت باصطناع.. لكنني اعتبرتها ابتسامة خجل..

صمت كلانا لحظاتٍ، ولكنها أردفت في النهاية أخيرًا:

- بحبك..

سأتوقف.. لا أظنني قادرًا على الاستئناف اليوم بعد كلمات حبيبة..

أين الزهو الذي كان؟!

لماذا لم أعد أراكِ هكذا؟!

يا ليتني ما قابلت تلك الأفعى التي أخرجتني من كنف حبيبة الحبيبة..

يا ليتني ما قابلت شهد..

يا ليت أشياء كثيرة ما حدثت..

(18)

المختار

في صباح اليوم التالي لم يفكر ريتشارد كثيرًا وقام بجمعَ ما جمعَ من معلومات متوفرة على هاتف الفتى الراحل، حدد اسمه بالكامل، عنوانه، علِمَ أنه قادم للإسكندرية ليلتحق بكلية الهندسة، قرأ محادثة نَصية مع أحد أصدقائه علم منها أنهم كان مقرر لهم العيش في المدينة الجامعية.

أمسك ريتشارد هاتفه وشرع في الاتصال بآدم..

- ريتشارد؟!، فيه حاجة؟!

- عاوزك في مهمة جديدة.. قابلني بعد ساعة.

- طيب..

حدَّد ريتشارد وآدم أحد مقاهي وسط البلد للمقابلة.. انتهت المكالمة وترك ريتشارد ملف قضية مقتل الفتى



قليلاً، وسحب الأوراق المكتوب فيها خط سير مينا بشكل يومي، أمامه كانت صورة لمينا يجلس مقرفصًا في منتصف شارع ما باكيًا.. نادمًا..

غاص ريتشارد في ذكرى مقتل ميريهان..

- إلحقونا.. إلحقونا.. النار هتاكلنا..

- إنت لازم تدينا شقتك..

- إنت فاكر إننا هنسيبك؟!

لم تمر ساعة منذ تلك الواقعة دون أن يرى ريتشارد الأحداث تمر أمام عينيه فلا تزيده سوى رغبة في الانتقام وسحق عظامهم بين يديه، قتل كريم.. والآن يسعى خلف مينا الهارب مفكرًا في أشد الطرق ألمًا وبطئًا..

بدأ في قراءة الأوراق الموجودة أمامه..



«يعمل الضحية بشكل يومي في كافيه سانتوس المطِلّ على البحر قُرب كبري ستانلي، يبدأ دوام عمله من الثانية بعد منتصف الظهر حتى العاشرة مساءً، يزور الضحية عيادة الطبيبة مريم الأسيوطي النفسية في المندرة، يومين في الأسبوع، الجمعة بشكل ثابت، ويوم آخر عشوائي معتمدًا على حصوله على إذن خروج من عمله لسويعات..

يعيش مينا بأوراق مزورة مُدعيًا كونه محمد عبد الله.. خريج جامعة الأزهر الشريف

علاقات نسائية.. لا يوجد..

علاقات دينية.. لا يوجد..

علاقات اجتماعية.. لا يوجد..»

نظر ريتشارد لساعته، وجدها تقترب من الحادية عشر صباحًا، أغلق الأوراق وألقى بها على سريره وشرع في ارتداء ملابسه، وأسرع في الخروج لمقابلة آدم.

حينما وصل ريتشارد كان آدم في انتظاره متحمسًا للإنصات لمهمات ريتشارد السريعة التي يراها دومًا أنها مهمات غبية تدر عليه أموالاً كثيرة.

- خير؟

أخرج ريتشارد هاتف الفتى القتيل الذي علم من خلال فحص هاتفه أنه يدعى عماد الدين ومنحه لآدم قائلاً:

- كل المعلومات المتاحة عنه..

توقف ريتشارد عن الحديث بينما آدم ينتظر المزيد من المعلومات، ولكن بعد لحظات أدرك آدم أن ريتشارد قد أنهى الحوار ولكنه لا يريد قول المزيد..

- بس؟!

أومأ ريتشارد.. وصمت كلاهما لحظات يتتبع فيها ريتشارد حركة المارة بينما آدم يتفحص الهاتف بنظرات خاطفة..



- النهارده بالليل تبعتلي على الواتس آب ملف فيه كل حاجة وصلتلها.

ردَّ آدم مستنكرًا:

- النهارده؟!

بصوت حاد قال ريتشارد:

- آدم، مفيش وقت.. ودي مهمة سهلة عليك جدًا، حساب الفيس بوك الخاص بيه والواتس آب والانستجرام والفايبر كلهم مفعلين وشغالين.

لم يفهم آدم كلام صديقه جيدًا فسأله ليستوضح أكثر:

- طيب وأنا هعمل إيه أكتر من كده!

أضاف ريتشارد موضحًا:

- هتفرغلي كل المعلومات المفيدة.. أنا ماعنديش وقت لكده.. أفعى زيك هتقدر تخلص الموضوع ده كله في نص ساعة.

- طيب..

جالت في بال آدم خاطرة فضولية، فلم يقاومها وسأل ريتشارد:

- بس جبت التليفون ده منين؟

ردَّ ريتشارد بعدم اهتمام:

- سرقته..

أومأ آدم، ولكن الفضول حاصره أكثر فسأل ريتشارد مرة أخرى..

- وفين عماد؟

- مات!

سامية

(19)

حكاية: قرية طاحب

بعد رحيل سامية عن القرية استقرت في الإسكندرية، لطالما كانت تلك المدينة مركزية في أشد الصراعات وأعقد الأزمات، فقد لعبت أدوارًا محورية في تغيير مجرى التاريخ، حتى في أحداث قصتنا كانت هي نقطة الوصل بين الجميع، استقرت في شقة مفروشة دفعت لأجلها مبلغًا استطاعت توفيره من خلال عملها كنادلة في إحدى حانات الإسكندرية المطلة على شاطئ البحر وملتقى الكتَّاب والسياسيين حينًا.. والعشاق والمراهقين حينًا آخر.

قبل استئناف سرد قصتنا دعنا ننظر عن كثب لشخصية سامية، عاشت وتربت في الصعيد ولكنها تفتقر لكافة العادات التي تسيطر على ذلك المكان، حافظت على هيئتها هناك بصورة ظاهرية، ولكنها دومًا



كانت تتقمص حقيقتها عبر شبكات التواصل الاجتماعي، أو بمعنى أوضح عاشت خلاله بأسماء مستعارة.. عاشت الحياة التي تمنت أن تمتلكها والتحرر الذي كان يقارب الفجور أحيانًا، فقد تعددت صداقاتها وكانت تجذب الشباب لمحادثتها حتى إنها في بعض الكثير من الأوقات كانت تطلب منهم الاتصال بها على رقمها الخاص...

أخبرت الجميع أنها تحبهم..

أخبرت الجميع أنها تجد نفسها معهم، طالما تمنت أن تعيش ولو ليوم واحد كخائنة.. فقد كانت ساخطة على سيطرة الرجال في المجتمع الريفي، ودومًا تمنت الانتقام بأن تكون تلك السيدة التي تهتك عاداتهم وتشبع رغباتها بصورة يومية مع أناس مختلفين..

حينما تزوجت لطفي انقطعت قليلاً عن حياتها عبر الإنترنت، وحاولت الاندماج مع زوجها ولكنها لم تنجح بصورة دائمة؛ فكانت تختلس الوقت لنفسها أحيانًا



لتعيش في حياتها الوهمية وتعقد لقاءات خيالية مع شباب الماضي.

سامية مدخِّنة شرهة جدًا ولكن دون أن يعلم أحدا!

سرقت سامية يومًا من أخيها سيجارته غير الشرعية ودخنتها دون أن يعلم أحد سوى أصدقائها الافتراضيين.

تلك النظرة لحياتها ستجعلك تفهم وتبرر الكثير من تصرفاتها القادمة الغريبة.. والتي بدأت حينما قررت الرحيل عن لطفي؛ فلم تقبل بحياة رتيبة أخرى، وقررت سحق كل شيء ونقل حياتها الافتراضية لصورة واقعية، فاختارت أن تعمل نادلة في حانة، ليس هذا وحسب بل جمعها الفراش بعدة شخصيات مختلفة الأعمار، كما تحوّل إدمانها للحشيش لإدمانها لكافة وأغلى أنواع الخمور التي كانت تحصل عليها خلسة داخل الحانة.



في تلك الليلة تقابلت سامية مع غريب، طلب منها كأسين من الفودكا على أن يكون أحدهما لها فوافقت كعادتها الحالية، لَكِنَّ هيئته لم تكن مثيرة بالنسبة لها علي أي حالٍ؛ فلأول مرة تشعر أنها لا ترغب في رجل، جسده هزيل ونظارته الزجاجية غير مشجِّعة على الإطلاق للاختلاء بها، ولكنها لم تمنع نفسها من نَيْل كأسها الغالي والذي يكلفها مجهودًا كبيرًا لتتناول قطرات بسيطة منه دون أن يلاحظ أحدٌ ذلك.

بعدما هدأ صراع سامية الداخلي في كيفية إيجاد سبب الرفض المناسب لذلك النحيل دون أن تخبره أنه لا يعجبها.. لاحظت أخيرًا أنه لم ينظر لها بنهمٍ كالباقيين، كان غير منتبه كأنه لا يراها..

- شكلك مش عاوزني.

صمت لحظات وبعدها أخرج من جيب سترته بطاقة سوداء صغيرة ووضعها أمامها وقال بكلمات مختصرة:



- ما بدي إياكي، أقصد مش أنا تحديدًا، أنا مجرد رسول إختي.

أخذت البطاقة وهي تسخر من كلمته الأخيرة في نفسها ثم نظرت للاسم المدَّون بها: «مازن الحسيني»

اندهشت من الاسم كثيرًا، فقد سمعت عنه في القنوات الفضائية والصفحات الإخبارية عبر الإنترنت فكادت أن تنطق متسائلة عن الأمر، ولكِنَّ الآخر سبقها..

- هو اللي بَدوا إياكي.. بكرة في فيلاته الخاصة الساعة الثامنة، هيك أنا خلصت مهمتي.. حظ سعيد إختي!

رحل الغريب من أمام سامية وبقيت هي في دربٍ متصارعٍ من أفكارها.. من كلماته وبطاقة التقرب لفيلا مازن.. لا بل بطاقة دخول الجنة بالنسبة لها.. جنة مازن ونَيل ما يُمكنها أن تصل إليه، تخيلت أنه قد يصنع لها المعجزات، فهو القادر على حمايتها من تتبُّع لطفي لها، وهو القادر أيضًا على تغيير مستوى حياتها بأكملها، وتحويلها من مجرد نادلة لصاحبة حانة، لو



عشقها.. انقبض قلبها قليلاً وتسارعت نبضاته وهي تفكر في كمٍّ المجهود التي تحتاج الآن أن تبذله لخطف مشاعره نحوها، تعلم أنه قد سبق له واجتمع مع عشرات بل مئات النساء في فراشه وهي ليست بالأجمل ولا الأكثر إثارة، ولكنها هدَّأت من روع أفكارها مخاطبة نفسها بأنها المختارة من بين الجميع.. فهو من سعى إليها؛ فبالتأكيد بها ما ليس في غيرها.. خاطبت نفسها بضرورة المكوث السويعات القليلة الباقية لكشف ذلك الشيء المميز فيها لتستخدمه ضده وتنال منه ما تشاء.

فجأة هبط كف فادي مدير الحانة:

- مش يلا بينا؟

فادي يدفع لها أجرًا ضخمًا مقابل مشاركته الفراش من مرتين لثلاث مرات أسبوعيًا.. أومأت له بالإيجاب وتحركت معه مرغَمة لتلبيه رغباته المقززة..



في شقتها المستأجرة جلست تتناول قهوتها منزوعة السكر أمام شاشة حاسوبها الذي ابتاعته مؤخرًا، لم تعد تمتلك الشغف نحو حياة الإنترنت الوهمية، صارت تراها حياة تكفي للمراهقين من دون العشرين عامًا وتتعجب كثيرًا لكونها عاشت بتلك الصورة الرمزية يومًا ما، وأن الرغبات لا تنطفئ إلا باتصال مادي محسوس، ولكن في تلك الليلة تحديدًا قررت سامية الإبحار في حياتها الماضية قليلاً.. أعادت فتح حسابها المغلَق منذ شهور وتواصلت مع كل رجل ومراهق اجتمعت معه في علاقة عبر الهاتف أو الإنترنت وكان محور الحديث معهم جميعًا:

ما الذي يراه مميزًا فيها؟! سواء كانت الميزة مادية أو معنوية!

أحضرت ورقة وقلمًا وصارت تكتب كل كلمة تسمعها أو تقرأها عن شخصيتها، كانت تبحث عن النقاط المشتركة بينهم كلهم وتستبعد الصفة التي لا تكرر مع غالبيتهم.. كانت تستمر في الاستبعاد كلما فتحت نقاشًا مع شخصيات أخرى.. كانت تبحث عن صفة



وحيدة فقط لتلعب بها أمام أغنى الشخصيات المصرية لنيل مفتاح الجنة منه -حسب ظنها-..

الجسد المثير.. استبعاد!

المشاعر.. استبعاد!

الضعف.. استبعاد!

الشهوة.. استبعاد!

التمرد.. لم تستبعد إلا بعد وقت طويل!

مستبدة.. لم تستبعد على الإطلاق!

الجميع يعشق استبدادها، جميع الرجال يعيشون في حالة سيطرة دائمة على زوجاتهم، ولكن سامية الوحيدة التي منحتهم الفرصة ليعيشوا كضعفاء، اقتنعت كثيرًا بالفكرة وأغلقت حسابها على الفور ولكنها لم تكن بالذكاء الكافي لتكتشف من أين يعلم



مازن بكونها مستبدة من عدمه، محتمل أنها أرادت فقط كلمات تبث الثقة فيها أمامه..

تحركت نحو فراشها مرتاحة البال قليلاً وغاصت بعد دقائق قليلة في سباتٍ عميقٍ بعدما أرسلت رسالة قصيرة لفادي تخبره فيها أنه لن تستطيع القدوم للحانة غدًا لظروف خاصة، ولم تدع مجالاً للقبول أو الرفض من جانبه بإغلاقها للهاتف فورًا.

في صباح اليوم التالي كانت سامية تتنقل بين أغلى المحلات بحثًا عن أكثر الملابس إثارة وأشدها عريًا، لم تكن تهتم بكم النقود التي دفعتها وراتبها الذي صار يتلاشى أمام عينيها، كانت تعلم أن المغامرة تستحق التضحية براتب شهر، فقد تكون تلك الليلة بداية لحياة جديدة بعيدًا عن عالم فادي وزبائنة كبار السن ذوات البشرات المجعدة المقززة.

عادت لشقتها ظهر اليوم حاملة في يدها عددًا ليس بالقليل من الملابس المثيرة وألقت بها على السرير ناظرة لساعة حائطها تتابع تقدمها السريع فهي تعلم



أنه ما زال أمامها الكثير لتدرسه حتى تنال أقصى نتيجة إيجابية من تلك الليلة، فتحت حاسوبها مرة أخرى ودوَّنت هذه المرة اسم (شادية مرسي)، تلك الممثلة المغمورة التي تزوجت من مازن لعدة أشهر ثم انفصلا، كانت أقصى طموحات لسامية في تلك اللحظة أن تنال ما نالته تلك الممثلة، فأخذت تتابع كل حوار تليفزيوني ظهرت فيه، تحاول ملاحظة تصرفاتها وطريقة حديثها لإيجاد نقاط مشتركة بينهم، لاحظت غرورها المصطنع وأنوثتها المتعمد إبرازها، كمٌّ هائل من مساحيق التجميل وصوت تجتهد كثيرًا لجعله أكثر نعومة من اللازم.

دوَّنت كل ملاحظتها ونظرت للساعة مجددًا، كانت قد جاوزت الخامسة مساءً فعلمت أن الوقت قد حان للاستعداد لتلك المقابلة وقلبها يخفق بسرعة ذعرًا وأملاً في الوقت ذاته..

(20)

مذكرات: عيسى المصري

حالة شعورية غريبة أحياها منذ اللحظة التي قررت فيها التجرد من قيودي، حقًا أنا كشفت نفسي أمامي، حطمت أغلالي لوهلة لأرى فيها نفسي على حقيقتها، لو كانت حياتي رواية لظن القراء أنني خائن، وأن شهد عاهرة، وحبيبة أنانية.. حسنًا تلك النظرة فيها شيء من الصحة وأشياء كثيرة من الخطأ والسطحية. يقولون إنه لترى الأمر بوضوع فأنت بحاجة لأن تنظر له عن كثب، لكنني لا أعتقد ذلك، أعتقد أنه من يريد الحكم علينا فمن المتفرض أن يرى الصورة من على بعد، يراها كاملة، رغم كل ما حدث لا أعتقد أنني أرى نفسي خائنًا.. أحمل الكثير من السلبيات كعيشي سنوات ضعيف الشخصية، وسنوات أخرى في الانعزال والوحدة..

سرَقتُ؟ محتمل!



أعتذر..

نعم سرقت ذات مرة ولكنني لا أعتقد أنني قادر الآن على التطرق لذلك الآمر. حقًا صرت صريحًا، ولكنني ما زلتُ عاجزًا عن الاعتراف ببعض الأمور.. الأمور الحساسة والتي بكل تأكيد ستغيِّر مسار حياتي كله.. أنا مَن يكذب ويصدق كذبه، والآن ولأول مرة أحاول إقناع نفسي بالصدق، وأعلم أنني لن أقتنع بسهولة.

تبادُل كلمة بحبك بيني وبين حبيبة لم تكن بداية للرحلة السعيدة التي توقعتها، بل كانت بداية لأسوأ رحلة قد يخوضها الإنسان على مدار حياته. لا مشاعر ملتهبة، لا كلمات عاطفية، حالة من البرود سيطرت على علاقتنا، كانت أغلب حواراتنا أحاديث سياسية أو آراء دينية.. أحاول التقرب منها أكثر فتبتعد تارة وتقترب تارة أخرى، تخبرني بكوني جيدًا وتخفي عني كوني في نظرها لست جيدًا كفاية لإبهارها، تتحدث عن الأموال بشغف، وعن الوسامة بشغف أكثر، تريد وتريد.. أو أنا العاجز الغاضب دومًا..

قالت لي يومها:

- أخشى الزواج.. أشعر انني لست كُفئًا لذلك.

- لا تقلقي، أنا دومًا بجانبك.

رأيت في عينيها أنَّ ردي أخافها أكثر..

- أعلم.

قالت لي:

- ماذا تفعل في أوقات فراغك؟!

- ألا تلعب الكرة؟!

- لا.. أخشى أنني لا أجيدها.

أومأت في توقع.. ولحظات وسألتني سؤالاً آخر:

- حسنًا، ألا تشاهدها؟!

حرَّكتُ رأسي نافيًا..

قالت:

- أتحب الروايات؟ التمثيل؟ أتجيد الغناء؟ الرقص؟ السباحة؟ بربك، بالتأكيد أنت تفعل شيئًا في حياتك.. حتى الدراسة لا أراك متميزًا فيها، كنت أفضل من ذلك في الماضي، كيف تعيش بلا هدف، بلا حُلمٍ...

-أنتِ الحلم والهدف والغاية.

- لا يجب أن يتم الأمر هكذا.

- أكتب مذكراتي.

أومأت بدون رد.. ولكنني رأيت الردّ في عينيها..

كان تود أن تقول «وهل في حياتك البائسة شيء يتسحق التدوين.. أيها الأحمق».

قطعت الصمت وصرخت:

- لماذا لا تكتب الروايات؟!.. أنت تجيد وصف مشاهد من حياتك يمكنك الاقتباس منها وصنع قصص

بحبكات محكمة، يمكنك أن تصبح مشهورًا مثل نجيب محفوظ أو حتى آسر عبد الرحمن.. بل محتمل أن تكون أفضل منهم جميعًا.

نعم، هي صاحبة فكرة الطريق الذي أتحرك أنا فيه حاليًا، رغم كل سلبيات علاقتنا إلا أنه لولاها ما كنت أمسكت ورقة وقلمًا وشرعت في رسم حبكة وشخصيات.. لحظتها كنت لا أعلم هل أنا أجيد الكتابة مثلا هؤلاء حقًا أم لا، حتى حصيلة قراءتي في أدب الرواية ليس بالكثير.. ما قرأته في حياتي يمكن أن يُعَد على أصابع اليد الواحدة..

- لا أعلم، لا أظنها فكرة جيدة.

نظرت لي بغضبٍ شديدٍ وركلت الكرسي بعصبية شديدة ورحلت عن المكان سريعًا..

للمرة الأولى التي أعلم فيها أنني لست فاشلاً لتلك الدرجة!، حقًا الكتابة كانت أمرًا شاقًا وصعبًا، لكنني شعرت أننى قادر على فعل ذلك، خلق قصة وحبكة



وشخصيات ليس بالأمر المستحيل عليَّ، تذكرت طفولتي حينما كنت أنسج عالمًا خياليًّا وأضع لها السيناريو الخاص بي، أتخيل نفسي أحد أبطال الحكاية، تارة أنا الظالم وأخرى المظلوم!، مرة قاتل ومرة قتيل.. نعم، لو خُلقت لشيءٍ في هذا العالم فسيكون الكتابة بكل تأكيد.. ولكن ما كان يشغلني حينها هو: ماذا أكتب؟!

حاولت الكتابة في عالم الرومانسية.. فشلت وجاءت كلماتي مبتذلة كثيرًا، كلما حاولت الحديث عن علاقة عاطفية وجدتني أصِفُ جسد البطلة، وتطلعات البطل لإشباع رغبته باستعبادها، كنت دائمًا أتحدث كشهواني مراهق..

تركت الرومانسية.. وانتقلت للجريمة..

كل الأفكار التي احتلت عقلي تتقاطع مع بعضها في العقدة، كلها حملت امرأة خائنة وشابًا عاجزًا جنسيًا.. تركت الأمر، ليس لابتزال الفكرة، ولكنني شعرت أن الرواية عني، شعرت بكوني ذلك العاجز



وتلك المرأة تخونني.. لم أتحمل الفكرة.. وانتقلت للرعب..

فالفكرة الوحيدة التي سيطرت عليّ حينها، شاب قابل الشيطان ذاته فعرض عليه الأخير صفقة، أمنية مقابل روحه بعد الموت، طلبَ الشاب أن يكون الأكثر جاذبية لكل الفتيات..

بعد أسابيع علمت أنني كنت مخطئًا.. وأنني لن أصبح كاتبًا أبدًا..

أخبرت حبيبة بالأمر فقالت عبر الهاتف..

- لا عليك.. المهم أنك حاولت، انسَ الأمر، أنا سخيفة معك كثيرًا.. أنا أراك مميزًا في كل حالاتك، لا تكن غاضبًا مني.

حبيبة كاذبة..

حينما مرت الأيام وتقابلت مع شهد في بيتي ورحلت قبل استيقاظي تاركة تلك الورقة على ثلاجتي، نسيت

أن أقول إنها تركت رقم هاتفها على الجانب الآخر من الورقة، اتصلت بها بعد مرور يومين وطلبت منها أن نتقابل مرة أخرى.. رحبت كثيرًا وعرضت عليَّ أن تأتي إلى بيتي، ولكنني ترددت قليلاً وطلبت منها أن نتقابل في مكان عام.. وافقت بعد إلحاحٍ منِّي..

حينما قابلتها أخبرتها عما أسعى إليه، أخبرتها عن حبيبة.. عن الكتابة.. عني شخصيًا، لم أقل كل الحقائق، كنت أكذب كثيرًا ولكنني أشعر أنها تعلم ما بداخلي دون أن أتحدث..

- فشلت.. أنا سلسلة من الفشل.

- أرى أنك فقط لا تحسن ترتيب اولوياتك.

لا أفهم كلماتها..

- ماذا تقصدين؟!

- ماذا تريد أنت؟!.



- أريد أن أصبح كاتبًا..

حرَّكَت رأسها نافية ورشفت من فنجان قهوتها..

- لا.. أنت تريد أن تكون مشهورًا وهذا غير ذاك، تريد إبهار حبيبة، تريد أن تثبت لها أنك متميز.

أومأت في صمت..

- حسنًا، هذا جيد.. لا أعتقد أنني أمتلك القدرة لمنحك نصائح لتصير كاتبًا مشهورًا ولكن يمكنني أن أضعك على بداية الطريق..

هذا جيد..

كان حديثها جيدًا حقًا..

- كيف؟!

رشفت من فنجان قهوتها مجددًا وأشعلت لفافة تبغ..



- آسر عبد الرحمن، سيقيم حفل توقيع ومناقشة لآخر أعماله بعد يومين.. يمكنك مقابلته وطلب المساعدة منه، لا تخبره ما أخبرتني إياه، فقط أخبره أنك تريد الكتابة، التميز، اطلب منه خبرته وأحسِن الإنصات له، بالتأكيد لن يعلمك كل شيء في دقائق معدودة.. على الأقل سيخبرك من أين تبدأ.

اقتربَتْ قليلاً مني وأمسكت يدي..

- لا أريدك أن تصبح كاتبًا.. أنت لست بحاجة لإثبات نفسك لأحد.. أنت متميز.

سحبت يدي برفق..

- أنا لا أثبت نفسي لأحد.. الكتابة هي حلمي، أشعر أنني بقليل من التدريب سأكون متميزًا فيها.

تفهمت الأمر..

- بعد اليومين سأتصل بك لنذهب سويًا.



أومأت في سعادة طفولية بينما شهد ظلت مبتسمة لي وعيناها تراقبان ردة فعلي الطفولية أمامها.

(21)

المختار

في المقابلة التالية التي جمعت ريتشارد بآدم لم يكن الأخير في حالة هذيان كالمعتاد، كانت المرة الأولى التي يجلس فيها منتصب الظهر، متماسكًا غير مرتعش، يجيد صياغة كلماته بشكل أنيق غير متلعثم. جلسا في أحد مطاعم وسط البلد. كان ريتشارد مترددًا قليلاً حينما أخبره آدم بالمكان، أخبره أنه يود أن تكون المقابلة في بيت أحدهم، ولكن آدم أصر على أن تكون في هذا المكان.. فوافق ريتشارد تحت ضغط وإلحاح آدم الشديد وغير المبرر..

- ليه هنا؟!

نظر آدم يمينه ويساره كأنه يتأكد أن أحدًا لا يتابع حديثه، وريتشارد يرمقه في مللٍ شديدٍ من تلك التصرفات الصبيانية المبالغ فيها.. قطع آدم حالة



الصمت والريبة حينما أخرج من حقيبته مجموعة أوراق ووضعها أمام ريتشارد قائلاً:

- عماد المصري، تمنتاشر سنة، مراهق، لسه مخلص ثانوية عامة والتنسيق جابله كلية تجارة جامعة الإسكندرية، كان في القاهرة بيعمل إيه قبل وفاته ماعنديش فكرة حقيقي وما أظنش إن التركيز على نقطة زي دي مهم أوي حاليًا، حتى بيني وبينك شخصية عماد كلها مش مهمة، تقدر تقول كان صدفة في لعبة كبيرة أوي...

قطع ريتشارد مقدمة آدم الطويلة بنفاد صبر وقال في ضيقٍ:

- وضّح أكتر..

أومأ آدم في مللٍ وشرع في الاستئناف:

- أعتقد إنك مالاحظتش إن عماد المصري أخو الكاتب عيسى المصري اللي مات من شهرين...



كانت تلك أول عبارة يقولها آدم وتكون حقًا جاذبة لانتباه ريتشارد، نظر الأخير لعيني آدم بتركيزٍ واكتفى بالإيماء ردًا عليه، فاستطرد الآخر في الحكي..

- حذرتني من أغنية الشيطان!، ماشي.. أقدر أقول إنك فعلاً خوِّفتني منها، الفضول كان بيدفعني إني أتجاهل كلامك ولكن كويس إني ماعملتش كده.. بس.. أظن.. إني عملت حاجة أذكى من كده بشوية، أنا تتعبت الشيطان نفسه!

كان ريتشارد لا يفهم، ولكنه لم يحاول إبراز ذلك أمام آدم، حقًا كان يضيق الخناق من كثرة ثرثرة صديقه المتباهي بنفسه، ولكنه تحمل ذلك في سبيل المعلومات الجيدة التي ينطق بها من حينٍ لآخر..

- أقصد راسل الأغنية، أولاً لازم تكون عارف إن الأغنية دي اتبعتت قبل شهرين.. أو بتعبير أوضح وأدق قبل ما عيسى ما يموت بيوم تقريبًا..

للمرة الثانية يؤسر ريتشارد داخل أحشاء كلمات آدم..

- إنت عبقري.. كمِّل..

لم يبتسم آدم بينما شرد ذهنه للحظات قم قال في ألم:

- أما تتبعت الراسل ماقدرتش أوصل لأي حاجة.. لا فيس بوك، ولا انستجرام، ولا تويتر، بس كان فيه واتس آب.. وده فشلت في اختراقه لأن آخر تسجيل دخول ليه كان قبل شهرين.. يعني تقدر تقول إنه كسر الخط أول ما بعت الرسالة.

صمت كلاهما للحظات ولكن آدم همس داخله وما هي إلا ثواني حتى خانه لسانه ونطق بأفكاره:

- مش فاهم.. يعني إيه تسمع أغنية تدخَّلك في نوبة صرع لحد ما تموِّتك.

أجابه ريتشارد:

- الشيطان يا آدم.

ضحك آدم بهدوء وأومأ موافقًا لحديث صديقه، ليسود بعدها صمت طويل قطعه ريتشارد بسؤاله:

- وده بس اللي قدرت توصلُّه؟!

هزَّ آدم رأسه نافيًا..

- في الواقع، أنا لاقيت إن كل الخيوط بتحدفني في سكة عيسى المصري.. اقتحمت حياته بالكامل، عيسى بقى زي الكتاب المفتوح قُدَّامي.. كانت أسهل عملية اختراق شخص عملتها.

تهلّل وجه ريتشارد من تلك التحركات السريعة لآدم وعدد الخطوات الكثيرة التي اجتازها صديقه في سويعات قليلة.

- إزاي؟

أمسك آدم بكومة الأوراق التي سبق وأخرجها من حقيبته وأخذ يتصفحها بلا معنى، مردفًا:



- عيسى كان كاتب شاب، مش ناجح.. ولكن كان بيحاول، المهم.. طبيعي لأي كاتب – حتى لو مش محترف- إنه يعمل نسخ من أعماله كمسودات إلكترونية ويحفظها على موقع درايف تخوُّفًا من ضياعها، والمنطقي أن يكون ذلك الموقع مرتبطًا بحساب الفيس بوك الخاص به؛ فمجرد كسرك لحاجز الفيس بوك هتبقى كسرت حاجز موقع درايف.. وكنت كل كلماته التي خطاها بإيده. حقيقي حظنا كان كويس جدًّا، لو كان عيسى خالف أفكاري في أي حاجة.. ماكناش هنوصل لأي حاجة.

ضحك ريتشارد من سعادته لكمِّ المعلومات التي وصل لها آدم..

- بس مالقتش ولا رواية.. ولا قصة.. لاقيت ست كتب إلكترونية.. تعرف محتواها كان إيه؟

ردَّ ريتشادر:

- إيه؟!

منحه آدم كومة الأوراق فأخذها الآخر وقرأ عنوانها: (الفصل البائس من حياتي)

نظر لآدم بعين متسائلة.. ولكن صديقه أجابه بدون سؤالٍ:

- مذكراته.

بصوت مرتفع صرخ ريتشارد:

- عظيم جدًا.

ابتسم آدم هذه المرة وتابع حديثه:

- قريتهم كلهم.. أقدر أقولك إن خمس كتب منهم كانوا كلام فارغ.. الخطير هو الكتاب السادس، الشخصية دي كانت غريبة أوي.. إعتقد إنك لازم تقرأ الكتاب ده هتفهم منه كتير جدًا وهيدلك على الطريق اللي لازم تتحرك فيه.

قطع الحديث هذه المرة فتاة شابة تقف أمامه، رمق آدم اسمها من على القميص فلاحظت الفتاة نظرته وظنت أنه ينظر لصدرها فقالت في ضيقٍ:

- محتاجين حاجة تانية؟!

هزَّ ريتشارد رأسه نافيًا.. فزفرت زفيرًا طويلاً وانسحبت من أمامهم..

- ليه بصيتلها كده؟

غيَّر آدم دفة الحديث..

- لازم تقرأ المذكرات دي النهارده.. أما عن صوت الشيطان فهو مخدر رقمي بيستخدمه القاتل في زيادة إفراز هرمون السيرتونين في جسم ضحيته فيبدأ في الهلوسة، وبعدين يتشنج ويوصل في النهاية للموت! وده اللي حصل لعيسى ولعماد وليك.. بس انت ماخدتش الجرعة كاملة!

- تقصد معزوفة تارتيني؟

- النسخة المعدَّلة منها.. القاتل قِدِر يحول الأسطورة إلى حقيقة..

- إن كانت أسطورة فعلاً!



شمس

(22)

حكاية: قرية طاحب

دعنا من الخوض في تفاصيل اللقاء الذي جمع بين سامية ومازن، ويمكنني تلخيص ما حدث بقول بسيط وواضح.. أن زوجة لطفي قامت بكل فعل استبدادي واستعبادي لمازن متجاهلة مكانته وشخصية المرموقة القوية، دهست مكانته المرموقة تحت قدميها، وكانت صاحبة الكلمة العليا أو الكلمة الوحيدة في تلك الليلة؛ فمنذ أول وهلة انقضت عليه لتسحقه بين أناملها.. نشهد بالحق أن تلك الليلة كانت الأفضل لمازن في تاريخه العهري مع النساء، حقًا لعبت سامية دورًا غريبًا وممتعًا في الوقت ذاته بالنسبة له، دورًا مختلفًا، بعيدًا عن أهدافه الخفية من وراء ذلك اللقاء إلا أنه تمنى لو تكرَّر ذلك مرة أخرى معها.



سقطت بجانبه مرهقة ومتألمة وسعيدة في الوقت ذاته، سحبت لفافة تبغ، نظرت لها فوجدتها بدون حشيش فتركتها وألقت بها بعيدًا وزفرت بغضبٍ، فعرض عليها مازن أجود أنواع الخمور فقبلت بمللٍ:

- نمِرة على رأي قيس.

ابتسمت بثقة وهي تداعب خصلات شعرها:

- ممكن أطلب طلب؟

أومأ مازن في الحال وأجابها:

- أي حاجة بتحلمي بيها..

يمكننا أن نلخص القادم بأنه خلال ثلاثة أشهر كانت سامية تمتلك حانة خاصة بها في الإسكندرية، وصار لديها سيارة فارهة، كانت شريكة شبه يومية لمازن في فراشة داهسة كرامته ورجولته تحت قدميها..

- تتجوزيني؟!



كان ذلك دربًا من الخيال بالنسبة لها، كان أقصى طموحها أن تعيش في كنفه بضعة أشهر لتنال منه ما تستطيع من أموالٍ لا حصر لها وسلطة طالما افتقدتها وإحساس بالقوة والنفوذ.. فصار الكثير من المقربين منها يعلمون علاقتها مع مازن فصنعت لها تلك العلاقة هالة لامعة تحيط بها فخشي الكل التّماس معها خوفًا من بطش رجل الأعمال الثري..

- بس شهور العدة لسه ماخلصتش!

مات لطفي قبل شهرٍ في ظروف شديدة الغموض! وصُدم نجيب وابنه بأن البيت قد تم بيعه قبل الوفاة بأيام لزوجته سامية المختفية وكثفوا البحث عنها في كل مكانٍ بدون فائدة ملموسة..

- عرفي.. مؤقتًا!

أومأت موافقة، ولكن بشكل متردد قليلاً.. صمتت بعض الوقت ولكنها قالت في النهاية معترضة:

- بس ده حرام!



ضحك مازن.. فعلمت سخف قولها كأنها تخبره أنها تفضِّل علاقتهما الآن عن زواجهما، فخشيت أن يفقدها الاستطراد في الحديث تلك الفرصة الذهبية التي لم تكن تجرؤ على الحلم بها في خيالها:

- موافقة!

أشعل لفافة تبغ وسحب منها نفسًا طويلاً مطمئنًا نفسه لقربه من تحقيق هدفه ونَيْل المقبرة الملكية بما فيها من ملايين الدولارات تحت التراب..

سألته سامية:

- إمتى؟!

أجابها:

- حالاً.

حينما فشلت كل المحاولات لنجيب وابنه في الوصول لسامية، عرضَ أسعد على أبيه الاستعانة بالهاكر آدم



ابن رمضان عبد الواحد فكلاهما يعلم أنه تم اتهامه عدة مرات بقضايا هاكر واختراقات حسابات بنكية وبتدخلات نجيب ومازن دائمًا كانوا ينجحون في انتشاله من وحل السجون، عرضوا عليه مبلغًا كبيرًا في سبيل الوصول لتلك السيدة في أسرع وقت ممكن، فطلب منهم أن تتم تلك المهمة بعيدًا عن والده نهائيًا، فهو يعلم أن والده لن يقبل بأي عمل غير شريفٍ نهائيًا، ولن يسكت إن عَلِمَ بذلك..

ولم يتخذ الأمر وقتًا طويلاً حتى نجح آدم في اختراق حسابات سامية كلها حتى السري منها، وعلم موقعها في الإسكندرية والحانة التي تعمل بها، وحينما سأل فادي عنها أخبره أنها صارت تملك حانة بل إنها ترافق مازن نفسه!

فعاد حاملاً الأخبار لأسعد ونجيب آخذًا أمواله وراحلاً عن عالمهما..



(23)

مذكرات: عيسى المصري

أعتقد أن هذه المرة لن أسرد معلومات عن الماضي كما أفعل دومًا، أشعر أنني عاجز عن قول المزيد في هذا اليوم، صدقًا أشعر أنني بحاجة لقليلٍ من الهدنة، عندما تقوم بتمرين عضلات جسدك لتضخيمها لا بُدَّ أن تمنحها يومين على الأقل في الأسبوع حتى ترتاح العضلة وتبدأ في حصد ثمرة تعبك وإلا ستخضع تحت مسمى يعرفه الرياضيين وأبطال كمال الأجسام بحرق العضلات.. لا أريد أن أحرق عقلي بمزيد من الصدق، وأخاف أن أنتكس لو بدأت في الكذب، فأعتقد سأبدأ بالحديث عن أشياء غير مؤلمة في حقيقتها.

رأيت الغريب مجددًا، الذي جاء لحفلة توقيعي ليسألني عن حقيقة طرق الاغتيالات بالرواية، يسألني عن صدقها.. ورحل الغريب في النهاية دون أن يطلب توقيعي على كتابي. رأيته مجددًا في أحد المقاهي، بمجرد أن تلاقت حدقتانا..



نهض من مكانه محاولاً الهروب بعيدًا.. داخليًا أشعر أن ذلك الشخص على وشك قتل أحدهم أو محتمل أنه قد فعلها بالفعل الآن، كان يبحث عن طرقٍ لا يكشفها الطب الشرعي.

قطع حبل أفكاري ظهور حبيبة من العدم أمام عينيَّ..

- ما بك؟! للمرة الأولى أشعر أنك لا تراني ولا تمنحني الاستقبال الذي طالما كنت تجيده.

- لا شيء.

- ستشرب مثلي؟!

-لا، سأشرب القهوة.

- الشكولاتة ستكون أفضل لنا.

صحت فيها:

- أخبرتك أنني لن أشربها.



أومأت في تفهم وشعرت بالحرج وعيون الجميع تتطلع إلينا، اقتربَتْ بالكرسي نحوي أكثر:

- ما بك؟! لا أذكر أنني رأيتك بهذه الصورة من قبل.

- أنا بأفضل حال.

- من المتفرض أن تكون كذلك، لم يمر على حفلة توقيعك سوى أيام قليلة، قمت اليوم بزيارة أربع مكتبات بحثًا عن كتابك لم أجده وأخبرني العاملون أنه نفد بالكامل وأنهم شرعوا في طلب المزيد من الناشر.. كيف تكون حالتك النفسية بتلك الصورة وأنت على وشك النجاح المنقطع النظير.

صمت.. بينما اقتربت حبيبة أكثر وأمسكت يدي بقوة:

- أنت تنجح.. أنت تعيش في المكانة التي تستحقها.

أنا عاجزٌ حقًا عن الرد..

- أنا أحبك عيسى.



أومأت.. وهي المرة الأولى في حياتي التي أسمع فيها كلمة أحبك من حبيبة بدون أن تكون ردَّ فعلٍ، وللمرة الأولى أشعر انني لا أرغب في قولها. صمت كلانا.. تركت يدي.. ابتعدت قليلاً.. شعرت بما أشعر.. شعرت أنني أتألم.. أنني غير سعيد.. شعرت للمرة الأولى بكوني إنسانًا..

- احكِ لي.. أنا حبيبتك.

كنت على وشك أن أخبرها أنني لا أشعر بقدرتي على استئناف تلك العلاقة، أشعر أنها أنانية، أشعر أنها حمقاء، أشعر أنها لا تحبني بقدر حبها لنجاحي المرتقب.. أشعر أنها ليست كشهد..

لولا ماضي شهد لكنت تزوجتها حالاً، ولكنني أعلم أنني لن أستطع تحمُّل ماضيها وكم الرجال الذي ظفروا بها في الفراش، كأن الدنيا دائمًا تعطيك تسعة من عشرة أجزاء من حلمك لتفسد عليك أسعد لحظات حياتك..



- أريد إخبارك بشيء.

- قل ما لديك.. أنا أريد سماعك.

الانفصال عن حبيبة ليس أمرًا يسيرًا..

قطع توتر الجلسة هاتفي حينما ارتعش في جيب سترتي سحبته فكان اسم الناشر على الهاتف فاستجبت سريعًا وبدون مقدمات أخبرني أن الطبعة الثانية نفدت بالكامل وأنه يريد مقابلتي لأخذ أرباحي وكتابة عقد جديد للطبعات الجديدة..

- ما الأخبار؟!

- الناشر يخبرني أن الطبعة الأولى والثانية نفدت.

- رائع.. ومتى سيصدر الطبعات الجديدة.

-سنتقابل قريبًا لأخذ أرباحي وتجديد العقود.

- لماذا لا تذهب إليه الآن؟!



- شهد، أود الذهاب.

- شهد؟!

- آسف.. أقصد حبيبة.

توقعت أن تصرخ في تلك اللحظة وتخبرني بكوني أشد الناس حمقًا على الإطلاق، توقعت أنها ستخبرني بكونها السبب في ذلك النجاح، توقعت اللوم واتهامي بالخيانة، توقعت أنها ستسبني، توقعت أنها ستبكي بحرقة، توقعت أنها ستركل الكرسي كما فعلت في الماضي، توقعت ردة فعل أكثر حرارة من سؤالها..

- أتحبك؟!

صُعقت من سؤالها وأجبت على سؤالها بسؤالٍ آخر:

- مَن تقصدين؟!

- شهد، تلك الفتاة من الحفلة.. أمعجبة؟



- أظنها كذلك.

ضحكت.. نعم ضحكت بسعادة بالغة..

- ولماذا أنت خائف هكذا؟ إنها حياتك الجديدة، المعجبات سيكونون حولك في كل مكان ولكنهم سيعلمون أنك مِلكي أنا فقط، إحساس جميل أن يتطلع الجميع للجوهرة التي بين يديك ولن ينالوها أبدًا.. أنت جوهرتي وكاتبي وحبيبي.. بل عشيقي.. أحبك وأحب نجاحك وحماسك.. أنت أفضل رجل على الإطلاق.

- يجب أن أرحل الآن.

- لماذا؟!

- خطرت على بالي فكرة جديدة، أريد تدوينها قبل أن أفقدها.

تصطنع الحزن، ولكنها سعيدة من داخلها، سعيدة لأنني أتركها بسبب عملي ونجاحي، لطالما

أرادت أن تعيش تلك الحياة، تعيش مرحلة تكون فيها محتلة المرتبة الثانية، كانت تشعر أنها تطاردني، كانت تريد أن تشعر بالمعجبات من حولي، ومحتمل أنها تتطلع لأن أخونها لأسابيع، وتكتشف هي هذا وتغضب وتجعلني أطاردها شهورًا لتسامحني.. حبيبة مريضة..

- حسنًا، ولكنك ستعوضني قريبًا عن ذلك اليوم.

- بالتأكيد.



(24)

المختار

كان الطقس في ذلك اليوم شديد البرودة، توقفت الحركة في الإسكندرية وغرقت الشوارع والحوانيت والسيارات في كل مكان، أمسك ريتشارد كوب قهوته بكلتا يديه ليسحب منها حرارتها وزفر من بين شفتيه زفيرًا طويلاً خرج كدخان أبيض، كان يتشكل أمامه تارة فتاة ضاحكة له، وتارة شيطان يسخر منه، كان ريتشارد قد مكث السويعات السالفة في قراءة مذكرات عيسى المصري، نال منها ما نال وحفظ أحداثها عن ظهر قلب، لم يكن يهتم حقًا بعلاقاته النسائية. ولكنه كان يهتم أكثر بذلك الغريب الذي ظهر أمامه في عدة مواقف مختلفة، تلك الشخصية الغريبة التي ظهرت في عدة مواقف، الرابط الوحيد فيها تواجُد عيسى المصري بالقرب منه!، كان يطارد المصري لهدفٍ ما ما زال مجهولاً حتى الآن.

رشف ريتشارد من كوب قهوته وعقله شاردٌ بين كل تلك الأمور التي لا علاقة ببعضها البعض، فوضع الأوراق جانبًا وأتى بهاتف عماد المحمول وأخذ يتفحصه مرة أخرى سريعة، دخل في سجل الصور وأخذ يمر فيها، لا يعلم عن أي شيء يبحث، فقط يرى مرة عماد بجانب فتاة شقراء، ومرة ثانية تجمعه مع أخرى محجبة، يبحر بين الصور حتى وصل لفيديو من صورته الثابتة، أدرك ريتشارد أن ذلك الفيديو هو لحفل توقيع عيسى المصري، فتحه على الفور..

كانت الصورة ليست عالية الجودة، ويد عماد تهتز كثيرًا، ولسانه كثير التعليقات ذات الطابع التعظيمي في أخيه التي يتحدث بصورة كثيرة الخجل، كان واضح أن كل الحضور تقريبًا من أقارباء الكاتب وأصدقائه، الجميع يصفق بطريقة مصطنعة غريبة..

ولكن مهلاً..

أوقف ريتشارد الفيديو في لحظة ما وقام بتكبير الصورة عدة مرات على وجه إحدى الفتيات، كان يعلم

أنه رأى هذا الوجه من قبل، لم يكن متذكرًا جيدًا للوجوه، ولكن ذلك الوجه بدا مألوفًا جدًا له..

- محتاجين حاجة تانية؟!

هزَّ ريتشارد رأسه نافيًا.. فزفرت زفيرًا طويلاً وانسحبت من أمامهم..

- ليه بصيتلها كده؟

آدم اختار ذلك المطعم تحديدًا لأنه كان يعلم أن شهد تعمل فيه..

نعم أنا أذكر اسمها على قميصها الأرجواني..

تلك الفتاة هي شهد التي عشقها عيسى المصري متجاهلاً حُبَّ الحالمة حبيبة..

شهد هي الوحيدة التي قد تعلم المزيد عن ذلك الغريب الذي طالما طارد عيسى في أماكن عدة..



كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، وصوت الرعد اشتد أكثر وأكثر، ألقى ريتشارد بجسده على فراشه لنيل قسط بسيط من النوم بعد ذلك اليوم المرهق الطويل وحتى يمنح نفسه سويعات قليلة ليفكر في الخطوة القادمة..

ولكن لفت نظره أمرٌ آخر في الفيديو؛ ذلك الغريب المراقب في صمت!، كان ذلك الوجه أيضًا مألوفًا لريتشارد، كان لا يذكره في البداية ولكنه شهق في فزعٍ، تذكره؛ ذلك هو عازف الكمان الذي يظهر في عدة صور أرسلها له غريب وقت التحقيق في مقتل رمضان عبد الواحد!، للمرة الثانية تفرض تلك الشخصية نفسها أمام ريتشارد فهذه المرة لن يتجاهلها أبدًا..

نهض نحو حقيبته وأخرج منها الصور، رمقه في عدة مواضع؛ مرة يلعب الكرة، وأخرى يقف في أحد المولات، وأخيرة يعزف الكلارينيت..

من أنت بحق الجحيم؟!

القاتل

(25)

حكاية: قرية طاحب

في العيادة النفسية نفسها التي اعتاد مينا الذهاب لها في أيامه الأخيرة قبل اختفائه مرة أخرى، جلس عازف الكمان في صالة الاستقبال بعد أن قام مسبقًا بحجز مقابلة مع الطبيبة العجوز مريم الأسيوطي هاتفيًا قبل عدة أيام، طلبت منه الفتاة أن يجلس بضع دقائق وأخبرته بعدها أن الطبيبة في انتظاره، كانت تحرص مريم كثيرًا على ألا تتأخر على المرضى خاصةً في المقابلة الأولى لهم حتى تضمن عودتهم مرة أخرى، أمر تعلمته في فنون إدارة الأعمال؛ حيث قرأت ذات مرة على أنَّ أكثر من ثلثي المرضى يذهبون دائمًا للطبيب الذي يمنحهم اهتمامًا أكثر حتى لو كان اهتمامًا زائفًا مصطنعًا، وأن ذاك المريض لا يشترط أن يكون حاملاً تمييزًا بحقٍّ عن غيره من المرضى، فالاهتمام حتى لو كان مصطنعًا فهو يفي بالغرض أحيانًا!، فكانت حريصة



دومًا على صنع الاهتمام منذ اللحظات الأولى مع مرضاها.

لحظات وانطفأ المصباح الأحمر أعلى غرفة الطبيبة، فنهضت الفتاة وطلبت من عازف الكمان الاستعداد للدخول الآن..

- تقدر تدخل دلوقتي أستاذ شمس.

أومأ لها دون كلمات وتحرك وراءها نحو الغرفة المنشودة، وفي الداخل كانت الطبيبة في انتظاره تطالع بعض الأوراق، فور دخوله أزالت عن وجهها نظارتها الطبية وتركت ما تمسك به من الأوراق وطلبت منه الجلوس.. وغادرت الفتاة المكان..

- عارفة إن أول مرة بيبقى دمها تقيل.. مش مريحة، كنت دايمًا بستغرب سر الاعتراف عند المسيحيين، إزاي مطلوب منك تحكي كل حاجة عملتها لحد تاني مهما كان مبررها الديني!، إزاي تكون كتاب مفتوح قُدَّام الكل بالشكل ده.

ابتسم عازف الكمان وقال:

- كأنك مو عاوزاني احكي.

شعرت بالحرج للحظات ولكنها بحِرَفية استطاعت أن تزيله بعد ثوانٍ معدودة:

- في العادة المرضى مش بيقدروا يحكوا في المرة الأولى..

أومأ في تفهم دون ردٍّ، ولكنها أضافت:

- هتقدر يا شمس؟

أجابها:

- أنا اسمي مو شمس!

لم تتفاجأ من إجابته فكانت تعلم ذلك بنسبة كبيرة..

- مش مهم اسمك.. هتفرق في إيه اسمك شمس من محمد.. مينا.. داود.

صمت كلاهما لحظات، قطعت مريم الصمت متسائلة سؤالاً فضوليًّا بعض الشيء..

- لكنتك مش مصرية.

هز رأسه موافقًا على حديثها، ولكنه تردد بعض الشيء في البداية من سرد ومضات من ماضيه الغامض، ولكنه استجاب واستسلم في النهاية.

- أنا من أفغانستان ولكني عشت سنوات كتير بسوريا، حق العروبة عليَّ أن اكتسب لكنتهم ولغتهم ولكنهم صدقيني دكتور أخدوا مني أكتر بكتير.. مو فاكر كتير عن وطني الأول ولكني.. لالا عذرًا دكتور، أنا أحمل منه الكثير في قلبي، صحيح الذكريات مو كتيرة.. ولكنها مؤلمة ومخيفة.. كانت المرة الأولى التي أدرك فيها إني أخطر بكتير مما كنت أتوقع.. وطني زرع فيَّا بذرة انعدام الانسانية وأنتم كنتم خير راعي لتلك البذرة!، فاليوم البذرة طرحت الكثير من الثمار الخبيثة السامة.. أستصدقينني إن أخبرتك أنني تقابلت مع الشيطان ذاته؟!



أمسكت مريم هاتفها المحمول وقالت متسائلةً:

- تسمح إني أسجِّل الجلسة؟!

كل ما أراده عازف الكمان هو معرفة إن كانت الطبيبة مريم تسجِّل تلك المحادثات أم لا، وبالفعل حينما جذبها الحديث طلبت منه تسجيل اللقاء بينهما مدعية أن ذلك سيساعدها كثيرًا في إيجاد علاج لحالته النفسية فرفض عازف الكمان ذلك وأخذ يسرد جانبًا سوداويًّا من حياته، وكان للمرة الأولى التي يخبر فيها أحدهم أنه ابن أخي منصور الدساس.

منصور الدساس: شخصية إرهابية ظهرت في أواخر القرن العشرين، قام بالعديد من العمليات الإرهابية في الشرق الأوسط ودول أوروبا خاصة فرنسا، تعددت الحكايات حول تلك الشخصية واختلطت الأساطير بالحقائق حوله وما زالت تلك الشخصية مجهولة للجميع، فلم يظهر تليفزيونيًا سوى ملثم معلنًا عن نفسه المسئول عن أشد العمليات خطورة في المنطقة ومتوعدًا بالمزيد في المستقبل!



- منصور الدساس؟! بس انت المفروض اتعدمت!

تجاهل حديثها وسألها:

- عمرك حسيتي دكتور إنك تتمني الانتحار!

أجابته بدون تفكير:

- ومين ماعدّاش عليه لحظات حزن.

أومأ، وقال:

- هناك فارق بين الحزن والميل نحو الانتحار، الانتحار مو له علاقة بالحزن.. بل من اليأس إختي!

صمت كلاهما بينما ظل القاتل ينظر إلى اللاشيء صامتًا، إلى أن قطعت مريم حالة الصمت قائلة:

- ما أعرفش قصه حياتك.. بس صلة القرابة بينك وبين منصور الدساس تخليني أتوقع الكتير من تاريخك، حتى أنا مش مستغربة من أفكارك عن القتل

والانتحار.. بس أقدر أقولك إن الليل مهما طال بينتهي والشمس في النهاية لازم هتشرق.

ضحك القاتل..

- علموني أن الشمس في الرايات السوداء وبحور الدماء ونحر الرقاب، أيمكنك تخيُّل إحساسي بعد أول روح أزهقتها؟!

صمت منتظرًا إجابة.. فردت مريم بعشوائية:

- الندم؟!

هز رأسه نافيًا..

- أنا مخطئ، قاتل.. ولكني مو نادم.

صمت كلاهما، ليضيف القاتل بعد قليل:

- البقاء في هذا العالم هو الخطيئة.. لو كان آدم قد انتحر لوفر علينا جميعًا ذلك العناء الطويل؟!، أتتوقعين أن الله كان سيعاقبه؟



قالت مريم:

- الانتحار كُفر.

قاطعها القاتل..

- الانتحار تضحية!

صمتت عاجزة عن الرد تتأمل إصراره على معتقداته التي لأول مرة تسمع مثلها، كانت عقائده صادمة بالنسبة لها وبالنسبة لكونه تربى في بيت أشد الإرهابيين خطورة..

- يعني انت قتلت ومش ندمان.. شايف الحياة خطيئة وإن الانتحار هو التضحية والقتل هو الجهاد.

سألها القاتل:

- أيمكنني أن أسألك سؤالاً؟

أومأتْ بالإيجاب، فقال:



- شو رأيك في المنتحر اللي أشعل النار في نفسه أمام الجميع لأنه مو بيقدر يأكل ولاده؟ أو العاشقين المنتحرين لنزاعات عائلتيهما، أو ذاك الطفل الذي خسر علامات في امتحان البكالوريا.. فقرر إنهاء حياته!.. شو رأيك فيهم دكتور؟!

- يأس وضعف!

ضحكَ مردفًا..

- عذرًا إجابتك سطحية جدًا، إنهم حقًا يائسيين ولكنهم ليسوا ضُعافًا، على العكس إنهم أقوياء جدًا.. الأول كان يعلم أن كبار المسئوليين لن يلتفتوا له إلا عندما يكون مشهد النيران وهي تأكله محقق أعلى المشاهدات على الإنترنت.. الآن أسرته تمتلك الطعام والملبس.. أما العاشقين فرفضوا الزنا الحلال حينما أجبرهم أهلهم على الزواج بآخريين، رفضوا كبيرة من الكبائر واحتموا بالخالق واتخذوا أسرع وسيلة للذهاب إليه، أما ذاك المراهق فهو متمرد ضحى بنفسه لأجل باقي جيله.. كانوا يائسين.. نعم!.. كانوا ضعافًا؟!.. لا..

بل كانوا شهداء! حتى أنتِ يا دكتور في انتحارك تضحية كبيرة.

لم تفهم مقصده..

- مش فاهمة، أنا بساعد الناس.

قال القاتل:

- مساعدة مؤقتة، إنتي فقط كالمخدِّر.. بربكم يا قوم ألم تعلموا أن الحزن هو الباقي الدائم؟!، ما أشد البؤس حينما يعلم مرضاكِ الحقيقة، وأن حالات الراحة التي يشعرون بها هي فقط لحظية.. ما حجم الانتكاسة التي تفعلينها في مرضاكِ يا عزيزتي؟! أنتِ تدمرينهم!.

انفعلت مريم وهي ترد:

- لا مش صح!

أضاف القاتل:



- لو كان الانتحار ذنب، فعملك الآن كفرا، ولو كان الانتحار كفر فأنتِ الشيطان ذاته!

حاولت مريم الأسيوطي الانتحار في تلك الليلة بعدما تناولت جرعة مضاعفة من مضادات الاكتئاب الخاصة بها، ولكنها سرعان ما تداركت الموقف مع بداية أعراض التسمم تراجعت عن الأمر وتناولت عدة أدوية مضادة التأثير ومكست عدة ليالٍ في المستشفى لإيقاف الأمر.

في تلك الليلة تجرد عازف الكمان من ملابسه وألقى بنفسه على فراشه وغاص في نومٍ عميقٍ بعدما تأكد أنه تمكّن من سرقة تسجيلات مينا، بعدما علم أن الطبيبة كانت تحرص على تسجيل جلسات المرضى باستخدام الهاتف، سرق هاتفها وتأكّد أن ملفات مينا كلها ما زالت على الذاكرة الخاصة بالهاتف فقرر نيل قسطٍ من الراحة قبل أن يبدأ مهمته الجديدة..

ولكنه غاص لحظات في ماضيه الأسود من وسط آسيا..



كان طفلاً يرمق والده وهو يضاجع طفلة في الحادية عشرة من عمرها وهي تصرخ متألمة بين يديه.. جذبته أمه بقوة وعنَّفته كي لا يختلس النظرات لأبيه وزوجته الجديدة فهي الآن بمثابة أمه!.. نظر لأمه بشفقة وتجاهل حديثها وعاد لينظر لأبيه وهو يعتلي طفلة صغيرة بدون رحمة فدفعته أمه بقوة أكبر خارج الطرقة وصرخت فيه:

- أخبرتك ألا تنظر لهما هكذا.

- أراضيةٌ أنتِ عما يحدث في الداخل؟! أهذا كلام اللّه؟!

- لا تقل لهما أف يا شيخنا!

- هذا للآباء من صنف البشر.. أنتما أحقر شأنًا من الحيوانات.

صفعته بقوة على خده وطردته من البيت صارخة فيه:

- لا أريد رؤيتك مرة أخرى هنا.



لكم الحائط بقوة وبعدها هرول نحو الخارج..

مِن ذكرى لذكرى تسبقها..

كان ابن الرابعة عشر وقتها حينما دخل عازف الكمان على والده..

- مابك؟!

أجابه عازف الكمان:

- أريد الزواج!

هز الوالد رأسه في تفهُّمٍ وكتم ضحكته الساخرة في صدره..

- ولكن لا أظنك قد بلغتَ بَعْدُ يا ولد.

قال الفتى غاضبًا:

- لقد صرت رجلاً.. يمكنني الزواج الآن وتحمُّل المسئولية.

من العدم ظهرت أمه قاطعة الحديث بوجه متهلل..

- إنه لخبر عظيم يا بني.. لنزوِّجَه ونفرح بأحفادنا.

شعر الوالد بالملل من هزل الحديث الذي يُدَار حوله..

- حسنًا، سأجعل أمك تبحث لك عن فتاة تصلح زوجة أولى لك.

ردَّ الفتى:

- لا حاجة لأمي للبحث.. أنا وجدتها!

سأله الأب:

- ومَن تكون إذًا؟!

مرت أيام وعاد الأب وهو يمسك بيدها، كانت ترتدي فستان العرس الأبيض وسط حشدٍ صغيرٍ من أهلها، وحينما انصرف الجميع.. صاح الفتى:

- ماذا فعلت يا أبي؟



أشار للفتاة الصغيرة بالدخول إلى غرفته فاندفع عازف الكمان جاذبًا إياها للخارج، فنهض الأب ودفعه نحو الحائط وصاح في الفتاة أن تدخل الغرفة حالاً:

- إياك أن تلمسها مجددًا.. إنها زوجة أبيك الآن.

- ولكنني أخبرتك أنني أحبها!

بدون اهتمام رد الأب:

- أنت ما زلت طفلاً صغيرًا، العمر أمامك.. أما عنها فهي صارت لي.

عاد عازف الكمان بعدما طردته أمه، حينما رأته لم ترحب به واكتفت بنظرة الشفقة والازدراء له..

- مساء الخير يا أمي.

تجاهلت الرد ورحلت نحو غرفتها في صمتٍ، دخل عازف الكلارنيت نحو المطبخ وسحب منه سكينًا وثبَّتَه خلف ظهره، تحرك ناحية غرفة والده وفتح

جزءًا صغيرًا من الباب يرمق المشهد من الداخل، كانت الفتاة تجلس في نهاية الغرفة تحتضن ركبتيها بينما الأب غارق في النوم وصوت شخيره يملأ المكان. فتح الباب أكثر ودلف إلى الحجرة،ر مقته الفتاة دون أن تتحرك، أخرج السكين من ملابسه والفتاة مصعوقة من المشهد ولكنها لم تتدخل وظلت مكانها تراقب في صمت. اقترب الفتى من والده وأمسك برأسه ووضع السكين على رقبته، فتح الأخير عينيه وشهق في خوفٍ وكاد أن ينطق بكلمة ولكن الفتى كان قد نحر رقبته بالفعل فتبدلت الكلمات بصوت حشرجة قوية حتى فارقت روحه جسده.

وفي مصر لم يتغير حاله كثيرًا، فقد أصبح مطاردًا من الجميع حتى سكن سجن العقرب لأشهر طويلة ونطق القاضي بالإعدام القريب له..

- أنت متهم بقتل خمسة رجال وست سيدات مع سبق الإصرار والترصد.

ولكن عقله توقف كثيرًا عند تلك النقطة وسبحَ متذكرًا المرة الأولى التي تقابَلَ فيها القاتل مع مازن..

داخل سجن العقرب بالإسكندرية

جلس مازن أمام عازف الكمان وكانت تلك المقابلة الأولى التي جمعت بينهما، كان الأخير يرتدي ملابسه الحمراء المنبوذة، كان يمتلك جسدًا نحيلاً لا ينم عن حقيقته القاتلة، لديه حدقتين خضراوين غاب عنهما اللمعان والبريق وصار لونهما قاتمًا غاضبًا..

قال مازن:

- قالوا عنك مختلف!، مميز.. غريب، قالولي إنك مخاوي للشيطان، وإن أساليبك كلها مش معروفة ولا مفهومة. صدقني واحد في مكاني مش بالسهل هيصدق كل الكلام اللي سمعته عنك، إنت ساهمت في عدد كبير من الاغتيالات اللي حصلت في التلات سنين الأخيرة!، تاريخك كله عندي بس مع ذلك ماعرفتش إزاي بتنفذ! طريقتك عجبتني، وعارف إنك في ورطة



كبيرة بس ماتقلقش أنا أقدر أخرَّجك منها، وكمان هخليك تشتغل لحسابي..

وضع عازف الكمان يديه على الطاولة ونظر نظرة عميقة في عيني مازن وقال بكلمات صارمة متجاهلاً الحديث المصري:

- لا أعمل لحساب أحد.

أومأ مازن وصمت لحظاتٍ ساخرًا، كان مشفقًا على كلماته، لم يكن ذكيًا جدًا كما قالوا عنه، لا يمتلك جسدًا متناسقًا.. كان مجرد صعلوق قارئ..

- إنت طول عمرك شغال للي يدفع أكترا، مفيش أحقر من شخص مرتزق، قاتل بلا هوية، بلا انتماء، قاتل مأجور.

كان الارتباك واضحًا نوعًا ما على وجه القاتل، فقال مختصرًا الحديث:

- شو بدك مني؟!.. اتركني لحالي أخي أرجوك.



أسند مازن ظهره إلى كرسيه ووضع ساقًا فوق الأخرى ثم قال:

- إنت اللي عاوز.. إنت هنا متهم إنك إرهابي وصدقني كام شهر وهتتعدم سواء اعترفت أو ما اعترفتش، أنا الوحيد اللي أقدر أخرجك من هنا، أنا الوحيد اللي اقدر أخليك تعيش حياة جديدة ونرمي الماضي بتاعك كله.. علاقتك بمنصور الدساس مش هتختفي أبدًا وهتفضل بتطاردك طول حياتك! أنا هخليك مالكش وجود!

ردَّ القاتل بنبرة بائسة:

- أنا مظلوم!، بيقولوا عني من القاعدة وبيقولوا عني من داعش!، كيف أكون منهم وأنا في الأصل قتلت أحد أكبر قاداتهم!، شو ها الغباء؟!

ضحك مازن في البداية، وبعدها أردف:

- إنت عمرك ما كنت مظلوم، جايز فعلاً إنك مقبوض عليك في جريمة إنت ماعملتهاش.. بس لو عرفوا كل

جرايمك إنت هتتعدم مليون مرة، أنا عرفت كل حاجة عنك.

أومأ القاتل، وسأل:

- هتنفذ إمتى أخي؟!

ابتسم مازن بثقة فقد نال ما أراده أخيرًا..

- هعتبر ديه موافقة.. وصدقني المقابل مش هيكون غريب عليك وهتنفذ أكتر حاجة انت موهوب فيها، والمقابل المادي المرة دي هيكون أضعاف مضاعفة، ولأول مرة هتشتغل بانتماء!

حاول القاتل استعادة بعض من ثقته بنفسه فردَّ:

- صدقني ماليش انتماء.. انتمائي للسعر اللي بدي اياه.

ولكنه فشل، فكانت كلمات مازن أشد:

- مش هتلاقي اللي يدفعلك أكتر مني.. إنت مِلكي!، إنت عبدي!



فكر القاتل في محاولة أخيرة لجعل قيادة الحوار لصالحه:

- مش خايف من الزيارة دي، مش خايف إسمك يرتبط بيَّا، قاتل داعشي مثل ما بيقولوا.

فضحك مازن مجددًا وقال مشفقًا عليه:

- أيام وهيتقال عنك إنك منتحر!، ده غير إني برة مصر من إسبوعين ولسه مارجعتش!

أنهى مازن حديثه ونهض من مكانه متجهًا لباب الغرفة استعدادًا لمغادرتها..

أول مرة تقابَل فيها مازن مع عازف الكمان خارج السجون كانت في الفيلا الخاصة بمازن، خضع القاتل لفحص جسدي شامل بحثًا عن أي أجهزة تعقب أو أجهزة تسجيل، تم سحب منه كل متعلقاته الشخصية من هاتف محمول والحقيبة التي تحمل آلة العزف الخاصة به، لم يمانع القاتل في ذلك الأمر المهين له وتحملهم إلى النهاية بنظرات ساخرة، كان بداخله يعلم



أنه لو أراد أن يدخل حاملاً لسلاحٍ ما، لما قدروا على كشفه..

- نضيف!

ابتسم عازف الكمان في غرور، فأومأ أحد الحراس لآخر لاصطحابه نحو غرفة مازن لمقابلته، تبعه القاتل في صمتٍ في ردهة طويلة في نهايتها زاوية تتجه يسارًا، طلب منه الحارس أن يجلس حتى يبلغ السيد مازن أن قاتله الشخصي في انتظاره..

طرق الحارس الباب وفتح جزءًا دلف منه إلى الداخل، لحظات وخرج وطلب من القاتل أن يدخل حالاً..

حينما جلس عازف الكمان أمام مازن، التزم كلاهما الصمت محدقين ببعضهما البعض.. بعدها قال الأخير:

- مهمتك الأولى، رقبة لطفي.. الشخص ده نجيب المحلاوي عرض عليه اتنين مليون جنيه مقابل إنه يشتري بيته ولكنه بكل بساطة رفض. وعاوز إنه يكون شريك لينا في الصفقة وانت عارف بكل تأكيد إن ده

ماينفعش.. عاوز العملية تتم بصورة نضيفة، أظن انت فاهمني طبعًا!، إنت مميز في الأمور دي على حد ما سمعت، لطفي من أيام كتب وصية وهب فيها بيته لزوجته سامية!، وطبعًا الفضل كله لسمير.

أومأ القاتل قائلاً:

- ماشي..

أخرج مازن سيجارة وأشعلها مضيفًا:

- تمن العملية هو نُص المبلغ اللي اتعرض على لطفي.

كان المبلغ كبيرًا حقًا، ولكن القاتل فكر لوهلة أن يطلب المزيد، فلم يمنح لنفسه الوقت الكافي للتفكير في ذلك ونطق بما بداخله سريعًا:

- بل المبلغ نفسه أخي!

- طماع.. ولكن ماشي.. في أسرع وقت عاوز الكابوس ده ينتهي.



- ماشي..

سأل مازن القاتل ساخرًا..

- صحيح إنك مخاوي للشيطان؟!

شعر القاتل بالإهانة من سخرية مازن منه فأجابه بكلمات صارمة لم يفهمها الأخير قط:

- مين عارف جايز في يوم أسمَّعك صوته.. أو حتى أخليك تشوفه أخي!، أنيابه مخيفه جدًا وعيونه الحمراء، لا تسألني مجددًا سيدي فلِي أموالي ولك جثثك.. إن كنا سنعمل سويًا هيك هتكون علاقتنا.. أخي!

حينما استيقظ لطفي في تلك الليلة شهق ذعرًا وهو يرى الحوائط من حوله صارت كالدوّامات التي تشرف على ابتلاعه، كانت الأرض تتحرك تحته والفراش يلفظه، تزاحمت أصوات عقله وأطرافه تتخشب، خُيِّلَ له أنه يرى سامية أمامه وسمير صديقه فهبَّ محاولاً

الوقوف، سقط أرضًا وصار جسده ينتفض بقوة حتى خرج الزبد من فمه وفارقت روحه جسده.

تم حذف طريقة الاغتيال لسهولة تنفيذها!

في المقابلة التالية الجامعة بين عازف الكمان ومازن الحسيني صاح الأخير بقوة فور رؤيته للقاتل المأجور:

- بقالي يومين بطلبك!

ردَّ عازف الكمان:

- كنت في الإسكندرية.

زفر مازن في ملل وتجاهل رده وعاد لصلب الحديث والهدف:

- مهمتك التانية، عاوزك تجيب رقبة أسعد ابن نجيب المحلاوي.. آه.. ابنه لازم يموت، لازم يعرف إنه ماينفعش يتحداني، نجيب مش هيدخل عليه موضوع العفاريت بتاعك ده، هيكون عارف من جواه إني قتلت



ابنه!. لازم يعرف إنه لحد عندي واستوب، أنا حذرته وقولتله يبعد عن المقبرة ديه نهائي ويفضل متعايش في صراعاته على كرسي المجلس وعربياته الخردة.. إنما شغل الآثار مش لعبته.. مش حرِّيف فيها.

أومأ القاتل بعدم اهتمام لكل التفاصيل التي قالها مازن الحسيني عن ضحيته الجديدة، شعر كأن مازن يحاول تبرير ضحاياه ولكن القاتل كان لا يهتم كثيرًا بتلك الأمور..

ردَّ عازف الكمان :

- تمام!

قال مازن الحسيني:

- نفس المبلغ اللي فات هيوصلك.

نهض عازف الكمان متجهًا نحو الخارج قائلاً:

- ماشي.



قال مازن الحسيني..

- قبل الجمعة..

بدون أن يلتفت قال القاتل وهو مستمرًا بالابتعاد:

- يوم الخميس هيكون عشاءه الأخير..

في جراج فيلا نجيب المحلاوي داخل سيارته المفضلة مرسيدس بنز موديل 390 موديل عام 1933 التي تمثل له أول صفقة رابحة عقدها وحده دون تدخُّل والده حينما ابتاعها ببضعه آلاف وقام بتجديدها ليعرض عليها عشر اضعاف مقابل بيعها ولكنه رفض وقرر الاحتفاظ بها لنفسه.

أخرج من جيبه عبوة سجائرة المعدنية وأشعل لفافة وبدأ في تدخينها داخل السيارة، وبين نفس وآخر يشعر بحركة غريبة تدور حوله، التفت حوله مرتابًا ولكنه لم يبالِ كثيرًا واستمرَّ في تدخين سجائره التي منحها له صديقته المقربة جيسي قبل ساعات قليلة!

كان طعمها غريبًا نوعًا ما بالنسبة له وحينما سألها أخبرته أنها قادمة من الهند من أجود أنواع التبغ، شعر بخيال أحدهم يقترب من خلفه فالتفت بخوفٍ أكثر هذه المرة، كان المشهد خلفة مخيفًا؛ فقد ظهر جماعة من الملثمين يحملون الأسلحة وصاروا يطلقون النيران عليه من كل الجوانب، فصعقه المنظر وحاول الاختباء وهو يبحث عن مسدسه في السيارة، ولكنه تذكَّر أنه في خزانة أبيه. فأدار مُحرِّك السيارة بسرعة وثبَّت حزام الأمان وفرَّ مُحاولاً الهروب من الجراج، لكنه اصطدم ببابه بقوة وارتطمت رأسه بعجلة القيادة ليبدأ نزيفٌ قاده إلى الهلاك بعد وقت قصير!

ألقى مازن الجريدة التي يحملها أرضًا وصاح في القاتل:

- إنت غبي!

هبط عازف الكمان وحمل الجريدة ورمق عنوان المقال: «المنتحر يرتدي حزام الأمان!»بقلم ريتشارد أمير



كان ذلك أول مقال يكبته ريتشارد في الجريدة التي يعمل بها ولكن لم يهتم أحد بالأمر وتم غلق القضية على أن أسعد نجيب المحلاوي مات منتحرًا.

- لا تقلق.. إن طرقي في التلاعب بالهرمونات شديدة التعقيد، لن يكشف الطب الشرعي شيئًا.

قال مازن بحزم:

- الغلطة ديه ماتتكررش تاني!

أومأ القاتل في تفهم..

- عيسى المصري!، طب إزاي؟! جاب كل المعلومات اللي في روايته ديه منين! مفيش أذكى منك في المكان ده هيقدر يعرف كل حاجة عن الولد ده، عاوز كل حاجة عنه وإيه علاقته برمضان عبد الواحد!، والأهم مين تاني يعرف السر ده، كنت افتكرت إن الموضوع ده خلص أما قتلنا رمضان بس ده زي السرطان الله يجحمه مطرح ما راح.



أومأ عازف الكمان وهمَّ ليخرج من المكان ليبدأ مهمته الجديدة فأوقفه مازن مرة أخرى..

- بأسرع وقت تنهي الموضوع ده!، ماتقتلهوش قبل ما نعرف كل حاجة!، وبعد ما تعرف عاوز كل حاجة تتم بطريقة نضيفة.

ابتسم القاتل متفهمًا الأمر ومنتظرًا سماع الكلمات المحببة إلى قلبه، فأكمل مازن:

- نفس السعر..

هز رأسه في حالة رفض وقال:

- الضِّعف أخي.

غضب مازن بشدة، فأردف القاتل:

- عملي الاغتيالات.. وليس تقصي الحقائق.

بصوت حاد رد مازن:

- نفِّذ بأسرع وقت.

قال مازن بعدم فهمٍ:

- إزاي تسيبه يمشي؟! إزاي تسمح له يهرب بعد ما كان بين إيديك!

ردَّ القاتل بملل شديد من فضول سيده:

- أخي!، إنت طلبت إن كل حاجة تتم بطريقة نضيفة.. وانا شغال على ده، قُلتلك أكتر من مرة لي فلوسي ولك جثتك بالطريقة اللي بدي إياها.

هز مازن رأسه في تفهم وبعدها سأله:

- وعرفت جاب معلوماته ديه منين؟!

جلس عازف الكمان على أقرب كرسي وصمت لحظات مراقبًا فضول مازن بسعادة شديدة، وحينما شعر بقرب نفاد صبره بدأ في الحديث:



- عيسى ماكانش شريك رمضان عبد الواحد.. عيسى كان مجرد لعبة وكانت واضحة أوي قدامنا بس إحنا ماشُفنهاش، كنا عميان قُدَّامه، شريك رمضان كان واضح زي الشمس في كبد السماء.

لم يفهم مازن أي شيء فقال:

- وضَّح أكتر..

- آسر عبد الرحمن.. هو من ألقى بروايته في طريق عيسى المصري ليخبر الجميع بما علمه عن عمه رمضان عبد الواحد قبل أن يفضحكم أمام الملايين، آسر يحكي القصة ورمضان يعرض الوثائق أمام العامة جميعًا هكذا كانت الخطة بينهما! والإعدام ينتظرنا كلنا هذه المرة.. يبدو أن آسر خاف أن يلقى نفس مصير عمه فقرر التضحية بذلك الشاب.

- ملعون!

- كله يسعي نحو مصلحته عزيزي.



- بس أنا برضو عاوز افهم، ليه سبته يهرب!

علم القاتل أنه ليس هناك مهربٌ من مازن في تلك الليلة فقرر تهدئة فضوله بعض الشيء:

- عيسى عاشق منير، تلاعبت في أحد ألحانه مستخدمًا لحنًا آخر، لحن خطير يقوم بتنشيط إفراز هرمون السعادة في جسمه، يصبح سعيدًا جدًا وسرعان ما تتحول السعادة لهلوسة.. وسرعان ما تقوده السعادة للموت!

تعجب مازن كثيرًا من تلك الطريقة الغريبة للاغتيال..

- بس كده؟!

أجابه القاتل قبل أن يرحل:

- أحتاج في الأمر لمادة بسيطة تدخل جسده قبل سماعه تلك الأغنية لتُحرِّر التلاعب في هرموناته!.. وقد دخلت تلك المادة لجسد عيسى عن طريق القلم.

سأله مازن سريعًا..

- وإيه المادة ديه؟!

ضحك القاتل بهدوءٍ ورحل دون أن يجيب..

اللقاء التالي كان مختلفًا قليلاً، حيث اجتمع عازف الكمان ومازن في إحدى المناطق النائية وليس الفيلا كالمعتاد..

- إشمعنى هنا؟!

ردَّ القاتل:

- آسر علم كل شيء يدور في بيتك، لديك عدو خفي.

صمت مازن لحظاتٍ يفكر في حديث القاتل، ولكنه ترك الأمر قليلاً وأردف:

- مات عيسى المصري، وفيه اللي هيتكفل بآسر عبد الرحمن.. رغم إنه مش مخيف الفترة الحالية، آسر آخره هيهرب عشان مصيره مايبقاش زي عيسى

ورمضان، لكنماينفعش أسيبه كتير.. تم سحب الرواية كلها من المكتبات ووقف نشرها واتمسحت من على كمبيوترات الدار.. وانت اتكفلت بأخو عيسى وده الوحيد تقريبًا اللي كان على عِلم بلمحات من اللي بيحصل، الأمر منتهي أخيرًا.

هز رأسه في حزنٍ، وقال في ملل:

- لا.. هناك من يتحرك دون وعي ويقرب كثيرًا من تكرار نفس السيناريو.

في غضبٍ صاح مازن:

- تقصد مين؟!

- ابن رمضان عبد الواحد.. الهاكر، بيتبع مسيرة أبوه ولكن على طريقته الخاصة.

- مش هنخلص.. نقتل كام واحد عشان ننتهي بقى.

- مش لوحده.



- أومال مين كمان؟!

- الصحفي ريتشارد.. ريتشارد أمير اللي أوقفنا له مقالاته زمان عن موت رمضان عبد الواحد.

- عاوز كل المعلومات عن الصحفي ده.

- قريب جدًا، هديك كل المعلومات وهقولك شو نعمل بالضبط عشان نخلص منهم كلهم مرة واحدة، وديه تعتبرها استقالتي من الشغل معك. العمل معك صار خطير أخي وعلامات الاستفهام تزداد كل يوم حولك.

(26)

مذكرات: عيسى المصري

في صباح اليوم المنشود استيقظت متوترًا، جلست خلف مكتبي أحاول ترتيب أفكاري فأنا أعلم أنني لن أحظى سوى بثوانٍ معدودة مع الكاتب آسر عبد الرحمن، أخرجت ورقة وشرعت في ترتيب الأسئلة حسب الأهمية.. دوَّنت السؤال الأول:

كيف تكتب الروايات؟!

مسحته سريعًا شاعرًا بالخجل، ماهذا السؤال الأحمق؟!

فكرت في سؤال آخر..

أيمكنك أن تمنحني نصحية تساعدني في تطوير حبكة روايتي أستاذ آسر؟

حسنًا لا بأس به.. بالتأكيد هناك الأفضل ولكنه سؤال جيد على أية حال..

رشفت من فنجان قهوتي وفكرت في السؤال التالي..

ما هي أيسر طريقة لاحتراف النحو والبلاغة؟!

شعرت برضا أكثر عن ذلك السؤال.. سؤال ينم عن رغبتي الجامحة في التطوير ورغبتي في الاحتراف والابتعاد عن الركاكة والابتذال، استمر الحال على ذلك لساعات طويلة حتى اتصلت بي شهد تؤكِّد عليَّ الميعاد فأخبرتها أنني سأقابلها بعد نصف ساعة لنذهب سويًا، وحدَّدنا مكان المقابلة وأخبرتني ألا أتأخر عليها فوعدتها بذلك..

لا أعلم لماذا كنت أشد حرصًا على عدم ترك شهد وحدها في الشارع، أما حبيبة فكنت لا أهتم بذلك!

الاثنتان كنت لا أتركهما.. ولكنني كنت أرغب حقًا في التواجد قرب شهد!

حينما قابلتها كانت ترتدي رداءها الرمادي المحبَّب لي وتغطي شعرها بالغطاء الملحق به كالعادة، ابتسمت فور رؤيتها لي وأزالت عن أذنيها سماعتها ورحبت بي

بحرارة، كان جسدي كله ينتفض، نظرتها كانت.. لا أعلم كيف أقولها.. طوال الوقت وأنا أحلم بتلك النظرة، طوال الوقت وأنا أحلم بأن أعيش لحظة شاعرًا بكوني مرغوب فيَّ، واليوم أعيش تلك اللحظة وأنا من يتهرَّب منها! كنت أشعر أنَّ تهرُّبي منها يُثيرها أكثر وأكثرَ..

- ألن نذهب؟!

قالتها لتسحبني سحبًا من شرود ذهني، كانت عيناي دون أن أدري مثبتتين على صدرها، فنظرت لنفسها وضحكت..

- الحفلة يا عيسي.

أومأتُ.. ورحلت معها..

حقًا تلك الليلة تُعتبَر هي الليلة التي عشقت فيها رغبتي بكوني كاتبًا، الليلة التي رأيت نفسي في جسد آسر عبد الرحمن، كان يجلس وتحيط به عشرات الفتيات، عشرات الفتيات يتمنين فقط توقيعك أو صورة معك.. حسنًا الأمر لم يكن بتلك الصورة، ولكن

كل الفتيات تتمنى ذلك، أنا أرى ذلك في عيونهن، حسنًا لا يصح أن أقول ذلك، آسر نجاحه كان مبهرًا، فاتنًا.. لم يكن وسيمًا لتلك الدرجة ولكن نجاحه جعله الأوسم، كان لامعًا، متألقًا، واثقًا في نفسه، يتجاهل الفتيات كلها ولكنني أرى في باطن عينيه رغبته فيهم كلهم سويًا.. كنت أراه رغم كل نجاحه وبريقه إلا أنه مخادع، منافق، كاذب، مغرور.. لا يستحق تلك الحياة.. ما أظلمها تعطي مثل هؤلاء ما لا يستحقونه..

مسكت شهد يدي..

- اذهب له.

ترددت قليلاً..

- كيف لي اقتحام ذلك الجمع النسائي حوله؟ لو كنت مكانه لما كنت كلمتني!

صدمتني..

- معك حق.. بالتأكيد سيتجاهلك.

- حسنًا؟!

- أظنني أمتلك طريقة ما.

- ما هي؟!

لم ترد في البداية.. بعدها قالت:

- انتظرني هنا.

أمسكت يدها بقوة وأوقفتها، كنت أعلم ما ستنوي فعله، كانت ستذهب له لتتلاعب بأفكاره بكلمات ذات معانٍ كثيرة..

- على ما تنتوين؟!

- عيسى، ما بك؟! سأساعدك.

- لا حاجة لي لمساعدتك.. هيّا لنرحل.

- هل جننت؟!

صرخت دون أن أدري:



- أخبرتك هيًا، لن أستغلك لكي نقابل مغرورًا مثله.

نعم..

سمعني الجميع..

نعم..

كنت الأضحوكة في المكان..

حتى آسر كان يرمقني بنظرات تجمع بين الشفقة والحماقة والتعجب والاندهاش..

لم أنسَ ذلك المشهد أبدًا..

أشعر بالحرج كثيرًا كلما تذكرته..

أظنني سأكتفي بذلك القدر لتلك الليلة ولأكمل غدًا..

ليس من اليسير الاستمرار في الكتابة والاعتراف، مرَّ أسبوعان منذ آخر مرة كتبت فيها. جميع المكتبات خالية من عملي الروائي الناجح، أمتلك الآن جزءًا من

أرباحي المادية في المبيعات واسمي صار في المراكز الأولى للأكثر مبيعًا.. رغم ذلك لا رسالة إعجاب وحيدة أتت لي تمدحني ولا حتى رسالة تذم عملي، الجميع يتجاهلني، لماذا؟! لا أعلم.. اسمي مجرد صفر على يسار السطر، لا قيمة له.

كأن أحدهم لم يقرأ الرواية قَطُّ سوى ذلك المعتوه الذي يجلس أمامي الآن ينظر لي وجاءني الحفلُ متسائلاً عن طُرُق القتل المذكورة في روايتي، هل هي حقيقة أم محض هراء روائي، يجلس يُراقبني بصورة ترهبني أحيانًا، تجعلني أشك أن المرات الثلاثة التي صادفته فيها لم تكن قدرية ولكنني أشعر الآن أنه يطاردني..

تبًا للحظ.. أول قارئ لي إنسان مجنون، واضح أنه يسعى لقتل أحدهم ويستخدم روايتي لتمهيد طريقه!

لن أسمح لمخبول بتشتيت أفكاري، هربت من بيتي بعدما اتضح لي أنني عاجز عن الكتابة فيه، كنت في

حاجة لمكانٍ جديدٍ، أستجمع فيه بعض القوى لسرد باقي اعترافي ومواجهة نفسي الآثمة بأخطائها.

بعدما سحبت شهد بقوة لنخرج من معرض القاهرة الدولي للكتاب.. في مكانٍ ليس بالبعيد عن المعرض كان هناك كافيه طلبت مني شهد أن نأخذ فيه فنجانين من القهوة لتقليل ذلك التوتر الذي حدثَ ونعيد فيه تجميع شتات أنفسنا، وافقت سريعًا.. نعم كنت في حاجة لذلك الأمر كثيرًا..

حاولت حبيبة الاتصال بي في تلك الأثناء لمعرفة ما آلت إليه مقابلتي مع آسر عبد الرحمن ولكنني تجاهلت اتصالها..

في المقهى التزم كلانا الصمت لقرابة النصف ساعة، كلانا عاجز عن الحديث كلانا يعلم أن ما حدث في معرض الكتاب هو أمرٌ غريبٌ، لا يحدث بين اثنين ليسا أكثر من صديقين؛ فقد كانت غيرتي واضحة جدًا.. كانت عيناي تنطقان بكلمات أكثر من اللازم، كنت

أتحاشى النظر لها، أخشاها.. كنت مرعوبًا أن تفهم ما أنا عاجز عن ذكره..

- لماذا؟!

كنت أفهم سؤالها المختصر ولكنني عجزت عن الرد فاصطنعت الغباء..

- لماذا.. ماذا؟!

أجابتني شهد:

- تخشاني.. تخشى الحديث.. تخشى مشاعرك.. تخشى الناس.. تخشى نفسك.. تخشى أحلامك.. وطموحاتك.. لماذا تريد أن تعيش حياة ليست لك؟! لماذا ترفض أن تتقبَّل فكرة أنك مختلفٌ.. متميزٌ.. عظيمٌ، تحاول جاهدًا طمس نفسك داخل الكيان الذي يريدونك عليه.. طالما كنت تطيع الأوامر، ألم تمل من تلك القيود بعد؟، ألم يَحن الوقت لكسر تلك الأغلال وتحرير نفسك من كونك مجرد تابع أحمق لهم؟، كفاك طمس روحك بين قبضة عاداتهم وأقوالهم، ألا تشعر



بالملل وأنت تأكل ما يأكلون وتشرب ما يشربون، تنطق فقط بما يثير إعجابهم، حتى أول لقاء جمعنا لم يكن باختيارك بل أجبِرت عليه.. أتتخيل؟

كان حديثها مؤلمًا..

أدركت للمرة الأولى أن خطيئتي لم تكن في كوني خائنًا أو لصًا بقدر ما كانت..

خطيئتي الوحيدة هي أنني كنت منصتًا جيدًا!

لو كانت حبيبة لكنت صفعتها الآن بلا شك..

ولكن الفارق بين انتقاد شهد وانتقاد حبيبة، أن حبيبة تخجل من تصرفاتي، أما شهد تشفق على حالي بل وتراني أفضل من ذلك..

- أريد الرحيل.

أومأت في تفهم، أخرجت من جيبي حساب المشروبات ووضعته على الطاولة وشرعت في



الرحيل، ولكنها أوقفتني..

- عيسى.. انتظر.

وقفت مكاني ونظرت لها وجدتها تشير لإحدى الطاولات في آخر أركان الكافيه:

- هناك..

نظرت للمكان الذي تشير إليه فكان آسر عبد الرحمن يعتكف على مجموعة كبيرة من الأوراق يقرأ فيها بتركيز شديد، يجلس وحيدًا بلا معجبات يتطلعن لتوقيعاته..

-إنها فرصتك.. انه وحيد، اذهب الآن واسأله كل ما تريد.

لم أفكر هذه المرة وتحركت نحوه متعجلاً..

- آسر.. أقصد أستاذ آسر عبد الرحمن.

نظر لي وهو يقول في نفسه:



- ألست أنت الأحمق من معرض الكتاب؟!

لم ينطق بها وكتمها وقال بدلاً عنها:

- أنا آسر.. أفندم حضرتك.

- كيف لي أن أُصبح مثلك؟!

- اكتب.

- أنا عاجزٌ عن ذلك، أمتلك عدة أفكار، لكنني لا أكتب سوى عدة صفحات ويتوقف كل شيء، أفقد حماسي فيها، وأصير لا أود كتابتها.. وأود بدء عمل روائي جديد.

- لأنك ثرثار يا صديقي.. لا تتحدث عن طموحاتك، أنت تخبر أصدقاءك عن فكرتك وهي ما زالت تحت الإعداد، تحتفل مبكرًا جدًا.

- لا أظن أن من أحكي لهم حاقدون.. فهم يودون النجاح لي.



- لم أقل إنهم حاقدون.. أعتقد أن عقلك الباطن يظن أنك أنهيت روايتك بالفعل ويدفعك دفعًا للتحرك نحو فكرة أخرى، أنت تخدع نفسك باحتفال زائف بلا معنى.

- لِمَ لا تسميه تطلُّعًا للنجاح؟!

- لمن تقرأ؟!

- أظنني.. قد أكون لست بالقارئ النهم ولكنني متابع جيد للسينما العربية والأجنبية.

- ماذا بكم يا قوم، تريدون الكتابة وأنتم لستم بقراء؟! أنت بحاجة للقراءة أولاً، السينما وحدها لن تغنيك ولن تمنحك الأدوات اللازمة للكتابة وصنع العبارات والحبكات الخلابة.

- مشكلتى أنني قد أكتب في مشهدٍ واحدٍ عدة ساعات متواصلة.



- صديقي، أترى تلك المسودة؟ إنها روايتي العظيمة.. أتعلم ذلك المشروع الروائي؟ أكتب فيه منذ ثلاث سنوات ولم أنتهِ منه سوى من ليلتين فقط.

- يمكنك تفصحها.. سأذهب لدورة المياه لحظات وسأعود.

سأتوقف الآن عن الكتابة.. أود الرحيل عن ذلك الكافيه..

أنا خُطفت!

نعم، خُطفت!

أعتقد أن هذا سيكون هو الفصل الأخير أو ما قبل الأخير في مذكراتي، فور الانتهاء من كتابة ذلك الفصل سأمزقها للأبد. في اليوم ذاته خرجت من الكافية ولكنني لم ألاحظ أبدًا أن ذلك الغريب يتتبعني، في منتصف الليل تجاوزت ثلاثة شوارع حتى وصلت لطريق الكورنيش، وهناك توقفت في انتظار مرور سيارة أجرة لاستقلها، كان الوقت الثالثة فجرًا والبحر



خاليًا من البشر ومن السيارات بسبب الطقس الشتوي السيء.

على جانبي لا أعلم متى ظهر وكيف أتى!، كان إلى جواري وبطريقة مصطنعة قال:

- الكاتب عيسى المصري؟! ألا تملك سيارة مثل باقي الكُتَّاب!

أجبته وأنا مرتاب حقًا من حديثه:

- الكُتاب في مصر بعضهم لا يملك حتى ثمن الأجرة.

أومأ قائلًا:

- ولكن كتابك لم يعد في المكتبات بعد الآن..

- أعلم ذلك!

- أنت ناجح أيها الكاتب.

ظهرت أخيرًا سيارة أجرة من بعيد فأشرت للسائق أن يتوقف، فهدَّأ من سرعتها ليتعالى معها صوت الرعد في السماء. توقفت السيارة أمامي، فتحت بابها فظهر أمامي شخصان ملثمان جذباني عنوة نحو الداخل وهرول ناحيتي ذلك الغريب ودس حقنة في كتفي فشعرت ببرودة سائلها يمر في عضلاتي، وكانت تلك بداية أصعب فترة في حياتي.. لحظات وكنت غائبًا عن الوعي تمامًا..

- من أين حصلت على تلك المعلومات؟! قرية طاحب!

أجبته بصوت غير متزن:

- إنها مجرد خيال.

صفعني بقوة على وجهي قائلًا:

- كلانا يعلم أنها ليست كذلك!

ما هذا الأحمق؟!

صمت قليلاً ثم أردف:

- مَن شريكك، من يعمل معك لدى رمضان عبد الواحد؟!

كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الاسم حقًا..

- مَن يكون ذلك الشخص؟!

لكمني هذه المرة بقوة فانسال خط دموي على جانب شفتي وانطلقت صرخة قوية منِّي..

- أقسم إنني لا أعرفه.

جن جنونه من إنكاري وأخذ يضرب في بكلتا يديه، صفعات تلو الصفعات وهو يصرخ..

- أخي!، ألا تخشى الموت؟! ألا تخشاني؟!

الألم جعلني عاجزًا عن الرد.. بل كنت عاجزًا حتى عن التنفس، كانت كل الصورة ترتعش أمامي وشعرت



لوهلة أنني أرحل عن العالم بالفعل، كانت دقات قلبي تتباطأ أكثر فأكثر، صرت أتنفس بصعوبة وفي تلك اللحظة جذبه شخص آخر لا أعلم متى ظهر..

- سيموت لو استمررتَ على نفس المنوال، يجب أن نعلم مَن غيره يعلم بذلك الأمر.

ركلني الغريب ورحل عن الغرفة، وبعد لحظات ساد السكون حولي وصرت لا أشعر بشيء مطلقًا.. ظننتها النهاية، ولكنه كان غيابًا عن الوعي مرة أخرى..

حسنًا لم تكن تلك المرة الأخيرة التي أتعرض فيها لذلك العذاب، في المرة التالية أخذت جرعة مضاعفة من الضرب المبرح والقاتل يصرخ في وجهي عمَّن غيري يعلم بتلك الحقائق، في البداية حاولت الإنكار من جديد!

- أنت لا تفهم مدى خطورة ما أنت فيه الآن؟!

أفهم.. أقسم إنني أفهم ولكن الاعتراف أمرٌ خطير!



- أخبرتك أن كل ما كُتِب في الرواية مجرد خيال!

صرخ بصوت أعلى:

- ومن أين علم خيالك بكل طرق الاغتيالات التي قمت بها؟!، أنت تحدثت عنها كأنك كنت معي بالضبط؟!، ولد! كيف لك علمت بتلك الأمور؟!

ما هذا بحق الجحيم؟!

- عن مَن تتحدث؟! صدقني أنا لا أفهمك!

قال بصوت صارم قبل أن يهبط على صدغي بلكمة أخرى:

- عازف الكمان!

سألته بذعر:

- أنت عازف الكمان القاتل؟!

أجاب عن سؤالي بسؤال آخر:



- من غيرك يعلم؟!

علمت أنه لا مفر أبدًا من الاعتراف..

فأخبرته بكل شيء..

كل شيء!!

هربت! لا أعلم كيف، هربت بمنتهى السهولة والسلالة كأنهم تعمدوا رحيلي، أظن أنه حتى ذلك المجنون يراني حقيرًا أحمق كالجميع، أظنه لم يتوقع مني محاولة الهروب، لو كنت تعلم أيها الأحمق أنني تلاقيت مع شهد أخيرًا لكنت وضعت حراسة أكثر من ذلك.. سبق وأن ذكرت ذلك في باقي المسودات الأخرى لمذكراتي، المسودات الأخرى الممتلئة بكَمٍّ هائلٍ من الأكاذيب واختلاق الأمور، حتى في أمر هروبي هناك تم التعديل عليه كثيرًا وكثيرًا حتى يبدو أكثر إثارة. دائمًا كنت حريصًا على ألا أكون مثل طه حسين، وأن أكتب في مذكراتي معلوماتٍ مثل التي كتبها عن نفسه في كتاب الأيام.. لن أكتب عن عشقي للحلويات ولا



تخيلات طفولتي! لن أصبح أضحوكة لبعض المراهقين الحمقى بل سأكون القدوة، المثل.. الحياة التي سيودون أن يعيشوها ولو لبضعة أيامٍ فقط!

(27)

المختار

كان ريتشارد المختار -حسب ظنه- يداعب رمز تميُّزه العظيم: «الخاتم»، بين أصابعه بلا وعي تقريبًا، مُشتَّت الذهن، غارقًا في عشرات الأفكار المتداخلة والمتشعبة في بعضها البعض. يفكر في أفضل خطوة يجب عليه القيام بها في ذاك الوقت الحَرِج من الأحداث..

كان قلبه يدفعه دفعًا لمقابلة شهد.. ولكن قلبه توقف قليلاً يتأمل الموقف جيدًا، فهو لا يُدرِك حقًا بما يخبرها تحديدًا، فعيسى المصري رغم شخصيته المتواضعة وغير الناضجة إلا أنه كان بئرًا عميقًا من الأسرار الشائكة التي صارت تمس سمعته جدًا، يعلم ريتشارد خطورة إفشاء كلمات عيسى المصري الآن أمام الجميع، يعلم أن عيسى لن يسامحه أبدًا داخل قبره وسيمكث كل ليلة يلعنه لعنًا لفضح سره. تراكمت الأفكار وتزاحمت التناقضات داخله فقرر تأجيل الأمر قليلاً واستبداله بوسائل أخرى لعلّها تفي بالغرض.



فأخذ أيامًا طوالاً في البحث داخل كل المكتبات التي يعرفها أو لا يعرفها عن نسخة وحيدة شريدة من رواية عيسى المصري، حتى إنه لم يترك بائعي الجرائد وأصحاب أكشاك الكتب والروايات غير الأصلية في النبي دانيال وسور الأزبكية.. ولكن هيهات!

لا نسخ ورقية في المكتبات..

لا نسخ غير شرعية في الأكشاك..

لا نسخ إلكترونية..

حتى دار النشر أنكرت أنها تمتلك أيَّ نسخ في مخازنها عن ذلك المحتوى، ورفضت أيضًا طباعة نسخة لريتشارد رغم أنه ضاعفَ سعرها عدة مرات..

طلب ريتشارد من آدم اختراق حواسبهم الآليه بحثًا عن المحتوى الإلكتروني الأصلي لديهم، ولكن آدم فشل في الوصول لأي شيءٍ؛ فالدار قامت بمسح كل ما يخص ذلك العمل، حتى إنه استطاع التوصل لكافة



التعاقدات مع جميع كُتَّاب الدار عدا التعاقد الذي يجمعهم بعيسى المصري.

حاول ريتشارد التواصل مع أسرة عيسى المصري بصورة غير مباشرة كأنه وسيط لمسابقة دولية كبرى تريد نسخة أو عدة نسخ من العمل للمنافسة، محاولاً إغراءهم بالعائد المادي في حالة فوزه، ولكنهم أخبروه أن عيسى كان يتخلص من كل النسخ التي يمتلكها في أيامه الأخيرة.. فصارت الدائرة تضيق أكثر فأكثر حول ريتشارد..

وحاصرته الأقدار لما كان يخشاه وهو أن يكون مجبرًا على التواصل مع شهد أو حبيبة فهما الباقيتان الآن واللتان بنسبة كبيرة ستكون معهم نسخة واحدة من العمل على الأقل.

حينما تواصل ريتشارد مع حبيبة أخبرها أنه صحفي وفي حاجة شديدة لنسخة من رواية عيسى المصري، فأخبرته أنه طلبها قبل وفاته بعدة أيام ولم يُعِدها مجددًا.



- ماتعرفيش أي حد تاني ممكن ألاقي معاه نسخة من العمل ده؟

أجابته:

- ما أظنش!، بعد وفاته حاولت أوصل لنسخة بأي شكل بس هو كان بيجمعهم من كل اصحابه..

شكرها ورحل عن المكان وهو يعلم أنه لم يعد له سوى شهد..

ولكنه شعر في تلك الليلة أنه بحاجة إلى هدنة قليلاً من ذلك الأمر وكأن آدم كان يقرأ أفكاره، جاءه اتصال يطلب فيه الأخير مقابلة ريتشارد على المقهى القريب من الفندق الذي يسكن فيه فوافق..

- بس، زي ما قولتلك الرواية مالهاش أثر..

أمسك آدم بالشيشة وأخذ نفسًا طويلاً منها ورد غير مندهشٍ من حديث ريتشارد:



- قُلت لك، شهد هي الحل.. كل اللي فات مجرد تضييع وقت منك بصورة مالهاش معنى!، مش فاهم ليه ماسمعتش كلامي!

غضب ريتشارد من حديث آدم وشعر فيه بنبرة استهزائية منه ولكنه تجاهل تلك المشاعر قليلاً فهو بداخله يعلم أهمية ذلك الهاكر في حياته، وأنه لولاه ما كان قد استطاع تنفيذ أي شيء في شهوره الأخيرة..

- إزاي مفيش ولا نسخة؟!، وإيه يضمن حاليًا إن فيه نسخة مع شهد؟!، ده غير إننا لو قرَّبنا منها أوي لازم هنكشف عيسى قُدّامها.

ضحك آدم من كلمات صديقه ورد مستنكرًا:

- عيسى كان كاتب مبتدأ، وفي بلدنا أغلب دور النشر الخاصة بتقدم عقود استغلالية لاحلام الشباب، مناصفة المصاريف مقابل مناصفة الأرباح.. فياخدوا كام ألف من الكاتب ويطبعوا له مِية أو مائتين نسخة بجزء من فلوسه، كده الدار كسبت والكاتب فِرح..



الكتاب باع كان بها ممكن يفكروا في الطباعة مرة تانية، ماباعش ماخسروش حاجة بالعكس دول كسبوا وكسبوا كتير أوي..

أومأ ريتشارد مستوعبًا الحديث الذي بدا له منطقيًا الآن..

- وليه مُصِر إن شهد الوحيدة اللي ممكن نلاقي معاها نسخة من الرواية.

سحبَ آدم نفسًا آخر من شيشته وأردف:

- أولاً، شهد هي الوحيدة اللي كانت تعرف عن عيسى إنه سرق العمل.. لو كنت ركزت شوية في المذكرات كنت هتفهم ده من نظراتها ونصيحتها له إنه يروح لآسر في الفصول الأخيرة منها، عيسى كان عارف إن شهد عرفت ولكنه ماكانش قادر يصرح بده في المذكرات، صديقنا أما اتخطف وقابل عازف الكلارنيت وهرب منه بطريقة ما.. أول حاجة بدأ يعملها إنه يجمع رواياته من كل صحابه ومعارفه ولأنه كانت صغير

ماحدِّش اهتم بتجهيز نسخة على الإنترنت، بس هو مافكرش ياخد نسخة شهد لأنه أصلا خلاص اتعرى قدامها فماعادش يفرق ده..

صمت آدم لحظات بينما ريتشارد ينتظر المزيد..

- وثانيًا؟!

حمل آدم حقيبته على قدميه وفتحها مخرجًا منها نسخة من رواية قصيرة تحمل اسم (صيحة من بلاد طاحب).. نظر ريتشارد لاسم المؤلف فكان (عيسى المصري).

فصرخ ريتشارد دون أن يدري..

- إزاي؟!، جبتها منين؟!.

أجاب آدم ضاحكًا:

- سبتك تلف حولين نفسك، وركزت على الهدف الصح؛ شهد!

- سرقتها؟!

- خالص.

ردَّ ريتشارد باندهاش..

- بعد كل المشاعر اللي كانت بينهم سابتلك الرواية بمنتهى السهولة!

رد آدم:

- شهد، كل اللي بتحلم بيه زوج وأسرة.. لو لعبت على الوتر ده هتمتلكها، شغلها كان مجرد مصدر دخل ليها مش أكتر، وعلاقتها بعيسى ماكانتش حب على أدّ ما كانت شايفاه زوج كويس محترم، شخص ممكن يعيِّشها بصورة كويسة وتخلِّف منه عيل أو اتنين.. فلما لعب في أحلامها اعترفت بكل تاريخها.. مش العهري طبعًا، قالتلي إنها حبِّت كاتب اسمه عيسى بس مات.. فكان لازم أظهر بشكل الغيران عليها، وخافت أطير منها ووعدتني إنها هتحرق الرواية.. فصممت إن أنا اللي أحرقها!



ضحك ريتشارد من ذكاء صديقه..

- بس كل ده حصل في اسبوع!

- قولتلك.. هي مش محتاجة إلا زوج!

- وقرأت الرواية؟!

صمت آدم لحظات وتلاشت الضحكة من على وجهه..

- ريتشارد الرواية ديه خطيرة جدًا!، والأسماء المحرَّفة اللي فيها بتمس شخصيات مهمة أوي، وتقريبًا كل المعلومات اللي فيها حقيقة، آسر عبد الرحمن كان شريك أبويا في العملية دي.. كانوا ناويين يفضحوهم قُدَّام كل الناس..

استمع ريتشارد لكلام آدم ولم يردّ عليه سوى بإيماءة، فقد كان كل ما يهمه هو الرواية.. فأخذها من آدم واستأذن راحلًا عن المكان..

العشاء الأخير

(28)

حكاية: قرية طاحب

مساء ذلك اليوم تعانقت الغيوم في كل سماء الإسكندرية، غاب مازن عن زوجته لأيام طوال، كلما اتصلت به، يستجيب مرة معتذرًا لانشغاله ولا يستجب عشرات المرات، انشقت سماء العروس بأشعَّة البرق المخيفة وتهاطلت الأمطار ولا رفيق لسامية في تلك الليلة سوى الصقيع وصوت السيول ونباح كلبها في الخارج. فكرت في إعادة فتح الإنترنت ولو قليلاً على سبيل التسلية لا أكثر، لم تكن تشتاق لتلك الحياة ولا حتى صارت تشغل حيزًا من تفكيرها كالماضي، ولكنها تراجعت عن الفكرة في النهاية.

ارتعش هاتف سامية للحظات فسحبته فورًا ورمقت تلك الرسالة التي وصلتها من رقم مجهول:

«إن كان يمتلك بيتك الآن، فاهربي فورًا!»

ظلت تحملق في الرسالة لحظات دون حركة، بعدها ضغطت على زر الاتصال للتواصل مع ذاك الرقم، ولكن الخط كان خارج الخدمة، فالغريب أرسل الرسالة واختفى نهائيًا!

«الفرعون هيقتلك!:

داعبتها الذكريات عن الماضي السحيق وفقدانها لولدها وكلمات العرَّاف المجذوب عن لعنة ذلك البيت، مقتل لطفي في ظروف غريبة غامضة، وتلك الرسالة!

لا تفهم ولكنها تشعر بالخطر..

نظر مازن لعازف الكمان وقال..

- هدفك الأخير ريتشارد!

أومأ القاتل دون رد.. أضاف مازن:

- السعر نفسه لآخر عملية..

أردف مازن:



- بس مش عاوزك تقتله..

لم يكن مازن يفكر حقًا في قتل زوجته، ولكن هيهات أن تقتنع سامية بذلك الآن.. فقد أحبَّها لدرجة تجبره على عدم إحلال دماءها الآن، فلم يكن يوجد مبرر لذلك حتى، فهو أخذ منزلها بالفعل في القرية وسبق أن دفع لها المقابل في حانة تمتلكها وسيارة فارهة تحت إمرتها، لم تستفسر حينها كثيرًا عن رغبته في امتلاك البيت واكتفت بما أخذته منه، غير اسمها الذي صار مقترنًا باسمه رغم غضبه من ذلك الحدث ولكنه قد كان ولم يعد يهتم بذلك فرُبَّ ضارة نافعة، فالصحف تهتم أكثر بتلك الحياة وتنشغل فيها عن التركيز في سعيه خلف المقبرة الأثرية..

على مدار الأيام التالية كرَّست سامية حياتها في البحث خلف مازن محاوِلة فهم ما يحدث وما قد تورطت فيه دون قصد، تحاول ربط كل حرف بالآخر، كل مشهد بتابعه وسالفه.. ووجدت ضالتها حينما سحبت هاتفه المحمول وسمعت صوت زوجها الراحل وهو يستعرض المقبرة الأثرية له فترتبت قطع



الأحجية أمامها.. أحضرت أوراقًا وأقلامًا وشرعت في ترتيب أفكارها لتصبح أكثر وضوحًا..

اشترى لطفي وسامية المنزل الملعون بالمقبرة

حذَّرَهم المجذوب من اللعنة..

هربت سامية من القرية!

وجد لطفي المقبرة.. وعرض المشاركة مع أكبر رجال الأعمال..

رفضوا المشاركة!

رفض لطفي البيع وتنازلَ عن المنزل لسامية!!.. عن طريق خدعة ما..

تقرُّب مازن لسامية وسعيه للزواج منها!

مجيء رسالة من غريب تحذرها!



لم تتضح الصورة بشكل كامل، ولكنها أدركت في تلك اللحظة أن تقرُّب مازن لم يكن لتمردها واستبدادها، وجاءتها الفكرة أخيرًا كيف له أن يعلم استبدادها قبل أن يجمعهما الفراش للمرة الأولى. ظنت أن مازن هو من سعى لتنازل لطفي عن المنزل لها وفي الوقت ذاته يدبر الأمر للتقرب منها..

أنا أفهم!

لم تتوقف عند ذلك وحسب.. تعمقت بشكل أكبر في المشهد وأدركت أن مازن هو من قام بقتل لطفي، وأن وتحمسه لعرض الزواج منها في شهور العدَّة حتى لا يسمح لها بفرصة طلب الزواج الشرعي والاكتفاء بالعرض السري حتى يحصل على المنزل بصورة نهائية.. ونظيفة أيضًا..

لعنته في داخلها وأخذت تلعن نفسها لأنها ظنت الثقة في شخصيتها وفي قدراتها، طالما ظنت أنها تروضه بين أناملها، ولكن أخيرًا اتضح لها كونها مجرد قطعة



شطرنج في صراع طويل بينه وبين الحية الأخرى نجيب وابنه القتيل.

أخيرًا فهمت تهرُّب مازن كثيرًا في بداية علاقتهما من تطليقها من لطفي مستخدمًا نفوذه، ومماطلته في الأمر حتى رحل الأخير في صمتٍ تاركًا لغزًا آخر غير محلول وقضية مقيدة ضد مجهول. مجهول صارت تعلمه وعازمة على أن يعلمه الجميع في أقرب فرصة ممكنة ولكنها في البداية تحتاج للأمان؛ فهي تعيش في كنف قاتل!.. تعيش في بيت الشيطان نفسه.

قبل مقابلة عيسى المصري وآسر عبد الرحمن للمرة الأولى في معرض الكتاب الدولي بعدة أشهر، تقابلت سامية مع آسر.. حينما طرقت بابه كانت تشعر بمدى حماقتها وما ستئول له تلك الزيارة الحمقاء ولكنها تعلم أن الاختيارات ليست كثيرة أمامها، بل ليس هناك اختيارات من الأصل..

- أفندم؟!

- محتاجة أتكلم معاك.

حاول الاعتذار فبكل تأكيد ظنها كاتبة شابة جديدة تريد اقتحام الميدان عن طريقه، فقد عانى كثيرًا من تلك الزيارات التي صار يتلافاها قدر الإمكان..

- بعتذر..

- لازم تسمعني، أنا في خطر وانت الوحيد اللي هتقدر تساعدني!

أومأ، وسمح لها بالدخول..

وبعد مرور ساعتين من الإنصات لها قطع حديثها:

- إنتي بتقولي ايه؟!

- الحقيقة !، نجيب حماك ومازن اللي عمك شغال في قناته، قتلة مجرمين.

كان يعلم تاريخ صراعهم الطويل ولكنه لم يكن يتوقع أن يد كل منهم متلوثة بالدماء بهذه الصورة المقززة



الحقيرة..

- مش بس كده، مازن قتل أسعد!

- بس الطب الشرعي قال غير كده..

- عشان مازن معاه قاتل مأجور غير عادي.. كل طرق اغتيالاته تلاعُب بكمياء الجسم وهرموناتها، أنا قابلته مرة في البار اللي كنت بشتغل فيه، شخص مهزوز وضعيف بس واضح إن الأي كيو بتاعه مرعب، ده غير إن لهجته مش مصرية.. جايز لبناني، سوري.. ما أعرفش تحديدًا، عمومًا كل المعلومات بوثائقها على السي دي ده، تقريبًا إنت عرفت موضوع روايتك الجاية إيه!

أخذ منها الأسطوانة وظل حائرًا بعض الوقت في كمّ الخطر الذي على وشك إقحام نفسه فيه، قطعت جلستهما كريمة زوجته وابنه نجيب فانقطع حديثهما لحين حيتهما كريمة وقدمت لهما الشاي وانصرفت.. ليكملا حديثهما..



- ولو ماقدرتش يا سامية؟!

- هتبقي شريكهم!

صمت كلاهما لحظات بعدها لمعت عيناها لخاطرتها..

- أقولك.. كلم عمك الدكتور رمضان.

حديثها بدا له منطقيًا ومريحًا أيضًا..

- وانتي؟

أخذت كوب الماء وتناولته كله ونهضت من مكانها متحركة نحو الخارج بعدها أردفت كلماتها الأخيرة:

- هختفي كالعادة..

حينما أبلغ آسر عمه رمضان عبد الواحد اتفقا على فضح تلكما العائلتين بكل الأسرار المحيطة بهما، تعمق آسر في حياة كليهما وجمع كل المعلومات عن القرية والبيت والمقبرة الأثرية، ونسجها داخل مشاهد درامية ليعرضها على العامة، كما منح رمضان كافة الوثائق



التي سيتم عرضها في برنامجه التليفزيوني وحينما ظهر الإعلان الدعائي للحلقة عن بث أسرار شديدة الخطورة على الهواء مباشرة، طلب مازن من عازف الكمان تتبُّع الأمر فعلم أن سامية قبل اختفائها منحت رمضان أرواحهم جميعًا ليبثها لعامة الشعب فلم يتردد لحظة في اغتياله بإحدى طرق عازف الكمان الكيميائية..

تم إعلان أن السبب الرئيسي للوفاة هو هبوط حاد في الدورة الدموية!

فكَّر آسر في الانسحاب ولكنه قرأ عدة مقالات للصحفي ريتشارد أمير فحاول إرشاده من خلال بعض الصور التي أرسلها له، إلا أن نفوذ مازن تمكَّنت من وقف ذاك التحقيق الصحفي ليقرِّر آسر الانسحاب في النهاية والبحث عن كبش فداء آخر له، وكان ذلك الكبش هو عيسى المصري!



(29)

مذكرات عيسى المصري

سبعة أيام أتحرك فيهم بين كافة المحافل الأدبية بحثًا عن أي سبيل يسمح لي الوصول للكاتب آسر عبد الرحمن مؤلف الرواية الحقيقي، طلبت من بعد الكتاب الشباب أن يمنحوني رقم هاتفه أو عنوانه ولكنني قابلت التجاهل من الجميع. الكل يراني منبوذًا!، الكل ينظر لي النظرة نفسها التي طالما رأيتها في عيني حبيبة اللعينة!

ولكن بعد أسبوع قاسٍ تمكنت من إدارك صلة قرابة بين الأستاذ الجامعي رمضان عبد الواحد وآسر عبد الرحمن.. دفعت القليل لأحد العمال في الجامعة فمنحني عنوان رمضان عبد الواحد وهناك سألتهم عن مكان آسر عبد الرحمن وأخبرتهم أنه في خطرٍ شديدٍ ويجب تحذيره حالاً..

رمقني ابنه آدم -حسبما أتذكر اسمه- باشمئزاز ثم قال:

- عن أي خطر تتحدث؟!

أجبته:

- الأمر معقد، كل ما يمكنني إخبارك به.. أن آسر سيتعرض للاغتيال قريبًا جدًا.

سمحَ لي بالدخول، وبالداخل أجرى اتصالاً هاتفيًا مع آسر وأخبره بما حدث بيننا واستمرت المكالمة لدقائق أخرى لم أتمكن من فهم مجراها، ولكنه عاد في النهاية وأخبرني بالعنوان..

- سينتظرك في الفيلا الخاصة به.. بعد ساعة من الآن.

هذا جيد..

جيد جدًا..

وأنا راحل عن المكان تذكر أن يسألني:

- وهل الخطر يحيط بك أنت أيضًا؟!

أجبته بيأس:

- إن كان ظني صحيحًا.. فليرحمنا الله جميعًا.

أومأ آدم ولم يرد مجددًا..

حينما طرقت باب الفيلا، خرج صوت من جهاز الإنتركم على جانبيه وتحدَّث صوت أظنه صوت زوجة آسر، سألَتْ عن الطارق فأخبرتها أن السيد آسر في انتظاري ففتحت الباب لي وأخبرتني على مكان الصالون لأجلس فيه حتى يقابلني زوجها بعد دقائق..

وحينما هبط آسر لم أنتظر منه ترحابًا، ولم ينتظر هو أيضًا، فقُلت دون سابق إنذار:

- أحاول الوصول إليك منذ أسبوع يا آسر..

بنفس الخطوات الثابتة تحرك ناحية كرسيه وجلس قائلاً ببرود:

- أعلم..

حسبته غاضبًا لأنني لص!

- لا أعلم من أين يمكنني أن أبدًا حديثي، أنا لص!.. سرقت روايتك في معرض الكتاب وبدون أي تعديل فيها أسرعت في نشرها لدى إحدى دور النشر التي تعتمد على مشاركة المؤلف في النشر بنصف التكاليف مقابل أرباح وهمية لن ينالها قطّ.

بالبرود ذاته أردف:

- أيضًا أعلم ذلك!

حقًا كنت لا أجد الكلمات لأنطق بها.. فتحدثت بشكل عشوائي، بكلمات غير متزنة وجمل غير كاملة..

- ولكنني أدركت مؤخرًا أن عملك ليس مجرد عمل روائي!، إنه فضحية كبرى، أنت كشفت مؤامرة خطيرة.. حتى عازف الكمان.. عازف الكمان حقيقي، نعم نعم أنا قابلته وأخبرني.. لا.. سألني.. لا بل ضربني بقوة.. عذبني.. ليعلم مصدر معلوماتي، كان صعبًا عليّ الاعتراف بأنني سارق عملي الروائي الأول.. والأخير



بكل تأكيد.. ولكن بعد محاولات عدة من الإهانة والتعذيب.. أخبرته.. أخبرته بكل شيء، أنا لست هنا للاعتذار بقدر ما أنا هنا لأخبرك بأنك يجب أن تهرب.. أنت ناجح وبالتأكيد يمكنك كتابة المزيد والمزيد.. وهذا العمل ليس مكانه المكتبات.. لا لا لا.. هذا مكانه مكتب النائب العام.

لساني يرتعش وجسدي متعرق منتفض.. خائف ومحرج، لص وجبان.. كنت أرى نفسي عاريًا تمامًا في عينيه، كنت على وشك البكاء صارخًا حجم الفوضى التي أقحمت نفسي فيها بسبب تلك الملعونة حبيبة.. يا ليتني تركتها.. يا ليتني ما سمعت لها لحظة واحدة.

- اجلس يا عيسى..

تحركت سريعًا ناحية كرسيٍّ مقابل له:

- حاضر.. يمكنني تقديم أي مساعدة لك تعويضًا عن سرقتي للعمل، ولكن أخبرني كيف أجعلهم أمنعهم من قتلي؟!

- توقعت موتك منذ أول يوم رأيت الرواية على أرفف المكتبات.. ولا أعلم كيف أنت على قيد الحياة حتى الآن؟!، شهور وأنا أبحث عن قربان يتولى على عاتقه ذلك الأمر.. كان في نيتي أن أحميك ولكن حينما تفاقم الأمر خشيت الاستمرار وتواريت عن الأحداث نهائيًا لأتركك وحيدًا وسط محيطٍ ثائرٍ تحيط بك الوحوش من كل النواحي..

كنت لا أفهم.. أو.. أو كنت لا أتوقع هذا..

- عذرًا.. أخشى أنني لا أفهم حديثك!

صعقني مضيفًا:

- عيسى، أنت لم تسرق روايتي!.. كان كل هذا من تدبيري، رحيلي عن الطاولة في المطعم كان متعمدًا لأمنحك فرصة لسرقتها، كنت أعمل مع عمي لأشهر طويلة.. عمي أظنك سمعت عنه؛ رمضان عبد الواحد.. الراحل بهبوط حاد في الدورة الدموية الكاذبة، عمي قُتِل عن طريق ذلك الملعون مجهول الهوية.. عازف



الكمان، لو كان لعمي ابن أكثر نضجًا من ذلك الهاكر الأحمق آدم، لما كنت احتاج لي منذ البداية، لعب دور البطولة جعلني طامعًا، منخدعًا.. أحمقَ.. قل ما شئت ولكنني الآن أعلم حقيقتي.. أنا خارج اللعبة.

يا الله على كونك مجرد قطعة شطرنج في أيدي الجميع! ما أبشع إحساس أنك الأحمق وسط الجميع، الأحمق أمام فتاة أحلامك، الأحمق بين كبار رجال الأعمال، الأحمق مع أبطال روايتك، الأحمق مع مَن سرقته!.. أنا الأحمق.. لا أنا الأكثر حمقًا بين الجميع.

- ما هذا بحق الجحيم؟!.. أكنت تدبر للأمر؟!

في قمة يأسي لا أجد سوى لعب دور الضحية ولكنه سحبني من تلك الحالة وأخذ يهبط بكلماته على رأسي بقوة، كانت كلماته كأنها صفعات على وجهي..

- لا تلعب دور الضحية، فأنت سمحت لي بذلك!.. أنت من تملك ميولَ لصٍ.. أنا فقط جعلت وتر المجرم

داخلت يتحرك، وأطلقت لك العنان لتتصرف على طبيعتك.

قُلت له:

- لا يهم الآن.. جد لي حلاً.

قال لي:

- يؤسفني أن أقول لك إنك وحدك!

- لالا.. أنت لا تستوعب الأمر، أنا أخبرت عازف الكلارينيك بكونك مؤلف الرواية الحقيقي سيقتلك بكل بساطة وستكتب عنك الصحف راحل آخر لهبوط الدورة الدموية.

- لا أظن ذلك.. دائمًا كنت أتتبعك وحينما تم خطفك، علمت أن اسمي سُيعلَم لدى الجميع، حقًا لا أفهم كيف هربت منهم.. ولكن لا يهم، سويعات وسأكون خارج البلاد نهائيًا.. أعتقد أن حلك الوحيد هو أن تذهب

للنائب العام وتخبره بكل شيء.. ولكن احذر مازن والقاتل لن يسمحا لذلك بأن يحدث..

بتوسل قلت:

- أرجوك لا تتركني وحيدًا هكذا..

ليرد عليّ ببرود:

- ارحل يا عيسى.. وجِد لنفسك ملاذًا في مكانٍ آخر، لا حماية لك عندي.

بذُلٍّ شديد أردفت:

- سيقتلونني!

بعدم اهتمام أنهى حديثه قائلاً:

- اهرب.. اختفِ عن كل الأنظار، كن وحيدًا.. محتمل أن تنجو!

أنهى كلامه مشيرًا بسبابته ناحية بابه لأخرج وأعود من حيث أتيت..

هرب آسر عبد الرحمن خارج البلاد وتركني وحدي، مرت عشرة أيام هادئة حاولت فيها تناسي كل ما حدثَ، دار النشر صارت لا توزع كتابي بحجة أن الدولار ما زال يتصاعد، وأنها في حالة وقف لكل شيء في الوقت الحالي، أخبرتها أنه قرارٌ سَليمٌ.. شعرت أنني سأعيش بعض الوقت في حالة هدنة من كل شيء. أو ظننت أن الدار تعلم خطورة كتابي فقررت وقف طباعته مجددًا، فلا يهم.. المهم حاليًا أن كتابي صار لا يُنشَر، حاولت إقناع نفسي أن عازف الكمان صار لا يطاردني، أقنعت نفسي أنه علم كل شيء عني فلا حاجة لإزهاق روحي وأنني في أمان الآن.. لن أبلغ النائب العام عن شيء وأقحم نفسي من جديدء، أنا سأرحل في صمت، سأخبر شهد أنني أحبها وسأنتزعها من ذلك العالم نحو الجنوب حيث نعيش سويًا بعيدًا عن كل الناس.. أظنها فكرة جيدة إلى حدٍّ ما..



اليوم قررت مقابلة حبيبة للمرة الأخيرة وإخبارها بكل شيء داخلي، حينما دخلت الكافيه وجدتها جالسة في انتظاري، كانت المرة الأولى التي تصل فيها حبيبة قبلي!

- تأخرت كثيرًا..

أجبتها بعدم اهتمام:

- أول مرة أراكِ ملتزمة بميعادك!

أومأت في تفهم، كانت ملامحها باهتة كثيرًا.. لا تضع أي مساحيق تجميل، عيناها ليستا واسعتين كما كنت أظنهما.. كما لاحظت اختفاء رائحة عطرها المميز الذي طالما فتنتني به..

- سأشرب القهوة، ماذا تريدين؟!

نظرت لي طويلاً نظرة غريبة، كأنها لا تعرفني، ولم تجب عن سؤالي وقالت كلامًا لم أكن اتوقع أن أسمعه منها يومًا ما..



- أتعلم؟!

قالتها وصمتت ثواني ثم أكملت:

- ولكنني أعلم أنك ستستعجب من حديثي كثيرًا.. كثيرًا ما أشتاق لنسختك الماضية، كنت أشعر أنك ملكي وحدي، عقلك لم يكن مشتتًا كهذه الأيام. لا أعلم إن كان دفعي لك لتصبح كاتبًا صحيحًا.. أشعر أنك أصبحت مغرورًا، حتى عيناك لا تنظران لي النظرة نفسها، لم أعد أشعر أنني تلك المرأة العظيمة التي طالما أشعرتني أنني إياها.. أنا أشتاق لك عيسى.

كنت ألعنها حقًا..

أبغضها..

كتمت مشاعري وهمست دون أن أدري:

- الآن تقولين ذلك؟!.. الآن تخبرينني أن نسختي السابقة هي الأفضل لكِ؟!، حقًا!



أخرجت من حقيبتها سيجارة وقمات بإشعالها، كانت المرة الأولى التي أعلم فيها أن حبيبة تدخن، كانت المرة الأولى التي أرى فيها حبيبة ليست الفتاة المثالية التي كنت أظنها.. حبيبة منافقة.. تريد كل شيء في آنٍ واحدٍ..

- لا تلُمني على مشاعري!.. أنا أخبرك بما أشعر به، وواجب عليك أن تنصت لي، قد يكون خطئي، ولكنك تعلم، عقلك أفضل مني.. كان لا بُدَّ أن ترفض حديثي وقتها وتخبرني أنك ستظل كما أنت سواء شئت أم أبيت، كنت سأحزن لأيام وأنسى الأمر بعدها.

ضحكت ساخرًا من نفسي وهمهمت:

- أنا المخطئ إذًا..

سحبت شهيقًا طويلاً من سيجارتها وأردفت:

- نعم، كان لا بُدَّ أن تتمسك بشخصيتك وترفض التغيير لكي ترضيني..

ضحكت مرة أخرى بهدوءٍ..

- لا.. لا أقصد أنني مخطئ في هذا، أنا المخطئ حينما سمحت لقلبي أن يتعلق بامرأة مثلك.. لا أعلم كيف عشت كل تلك السنوات دون أن افكر لوهلة أن أتركك وأرحل، أنتِ دمَّرتِ حياتي، أنتِ صنعتِ منِّي لِصًّا، جبان، مطارَد.. وتجاهلك كان الفصل الأخير!

شعرت بحديثي المتألم فحاولت تخفيف حدة الحديث:

- حسنًا، أظن أن كلينا أخطأ كثيرًا في حق الآخر.. ولكن الأوان لا أظنه قد فات.

كبرياء اعتذارها جعلني أستشيط غضبًا، فقطعت حديثها وصرخت فيها غير مبالٍ بالناس حولي:

- توقفي عن هذا الحديث.. حبيبة، أنا لا أشعر أنني ما زلت أحبك كما كنت!

نظرت حولها لتتأكد أن أحدًا لا يتابع الأمر، بعدها أمسكت يدي وقالت..

- ماذا تقول يا عيسى؟!.. لا أصدق أنك قُلت جملة كهذه!، حقًا كنت تدعي اللامبالاة ولكن نظراتك كانت تفضح اهتمامك..

سحبت يدي بقوة.. وأضفت:

- بل.. ليس عدم حبك وحسب، أنا صرت أكرهك، أشمئز حين أراكِ.

صدمتها.. عجزت عن الرد للحظات.. قالت:

- هل جننتَ؟!

أجبتها في غيظٍ:

- أنا كنت مجنونًا حقًا حينما سمعت لكِ.. كنت ضعيفًا، كنت في حاجة فقط لأنثى تحتوي حياتي البائسة واليائسة.



- وكنت كذلك لك.. والآن تنفصل عنيّ لتتركني وحيدة بعدما أحببتك.

- لا، أحببتِ غروري ونظرتي لنفسي.. أحببتني وقت تواجد المعجبات حولي.. أحببتِ فكرة أن صديقاتك يحسدنَّك لوجودك قربي، أحببتِ انشغالي عنكِ واصطناعك للغضب... وحينما شعرتِ أنكِ حقًا غير سعيدة أخبرتِني أن نسختي السابقة هي الأفضل، ما أحقرك!

بتوسل قالت:

- لا تتركني هكذا.. أنت مخطئ، أنا أحبك، لم أخبرك قَط أنني ملاك لا أخطئ.

- ومَن أخبرك أنني ملاك سأغفر؟!

نهضت من مكاني مردفًا:

- ستكون هذه المقابلة الأخيرة بيننا..



أمسكت يدي بقوة أكبر من سابقتها وقالت بتوسل أشبه بالذل:

- عيسى، أرجوك.. لا تتركني!

سحبت يدي من جديد، ورحلت من أمامها..

- لم أعد عاجزًا عن الرحيل كما كنت، أنا راحل!

بعين دامعة قالت:

- عيسى!

الانفصال عن حبيبة لم يكن سهلاً!، ولكن لأكون محقًا، للمرة الأولى في تلك العلاقة أشعر أنني راضٍ عن نفسي، أشعر أنني انتصرت أخيرًا عليها، كسرت شوكتها، أشعر أنها تعلم قيمتي الآن.. الآن ستندم عليّ لأشهر طوال، ستختلس النظرات في حياتي من آنٍ لآخر لتجدني برفقة شهد، سعيدًا.. هادئًا.. ستندم طويلاً على ما فعلته بي..

بعد مرور ثلاثة أيامٍ..

أشعر براحة كبيرة أخيرًا، أشعر أنني فعلت ما يجب عليَّ فعله، أخبرت نفسي بالحقيقة الكاملة، أخبرت نفسي بكم كنت أحمقَ، خائنًا، كاذبًا، سارقًا، حقيقي أن الخطر ما زال حولي من كل جانب، وما زلت أجهل حقيقة ما يحدث من حولي، مَن ذلك القاتل الذي قرأ روايتي ووجد نفسه داخلها.. عفوًا ليست روايتي.. أنا سارق الرواية.. أنا اللص الأول.

لا يهم الآن كل ذلك، لن أفكر في الحلول، يكفي الآن هدوء الأعصاب الوهمي الذي يغمرني..

أعلم أنني قد أبدو مخطئًا في قراري حينما انفصلت عن حبيبة وقررت استئناف حياتي مع شهد، الكثير سيعترض على ذلك التصرف، كنت أنا المخطئ حينما تحدثت عنها بالسوء أمام الجميع، لم أكن أتصور أني يومًا ما سأقع في أسر عشقها.. والآن أنا أدفع الثمن..

ولكن لا يهم..



مَن هؤلاء ليخبروني بالأفضل لي، أنا أعلم أنني سأكون سعيدًا بجانبها وهي لن تعود لحياتها السابقة أبدًا، وهم سأبتعد عنهم وهكذا يفوز الجميع.

أنا الآن فى مقهى كوستا أمام البحر، في الليالي الأخيرة ليناير الممطر البارد، انتظرت شهد لأخبرها بضرورة ارتباطنا بسرعة، وأنها العشق الأول والأخير
لي.. لأطلب منها مسامحتي لسوء حديثى معها طوال الوقت.. لأخبرها بكل شيء كان يفترض أن أخبرها به من قبل.

يا ترى كيف ستستقبل قرار انفصالي عن حبيبة؟!، أنا لا أعلم ولن أحاول التفكير.. أريد أن أتفاجأ بعينها وهي تلمع، وصرختها المدوية الفَرِحة، طالما عشقتني رغم كوني لست الأوسم ولا الأغنى. لا أعلم لماذا حملت بداخلها كل هذا الحب لي؟!

هاتفي يرتعش الآن أمامي واسمها يظهر أمامي، تحاول الاتصال بي لتعتذر عن تأخيرها..

***

شهد أخبرتني أنها ستصل بعد خمس دقائق أو أقل..
قلبى يرتجف بسرعة، أنا سعيد..

أنا بحاجة لسماع محمد منير.. سأسمع أغنية النسيم فهي ملائمة كثيرًا لحالي الآن، ولكن مهلاً جاءتني رسالة غريبة تحمل تسجيلًا صوتى من رقمٍ غير مسجل لديَّ على تطبيق الواتس آب..

وعلى الرغم من أن تلك الموسيقى وصلت لي عن طريق الخطأ إلا أنني أشعر بانسجام معها بشكل ممتع، أشعر أنني أغوص داخلها، للمرة الأولى التي أعلم فيها أن منير ليس ساحري الوحيد-رغم تقارب لحن تلك الموسيقى مع ألحان منير- شهد تظهر بعيدًا بخصلات شعرها المتطايرة وابتسامتها المشرقة وملابسها السوداء الأنيقة وقلادتها الذهبية المتأرجحة، قلبي يرتجف بقوة أكبر من السابق.. والموسيقى لم أعد أشعر أنني أسمعها بأذني بل صرت أشعر بها في قلبي، صرت أتوحد معها، ضربات قلبي

تتسارع وشهد تدنو منِّي أكثر فأكثر، أفكر فى الكلمات وصياغتها.. أفكر في صرختها ولمعة عينيها وقُبلتها التي ستمنحني إياها بكل تأكيد في هذا المكان غير مبالية بنظرات الآخرين.. صار قلبي يتسارع أكثر.. صار يؤلمني .. وانسحب الدم من أناملي، جسدى كله ينتفض.

خطوات وستجلس شهد بجانبي لأخبرها بكم أنا أحبها، ولكني أشعر بالخوف لا السعادة، أشتمُّ عطرها وعطرًا آخر مختلطًا به، رائحته تشبه يود البحر.. أو عذرًا.. إنها رائحة الموت!

أشعر.. أنني.. أموت!

(30)

المختار

كان عازف الكمان يقف أمام بيت ريتشارد القديم الذي سكن فيه قبل رحيله نحو الإسكندرية، تأمل تفاصيل الحارة القديمة والمقهى الشعبي الكلاسيكي المعتاد ظهوره في تلك المناطق. لفت نظره كثيرًا البيت المجاور لبيت ريتشارد الحامل لآثار النيران القريبة العهد نسبيًا..

- بتدوَّر على حد يا أخ؟!

قال عازف الكمان:

- مينا!

ردَّ الرجل منفعلاً:

- الله يجحمه مطرح ما راح، ماحدش يعرف طريقه أبدًا.

تأكد أن هناك شيئًا ما حدث هنا وهو بالتأكيد ما تسبب في تلك النيران وجعل مينا يهرب للإسكندرية وخلفه ريتشارد ليطارده. لم يكن القاتل يريد لفت الأنظار له فانسحب من الحارة سريعًا عازمًا أن يأتي ليلاً محاولاً اختراق شقة ريتشارد.

بعدما صب عازف الكمان سائلاً كيميائيًّا غريبًا في موضع المفتاح أذابه من الداخل وجعل الباب يستجيب لأقل الضربات الصامتة منفتحًا على مصراعيه. في الداخل ظل يتحرك في كل مكان في الشقة يرمق صليبًا هنا وصليبًا هناك، لوحة العشاء الأخير تزين المكان، غرفة أطفال بالية وجدران متآكلة..

- كيف كنتَ تعيش هنا يا رجل؟!

ظل يتحرك من غرفة لأخرى..

- وين سرك يا ترى؟

أمام خزينة الملابس، وقف لحظات آملاً أن تحمل أيَّ شيءٍ له يقربه من كشف شخصية ريتشارد، وحقًا

بالداخل وجد مجموعة كبيرة من الأوراق المتآكلة التي تحمل اسمًا..

ذات يوم كنت مميزًا..

رمق الورقة الثانية..

عشت سنوات أتوسل للرب أن يجعلني مميزًا يا ليته ما استجاب!

ابتسم القاتل لما وجده، علم أن تلك الأوراق هي تحديدًا ما يبحث عنه، نظر مرة أخرى داخل خزينة الملابس وجد فيها مجلدًا صغيرًا نسبيًا مكتوب بخطٍّ علم أنه خط ريتشارد أمير..

فتح أولى صفحاته وقرأ ما فيها..

«عذرًا أبونا، فلم تكن أنت المميز الوحيد!.. لم تكن حامل الخاتم الوحيد!!»

وفى نهايتها توقيع ريتشارد نفسه..



أخرج عازف الكمان كاميرته الخاصة وبدأ في تصوير الأوراق أولاً، ثم تبعها بتصوير صفحات المجلد، وبعد أن أتم مهتمه أعاد كل شيءٍ لمكانه الصحيح وفرَّ خارج المكان..

حينما تقابل القاتل مع مازن..

- ده مجنون!

سأله مازن عن مقصده فأجابه القاتل موضحًا باختصار:

- معه خاتم يظنه شيئًا.. لا أعلم!.. مقدسًا بطريقة ما!!، يعتقد أنه ورثه عن... صدِّقني الأمر معقد وممتلئ بالتفاصيل الغريبة والمتشابكة ولكن الخلاصة أن ريتشارد قاتل!، يتتبع قتلة حبيبته واحدًا تلو الآخر مقتنعًا أن ما ينفذه هي أوامر الله أو أوامر الخاتم، يا الله كم تشبه تلك المعتقدات معتقدات منصور الدساس وأبي قبل رحيله.

أمام تمثال العذراء انحنى مينا احترامًا ثم هبط على ركبتيه وارتسم الصليب على صدره، تضرع لها في حزن وعيناه تمتلئان بالدموع..

- يا أم النور.. سامحيني، بلغيه أني مخطئ بس ماكنتش أقصد!

انسالت دموعه على خديه وانهمرت في غزارة، وصارت دقات قلبه تتسارع، وبدأ يفقد سيطرته عليها..

- بلغيه إني خايف...

على يمينه قال أحدهم مخاطبًا مينا دون أن ينظر له:

- قال يسوع كلمته!

نظر مينا للمتحدث ففزع بشدة وانتفض ناهضًا من مكانه..

- أنت!.. ريتشارد..

قال ريتشارد وهو ينهض هو الآخر..



- ماقدرتش أنفِّذ أمره قبل ما أواجهك.. ليه؟!

انتشر الذعر داخله وانقبض قلبه، وصار يخفق بشكلٍ غير منتظم فمسك صدره وأجابه بألم:

- ماكنتش هقتلها يا ريتشارد صدقني ماكانش قصدي.

انفعل ريتشارد وردَّ صارخًا غير مبالٍ لنظرات الحاضرين له:

- بس انت رُحت بيتهم!.. إنت قاتل!

غضب مينا ورد الصيحة بأخرى..

- كان لازم تسمع الكلام.. لو كنت نفِّذت كلامنا ماكانش حصل اللي حصل.

لمعت دمعة في عين ريتشارد وردَّ بصوت أقل حدة هذه المرة وهو شارد الذهن متذكرًا مشهد صرخات أمها ورائحة النيران تداعب أنفه:

- تقوم تقتلها!



قال مينا:

- ما انت قتلت! كريم..

نظر ريتشارد حوله فلاحظ هرولة بعض الحاضرين نحو الخارج بينما بقي القليل منهم يراقبون المشهد دون أي تدخل بينهما، فعاد ليرمق مينا وردَّ قائلاً:

- كانت أوامر الرب.. القصاص!

قال مينا ساخرًا:

- ده انتقام!

أومأ ريتشارد وتبادل كلاهما النظرات قبل أن ينقّض مينا على ريتشارد ساحبًا سكينًا من جانبه، صده ريتشارد للوهلة الأولى ودفعه نحو تمثال العذراء..

قال مينا:

- كنت عارف إنك جاي!



لم يدعه ريتشارد يستمر في الحديث واقترب منه راكلاً إياه على وجهه فتطاير اثنين من اسنانه وانسال شريط دموي على جانبي شفتيه، ابتعد ريتشارد خطوتين..

- أنا هنفِّذ القصاص مهما حصل!

بتألُّم شديد حاول مينا النهوض من مكانه وهو يقول بلسان مرتعش:

- إنت لسه مصدق مذكراته؟!، فاكر إن الخاتم.. خاتم مقدس فعلاً!، صدقت إنه كان مميز؟!.. وصدقت إنك إنت كمان مميز؟!

لم يتحمل ريتشارد ذلك الحديث أكثر، كما لم يحاول فهم كيفية معرفة مينا بتلك الأمور فركله مرة أخرى على مقدمة رأسه ليسقطه أرضًا ويمنع محاولته البائسة للنهوض..

- إنت الشيطان!.. إنت المشكك.

رد مينا ضاحكًا:

- لا.. إنت الضال المخدوع.. إنت قريت الفصل الأخير بس!، بس أنا قريت باقي المذكرات!!

لم يتحمل ريتشارد كلماته المشككة في اعتقاداته بكون خاتمه مقدسًا ونوعًا من الاصطفاء الإلهي، فسحب السكين من الأرض وتعالت صيحات مَن حوله ولكن لم يتدخل أحدٌ أيضًا ليمنع ما على وشك الحدوث، اقترب من مينا عازمًا على إنهاء حياته مهما كانت عواقب ذلك الأمر، فهو يعلم داخله أن الرب سيحميه وسينقذه وحتى إن قرر الرب عكس ذلك، فسيكون الملكوت الأبدي في انتظاره.. ولكنه فجأة شعر بألمٍ شديدٍ في مؤخرة رأسه، حاول الالتفات للخلف فوجد «محمد» الشريك الثالث في حادثة مقتل ماريهان.. كاد أن يتكلم ولكنه سقط داخل ظلمة غير متناهية إثر الضربة القوية الذي تلقاها، في غيبوبته رأى ريتشارد نفسه واقفًا في مكان أشبه بالقصر، شاهد ملثمًا يحمل سيفًا شارعًا في قتل عددٍ ضخمٍ من الفتيات والسيدات مختلفات الأعمار، انتشرت



الصرخات في المكان وساد الظلام في المشهد وأغمض عينه وفتحها ريتشارد فوجد أن المكان تغيَّر فكان أمام إحدى السيدات تخبره:

-ريتشارد، أنت رأيت كل شيء!، ريتشارد أرجوك الخريف قادم!

صمتت الفتاة وتلاشى كل شيء من تلقاء نفسه وساد ظلام دامس..

بعد مرور عشرة أيام استمرت حالة غياب وعي ريتشارد وهروب مينا ومحمد مرة أخرى إلى مكان غير معلوم، قام آدم بتحميل نسخة إلكترونية من مذكرات عيسى المصري وروايته على الإنترنت وإرسالها لأكثر من عشرة آلاف حساب فيس بوك في الوقت ذاته، مستخدمًا إحدى تقنياته في الهاكر..

بعد ثماني وأربعين ساعة تم تحميل الرواية والمذكرات أكثر من مليوني مرة وأثارت ضجة إعلامية



كبيرة، وتقدم عدد هائل من البلاغات ضد مازن الحسيني ونجيب المحلاوي..

بعد أقل من اثنتي عشرة ساعة تم القبض على مازن الحسيني في الفيلا الخاصة به..

اختفى نجيب المحلاوى نهائيًا!

اتهم مازن الحسيني بالقتل العمد والإتجار في الآثار..

بعد ثلاثة ايام شهدت مصر أربع عمليات إرهابية في مواقع حساسة بالدولة نتج عنها مقتل عدد كبير من الجنود وضباط الشرطة وقيادات هامة بالدولة.

هزة أرضية عنيفة تحصد مئات الأرواح من المصريين، والخسائر فادحة.

صفحات فارس الخريف تملأ الإنترنت، وحديث العامة عن علاقتها بكمّ الحوادث الإرهابية المنتشرة مؤخرًا.

عودة الصفحي نورالدين بعد اختفائه عدة أعوام..



انتحار احد المجهولين امام الحجر الاسود بالحرم المكي!

عاد ريتشارد إلى الوعي بعد غياب دام عشرين يومًا، وبمجرد أن فتح عينيه وتدارَك الموقف شرع في صراخ وبكاء هيستيري لأنه فقدَ خاتمه!

- فين الخاتم ؟!.. الخاتم!

طلب ريتشارد ضرورة الاتصال بآدم وحينما التقى الصديقان..

- آدم.. لازم تلاقيهم!.. الخاتم.. سرقوه!

- ريتشارد، إنسى بقى.. لازم ترجع تاني لشغلك وكتباتك.. سمعت عن الراهبات اللي اتقتلوا؟

قطع ريتشارد الحديث صارخًا:

- آدم، افهم، أنا من غير الخاتم ولا حاجة..

- الخاتم وهم يا ريتشارد..

- أنا المختار..

ربت آدم على كتف ريتشارد وانسحب من الغرفة مشفقًا عليه دون رد..

مكث ريتشارد في مصحة نفسية لمدة دامت ثلاثة أشهر أتقن فيها السخرية من تعلقه بالخاتم، حتى سمحوا له بالخروج أخيرًا..

خرج عازمًا على إيجاد محمد ومينا واستعادة خاتمه مجددًا بعدما تقدَّم باستقالته من الجريدة.



الفصل الأخير

ترك قيس الكمان وأمسك آلة الكلارينيت هذه المرة ووقف بين حوائط غرفته، تذكَّر أنه قد ابتعد عنها كثيرًا الأشهر الماضية، هدأ نوعًا ما حينما انتهى الحال أخيرًا ووقع مازن الحسيني داخل زنازين سجن العقرب، ارتاح لفناء عيسى المصري وهروب آسر عبد الرحمن، حتى نجيب المحلاوي فلم يَعُد يتحمَّل عناء مواجهةٍ أخرى، أما عن ريتشارد فقد جن جنونه أخيرًا وسكن مصحةً نفسيةً لعدة أشهر كانت كافية لمحو ما تبقى لديه من خلايا صالحة في دماغه، وضع القاتل منقار آلته على شفتيه فبدا كمُقبِّلٍ لها أكثر من عازفٍ، تحسس مفاتيحها بأنامله وأخذ شهيقًا طويلاً وكتمه داخل صدره لحظات، وبهدوء بدأ في زفيره داخل آلته، لمعت ألحانها بالمكان بانسيابية متناغمة متداخلة طاردة كل ما علق بجسده وقلبه من بقايا أرواح أزهقها في أيامه الأخيرة، صار يتمايل بهدوءٍ مع ألحانه، كان يعزف المقطوعة نفسها التي سمعها عيسى قبل رحيله، فتسارع ضخُّ هرمونات السعادة في جسده كأمواجٍ



تغسله غسلاً، طالما حاول القاتل عزف مقطوعته عبر آلته المفضلة ولكنه دومًا ما يفشل في إعطاء التأثير ذاته للنشوى والسعادة، ولكن هذه المرة كانت مختلفة فقد قام القاتل بإضافة تحسينات لا يعلم مصدر إلهامها محتمل أن يكون شيطان تارتيني عاد من جديد ليبث الإلهام في نفوس المبدعين والفنانين. أسرع القاتل من أدائه ليزيد من هرموناته السعيدة أكثر ليدخل نفسه بإرادته في حالة قريبة من الهذيان والسكر فبدا له الماضي يعرض أمامه كشريط مسجل، لمحات كان هو القوي، قاتل!، تذكَّر انتقامه من والده وتلك المحبوبة الذي ما زال يحمل بقايا من حبها داخله، للحظة بدأ يسرع أكثر من أدائه وصار يتمايل معها بصورة أسرع، كان جسده بدأ يغرق في السعادة حد الاقتراب من الهلاك.

جذبه طَرْقُ الباب فجأة من انتحاره وهو مسلوب الإرادة، فتوقف عن معزوفته وتدارك الموقف ففزع من غبائه واستنكر تصرفه، ترك الكلارينيت على الأريكة



وذهب لفتح الباب فكان آدم يقف أمامه، ابتسم القاتل قائلاً:

- الهاكرا.. لم أتوقع هذا أبدًا، أخبرتهم أنك خطير!

- سبقتك بخطوة؟!

ترك القاتل بابه مفتوحًا ودلف نحو الداخل بدون إجابة، فتبعه آدم بثباتٍ وهو يتحسس مقبض مسدسه في جانبه، رمق آدم الكلارينيت قائلاً:

- حسبتك لا تجيد سوى آلة تارتيني..

- تارتيني كان مُقلّدًا، أما نحن مختلفون أخي، نحن المبدعون المجدِّدُون المطوِّرن، تارتيني أو شيطانه وضعوا البذرة فقط، أنت أيضًا مميز أخي!، أكثر تميزًا من ذاك المجنون..

صمت لحظاتٍ، بعدها أردف ساخرًا:

- حامل خاتم الرب العظيم!



أخرج آدم مسدسه وقال بذهنٍ شاردٍ:

- ريتشارد كان عارف إنك قتلت أبويا!

قال القاتل:

- ريتشارد كان غبيا يا أخي، أبوك مات لأنه كان قارئًا ومطلعًا أكثر من اللازم، وأنا لا أقتل سوى المنصتين، ولكن أعلم أنك لن تصدقني.. لذا فلنفرض أنني فعلت ذلك، ألم يأن الأوان يا صديقي أن تنسى الماضي.. أبوك الآن شهيد، وحسب ظنك بفضلي!.. ولكن صدقني أنني لم أفعل!، أبوك قرأ كلمات الشيطان ولم يسمع معزوفته.

شرد ذهن آدم للحظات وهو يتذكر ذكرى قديمة جاءته في رسالة من مجهول حينما حاول اقتحام حياته خلسة:

«لا تكن مطلع أكثر من اللازم، فثمن الاطلاع أحيانًا يكون الموت بني!»



لم يستسلم للفكرة وأقنع نفسه أنها تشابه الحديث مجرد محض صدفة لا أكثر وسرعان ما حاول جمع شتات نفسه وابتسم موجهًا فوهة مسدسه نحو القاتل قائلًا بسخرية:

- قيس!، أظنك ستكون شهيدًا على يدي!

كاد أن يعتصر زناد مسدسه ولكن شعر بقوة غريبة تسري داخل جسده، تقيده، تأسره داخلها، كان كالمكبَّل بالأغلال، سقط على ركبتيه وهو لا يفهم ما الذي يحدث، آخر لمحة يتذكرها بعد الشخصيات التي ترتدي السواد حوله وصيحة أخيرة من عازف الكمان مخاطبًا أحدهم:

- عماه أرجوك!

وساد ظلام دامس.. قبل أن تطلق رصاصات التخدير فيه هو أيضًا..

حالة ريتشارد الصحية السيئة لم تمنعه من قبول دعوة مازن الحسيني من خلف القضبان لمقابلته، وجدها

فرصة جيدة لإذلاله بعض الشيء وهو على أعتاب التأرجح فوق منصة الإعدام، وجدها فرصة جيدة لنيل قليلٍ من الانتصار والإحساس بنوع من العظمة المفتقَد منذ ضياع الخاتم منه، قبل الموعد كان في داخل سجن العقرب ملبيًا للنداء، ابتسم بسخرية حينما رمق مازن يرتدي الملابس البيضاء فبادله الآخر نظرة شفقة من الجانب الآخر..

- فكرك إنها خلصت كده؟!

شعر ريتشارد بقليل من التوتر من ثقة مازن، ولكنه أتقن اصطناع الثقة وأجابه:

- الحقيقة.. آه.

أومأ مازن ساخرًا وسأل ريتشارد:

- وهل أنت تمتلك حقيقة من غير الخاتم؟!

صعقه السؤال فاقترب من السلك المعدني العازل بينهم ومسكه بقوة وقال بلهجة حادة:



- الخاتم؟!

ضحك مازن الحسيني وتحرك ناحية البوابة ناهًيا تلك الزيارة، صرخ ريتشارد فاقدًا شعوره..

- إنت سرقته!!

لم يلتفت مازن واستكمل تحركه نحو الخارج، قال ريتشارد بتوسل:

- أرجوك..

توقف مازن مكانه واستدار ليرمق ريتشارد في سخرية وشفقة قائلاً:

- احتمال أشوفك تاني..

صرخ ريتشارد للمرة الأخيرة:

- ماااازن.



عادت سامية لحانتها من جديد، وسرعان ما تحولت للعمل في الإنتاج السينيمائي، كما أصبحت ضيفًا هامًا في كافة برامج التحليل السياسي وشرعت مؤخرًا للترشح لمجلس النواب متجاهلة كم النقد والسب القذف الذي تتعرض له بصورة يومية.

حينما فتح قيس عينيه وجد نفسه مقيد الأيدي والأرجل في كرسي خشبي وسط جماعة مسلحة جميعهم يوجهون فوهات أسلحتهم تجاه رأسه، رمق على جانبه آدم مقيدًا بنفس الطريقة مغشيًا عليه..

- ليش هيك.. أنا مقيد يا إخوة!، ما بكم ؟!، من أنتم؟!

من بعيد ظهر شبح إنسان ضخم الجثة، سمين الجسد، صار يقترب خطوة تلو الأخرى وملامحه تتضح رويدًا رويدًا وعازف الكمان مصعوق لما يراه أمامه..

- منصور الدساس.. عماه!

- قيس!، أم تحب أن أناديك بالعازف القاتل!



حاول بهدوء تحريك أطرافه في محاولة بائسة لتحرير نفسه ولكنه أدرك تقييده المحكم بالمكان فاستسلم لتلك المناقشة التي يعلم جيدًا أنها لن تنتهي على نحوٍ جيد أبدًا، سنوات وهو يهرب من بلد لأخرى متجنبًا ذلك اللقاء..

- أين أنا يا عماه؟، كيف أخرجتني من مصر؟!

ضحك منصور ضحكة هادئة:

- نحن بمصر!

نظر قيس حوله ورمق الخيمة المتواجد فيها، ومن نافذتها تطلع للمكان في الخارج فشاهد ما يشبه معسكراتهم القديمة في أفغانستان..

- كيف؟!، على ماذا تنوي عمّاه؟!، وذاك المقيد بجانبي؟ إنه خطير! يمكنه جلب قوات الجيش المصري لكم من موقعه، هذا من أخطر الهاكرز في الوطن العربي.

أحضر أحد المسلحين كرسيًا ووضعه أمام قيس، جلس منصور أمام ابن أخيه وأضاف:

- قتلت أخي!، وطمعت في زوجة أبيك...

صاح قيس:

- كلانا يعلم أنها كانت لي عمّاه...

أومأ منصور..

- كان أبوك رجلاً صالحًا، ولكنه شهواني مثلك...

سأل قيس عمه:

- ماذا تريد مني عماه؟!

أجابه:

- أنت قُمت بخطيئة عظيمة، كبيرة من الكبائر، لا أجد فيها سوى الإعدام لتغسل خطاياك...

نظر قيس في عمق عيني عمه وقال في تحدٍّ:



- فليكن!

ابتسم منصور:

- ولكن أعتقد أن الجهاد يمكنه أيضًا غسل خطاياك.

- جهاد؟!

هز منصور رأسه بالإيجاب..

- أنت بارع في الاغتيالات.. نريدك أن تأتي لنا برأس أحدهم وبعدها أنت حُرٌّ، وليس هذا فحسب، لك منَّا تعهد على إخبارك بمكان عشقيتك.

سألته بلهفة شديدة:

- أين هي؟!

ابتسم منصور من جديد..

- أعتبر تلك موافقة؟!

صمت قيس لحظات قبل أن ينطق بإصرار:



- لا، أرفض.. افعل ما شئت.

- أمتأكد بني؟!

أومأ قيس بالإيجاب في تردُّدٍ ملحوظ، فردَّ الدساس وهو ينسحب من الخيمة:

- كما تشاء بني.. اقتلوهم!

تمَّت

أحمد شوقي مبارك

يناير 2018



صدَرَ للكاتب

- ثلاثية كش ملك- لعنة جسام

- ثلاثية كش ملك- الثالوث

- ثلاثية كش ملك- السامري

- نبي رهن الاعتقال

- اعترافات كاهن

*) معزوفة الشيطان (Devil’s Trill) واحدة من أشهر أعمال الموسيقار وعازف الكمان العالمي «غوسيبه تارتيني»، زعم فيها أن الشيطان عزفها أمامه بعدما باع روحه ثمنًا لها.


ساحر الكتب


دارك
للنشر والتوزيع


0224832669 - 01027251915
info@darak-egy.com
https://www.facebook.com/darak.publishing